



# الحياة الاجتماعية في مصر القديمة

تأليف: سير و. م. فلندرز پيرى  
ترجمة: حسن محمد يوسف  
عبد المنعم عبد الحليم

اهداءات ٢٠٠٠  
ا.د. رشيد سالم الناضور  
استاذ التاريخ القديم  
جامعة الإسكندرية

أي شاذي الفاضل  
الكتاب - قسم الفاضل  
مع فاضل سكرتير وقدره

ع

٧٠/٥٠

# الحياة الاجتماعية في مصر القديمة

تأليف: سير و. م. فلندرز پيتري

ترجمه و يادونه عليه در قدم به

عبد المنعم عبد الرحيم

حسن محمد جوم

المعهد العالي للتربية والتعليم

وكيل وزارة التربية والتعليم السابق



General Organization of the Alexandria Library (OGAL)

*Public Library of Alexandria*

المكتبة العامة لاسكندرية

رقم التسجيل

رقم التسجيل ١٩٧٥



General Organization of the Alexandria Library (OGAL)

مكتبة الاسكندرية

المعهد العالي للتربية والتعليم



# تقديم

---

لقد نشر هذا الكتاب أول مرة في عام ١٩٢٣م ، فنفذت طبعته في أقل من سنة ، فأعيد طبعه للمرة الثانية عام ١٩٢٤م ، وصدرت آخر طبعة له عام ١٩٣٢م .

وعلى الرغم مما قام به علماء الآثار المصرية من كشف بعد هذا التاريخ أماطت اللثام عن كثير من نواحي الحياة المصرية ، فإنه مازال من أهم المصادر عن حياة المصريين القدماء وأصدقها .

ولا تعزى أهمية هذا الكتاب الى غزارة مادته وصحتها فحسب ، ولكنها تعزى أيضا الى صدق فراسة مؤلفه ، وصديق حكمه على الأشياء . ولا غرو فالسير فلندرز بتري يعد بحق في طبعة علماء الآثار الراسخين في العلم ، الذين استطاعوا أن يتحرروا الى حد كبير من ميولهم الشخصية ، ومن عكس البيئـة والجنس والدين ، ودونوا الحقائق العلمية مجردة من الغرض ، ومن غير تحريف فيها ،

ولا تشويه لها ؛ فجاءت كتبه مسورة صادقة للحقائق التاريخية الثابتة ؛ فهو مثلاً عندما يكتب عما أشاعه المؤرخون المفرضون عن السخرة في مصر القديمة ، يردّها الى أسبابها الطبيعية الحكيمة ..

ولقد تعرضت حياة الشعب المصري في الأزمان الضاربة لكثير من المسخ والتشويه على يد المؤرخين الأجانب قديماً وحديثاً . وأولهم الرحالة اليوناني هيرودوت ، الذي زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد ، إبان محن من أشد المحن التي ابتليت بها ، ألا وهي الاحتلال الفارسي ، الذي أثر تأثيراً سيئاً في أخلاق المصريين آنذاك ، شأن كل احتلال أجنبي ، فخدعته ظواهر الأمور ، فأخذ بها ، وكتب عنهم ما أزرى بهم ، وخط من شأن حضارتهم ، حتى خيل لمن قرأوا ما كتبه عنهم أنهم قسوم بدائيون يعبدون التماسيح والعجول والقطة .

وقد ظلت هذه الصورة المشوهة والروايات الكاذبة التي أذاعها هيرودوت وغيره من الجهالة المفرضين يرددها الناس مئات السنين .

وعلة هذا كله أن اللغة المصرية القديمة ، المرجع الحق لتاريخ مصر الفرعونية وحضارتها العريقة ، ظلت سرا خفياً حتى جاءت الحملة الفرنسية مصر في يولية سنة ١٧٩٨ م ( في محرم سنة ١٢١٣ هـ ) وأصدر العلماء الفرنسيون الذين جاءوا معها كتاب وصف مصر ، ذلك الكتاب الجليل الشامل ، وحل أحدهم ، وهو العالم الأثري شمبليون رموزها (١) !

فما أن ذاع هذا الكشف العظيم حتى هرع العلماء الى مصر ، واتكبوا على دراسة تاريخها الفرعوني ، وحياسة مكانها في ذلك العهد المجيد ، مما دونه المصريون أنفسهم ، منقوشاً على معابدهم

---

(١) السمر يرجع الى اللغة الهيروغليفية .

وحيطان مقابرهم . وكانت النتيجة اللازمة لهذه الدراسات أن عرف  
الناس في شتى أنحاء العالم أن حضارة مصر أروع حضارة عرفها  
الإنسان ، وأنها المعين الذي منه نهلت أثينا وعبت روما .

ولكن مما يؤسف له كثيرا أنه جاء في أثر العلماء الأعلام الذين  
جاءوا مصر من بلادهم ، وانقطعوا لدراسة آثارها ، جاءت فئة نهضة ،  
كان همهم الأول سرقة الآثار وتهريبها إلى بلادهم ليبيعها لتساحفها  
وجمعياتها العلمية ، ولم يصدهم خلق عن انتزاع بعض الأحجار  
المنقوشة من أماكنها في جدران بعض المعابد أو حيطان بعض  
المقابر (١) .

وحتى العلماء الأعلام الذين جاءوا مصر ، وكان هدفهم دراسة  
آثارها دراسة علمية ، لم يكونوا كلهم يسرون على نظام مرسوم ،  
ونسق في التنقيب معلوم ، الأمر الذي أدى في كثير من الأحيان  
إلى الأضرار ببعض الآثار .

وهنا يبرز فضل الأستاذ العالم فلندرز بترى على الآثار المصرية .  
فقد كان في طليعة العلماء الذين لم يتبعوا في التنقيب عنها الطرق  
العلمية المنظمة فحسب ، بل كان المعلم الأول لها ، وكان لآرائه  
فيها الفضل الأكبر في إرساء فن البحث والتنقيب عن الآثار على  
أسس علمية سليمة .

ومن أجل هذا كله وقع اختيارنا على هذا الكتاب القيم لترجمته  
إلى اللغة العربية . ولقد لقينا في ترجمته نصبا ، لأن في بعض  
عباراته اختصارا يوشك أن يخل بمعناها ، وفيه إشارات لبعض  
حقائق تاريخية غير مذكورة فيه ، اعتمادا على أن القارئ ملم بالتاريخ

---

(١) ولضرب لذلك مثلا : الصورة المنقوشة التي تمثل زوجة ملك بنت ، وكانت  
في الأصل جزءا من جدران معبد الملكة حتشيسوت في الدير البحري ، ولقد نقل  
بعضهم مقبرة كاملة مثل مقبرة متن التي نقلت إلى متحف برلين .

المصرى ، ولهذا بسطنا بعض العبارات المجملة ، وقسرنا كثيرا من الفقرات الغامضة ، واستبدلنا الحقائق التي عرفت بعد تأليف الكتاب بالمعلومات المذكورة في الكتاب والتي ظهر عدم صحتها ، وأضفنا كثيرا من الحواشي والتذييلات التي توضح غامضا أو تبلى حقيقة ، ولم نشأ أن ننسبها الى أنفسنا لأننا لم نجد داعيا لذلك ، لأن الكتاب خلو منها ، فجميع الحواشي من تأليفنا .

هذا وقد أضفنا نبئا بالترتيب الزمني لملوك مصر العظام ، والذين ورد ذكرهم في الكتاب بخاصة ، ليستطيع القارئ أن يرجع اليه كلما اقتضى الأمر ذلك ، كما زودنا الترجمة بخرائط ورسوم توضيحية خلا الكتاب منها .

والله ولي التوفيق .

الترجمان



## تليست بالترتيب الزمني للملوك مصر المشهورين

### تمهيد

لقد استقى المؤرخون علمهم عن العصر التاريخي لمصر ، وهو العصر الذي يبدأ بتدوين المصريين لأعمالهم ونشئ نواحي حياتهم ، من مصادر عدة ، أهمها ما خلفوه من آثار ، وما على بعضها من نقوش ، سواء أكانت كتابات أو صورا ، وما تركه المؤرخون القدامى من مؤلفات ، وأشهرهم المؤرخ المشهور مانيشون (١) الذي

---

(١) هومانيون السنودي ، كان كامنا في مدينة هليوبوليس في عهد بطليموس الأول وبطليموس الثاني ، وقد كلفه الملك الأخير بكتابة تاريخ جامع لمصر ، فكتبه في ثلاثة أجزاء .  
ومما يؤسف له كثيرا أن هذا الكتاب القيم فقد ، ولم يبق منه إلا ما اقتبس منه المؤرخون ، الذين جاءوا بعده ، ونسبوه إليه .

ألف كتاباً عن تاريخ مصر في جميع العصور ، تحدث فيه عن  
الأسرات التي حكمت مصر ، وأحصاها قبلت إحدى وثلاثين !  
وقد أخذ عنه المؤرخون الذين جاءوا بعده .

ولقد قسم المؤرخون الأسرات أقساماً عدة ، يشغل كل قسم  
منها الأسرات المتوالية ، التي تتسم بطابع خاص ، والتي لها صفات  
مشتركة ، ولتاريخها صبغة مميزة .

أما عصر ما قبل الأسرات ، ويطلق عليه عصر ما قبل التاريخ،  
فقد اعتمد علماء الآثار في تحديد حقبه على الآلات والأدوات  
والأواني التي خلفها سكان مصر في ذلك العصر الواعد في القدم ،  
وقسموه وفقاً لهذا ثلاث حقب :

- ( أ ) الحقبة الباليوليتية : أي عصر الحجر المنحوت نحتاً ساذجاً .
- ( ب ) الحقبة النيوليتية : أي عصر الحجر المصقول بعد النحت .
- ( ج ) الحقبة الانبوليتية : أي عصر استعمال الحجر والنحاس في  
صنع الآلات .

ولقد اتدع فلندرز بترى طريقة لترتيب ذلك العصر ، وهي  
الطريقة التي تعرف بالتوقيت المتتابع ( ١ ) ، والتي سهلت على العلماء  
معرفة المراحل الحضارية التي مرت بها مصر إبانته .

---

(١) تعتمد هذه الطريقة على دراسة الأواني المصنوعة من الفخار التي عثر  
عليها في القنار المصرية التي ترجع إلى ذلك العصر العتيق ، ومقارن لقائه بخاصة ،  
وترتيبها تبعاً لتطور صناعة عناقضها أو تبعاً لآلاتها ودرجات صقلها ، وعلى تطور =

ويبدأ العصر التاريخي بإبتداع المصريين للكتابة واستعمالها ،  
وهو عهد يتلو بعضها بعضا :

### ١ - العهد العتيق ، ويشمل الأسرتين الأولى والثانية :

( أ ) الأسرة الأولى ( ٤٧٧٧ ق.م - ٤٥١٤ ق.م )

• وأعظم ملوكها مينا ( نارمر ) •

( ب ) الأسرة الثانية ( ٤٥١٤ ق.م - ٤٢١٢ ق.م ) •

• وأشهر ملوكها برايم سن •

وأهم حوادث ذلك العهد توحيد القطرين ( الوجهين ) البحري  
والقبلي ، وبناء مدينة منف واتخاذها عاصمة للبلاد •

### ٢ - عهد الدولة القديمة :

وفي عهدها أصبحت مصر دولة قوية ، متينة البنيان ، كثيرة  
الموارد ، واسعة الثراء استطاع ملوكها بناء الأهرامات الضخمة ،

=== الآثار الأخرى كالألوانى المصنوعة من الحجر والآلات المتخذة من الطران ، وقد  
قام بترى بترتيب ٩٠٠ مقبرة ترتيبا زمنيا ، ثم قسمها لفترات ثلاثا ، كل فترة  
تمتاز بأوانيتها الفخارية بصفات خاصة وترك ١٩ مقبرة من ( ١ - ١٩ ) يشاهد عليها  
ماعسى أن يعثر عليه من مقابر كادش •

واليك هذه الفترات :

( ١ ) من ٢٠ - ٣٩ وقد أطلق عليها عصر ما قبل الأسرات القديم •

( ٢ ) من ٤٠ - ٥٩ وقد أطلق عليها عصر ما قبل الأسرات المتوسط •

( ٣ ) من ٦٠ - ٨٠ وقد أطلق عليها عصر ما قبل الأسرات الحديث •

ويطلق المؤرخون على ذلك العهد المجيد بعهد بناء الأهرام .

ويشمل الأسرات الآتية :

( أ ) الأسرة الثالثة ( ٤٢١٢ ق م - ٣٩٩٨ ق م ) .

وأشهر ملوكها زوسر باني الهرم المدرج ، وأشهر شخصية  
في عهدها امحتب المهندس ، والطيب ، مصمم ذلك الهرم .

( ب ) الأسرة الرابعة ( ٣٩٩٨ ق م - ٣٧٢١ ق م ) .

وأعظم ملوكها سنفر و خوفو باني الهرم الأكبر ، وخفرع  
باني الهرم الثاني ، ومنقرع باني الهرم الثالث والملكة خنت كاوس  
بانية الهرم الرابع .

( ج ) الأسرة الخامسة ( ٣٧٢١ ق م - ٣٥٠٣ ق م ) .

وأشهر ملوكها أوسركاف وساحورع .

( د ) الأسرة السادسة ( ٣٥٠٣ ق م - ٣٣٣٥ ق م ) .

وأشهر ملوكها بيبي الأول وبيبي الثاني .

---

٣ - عصر الاضمحلال الأول أو الفوضى :

( ٣٣٣٥ ق م - ٣٠٠٥ ق م ) .

---

ويشمل الأسرات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشر ، وفيه قام  
المصريون بثورة عارمة ضد الملوك تعد أقدم ثورة اجتماعية في

التاريخ ، وقد تمزقت في أثنائه البلاد وصارت امارات ، وغزا الدلتا  
الأسسيويون من الشرق واللييون من الغرب ، ولهذا أصبح من  
الصعب عمل قوائم بأسماء الأسرتين السابعة والثامنة ، أما الأسرتان  
التاسعة والعاشر فقد حكم ملوكهما من أماسيا ، وكان يطلق  
على بعضهم اسم خيتي .

#### ٤ - الدولة الوسطى :

بعد عصرها من أزهى العصور المصرية القديمة ، فقد ازدهر فيه  
الفن والأدب .

وقد انتشر النظام الإقطاعي في أثنائه .

وتشمل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة .

( أ ) الأسرة الحادية عشرة ( ٣٠٠٥ ق م - ٢٩٦٢ ق م ) .  
وأشهر ملوكها متوختب .

( ب ) الأسرة الثانية عشرة ( ٢٩٦٢ ق م - ٢٥٦٥ ق م ) .  
وأشهر ملوكها أمنمحات ( ١ ) الأول ، وسنوسرت الأول

---

(١) يكتب هذا الاسم في الكتب التاريخية المختلفة في صور ثلاث : أمنمحات ،  
أمنمست ، وأمنمحات .

وامنمحات الثاني ، وسنوسرت الثالث ( سيزوستريس ) وامنمحات  
الثالث •

#### ٥ - عصر الاضمحلال الثاني :

ويشمل الأمرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة  
( ٢٥٦٥ ق م - ١٩٢٨ ق م ) وفي أثنائه تمزقت البلاد مرة  
أخرى ، وتنازعها الأمراء والملوك الصغار ، وكان ملوك الأسرة  
الثالثة عشرة من طيبة ، وملوك الأسرة الرابعة عشرة من الدلتا ،  
وقد أدى ذلك الانقسام ؛ وما أصاب البلاد نتيجة له من ضعف  
الى تمكين الهكسوس من غزوها •

#### ٦ - عصر الهكسوس :

ويشمل الأمرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة  
( ١٩٢٨ ق م - ١٧٣٨ ق م ) وأشهر ملوكها خيان وأببي  
( أبو فيس ) •

أما الأسرة السابعة عشر ( ١٧٣٨ ق م - ١٥١٧ ق م ) •  
فقد كان ملوكها يحكمون من طيبة ويسيطرون على مصر  
العليا على حين كان الهكسوس يحكمون مصر السفلى ( الدلتا )  
وكان الصراع على أشده بينهما •  
وأشهر ملوك مصر العليا آنذاك سكتزع وكامس •

## ٧ - عصر الدولة الحديثة (١) :

في أول عهده طرد الهكسوس من مصر ، وأصبحت مصر قوة عظمى ، غزا ملوكها العظام أقطار آسيا الغربية ، وصارت مصر بذلك امبراطورية عظيمة ، مترامية الأطراف (٢) وأقدم امبراطورية في التاريخ .

وتشمل الأسر الآتية :

( أ ) الأسرة الثامنة عشرة ( ١٥٨٧ ق م - ١٣٢٠ ق م ) .  
وأشهر ملوكها :

أحمس الأول وتحوتمس الأول ، والملكة حتشبسوت ،  
وتحوتمس الثالث وامنمحتب الثالث وأختاتون ، وتوت عنخ آمون  
وحور محب .

( ب ) الأسرة التاسعة عشرة ( ١٣٢٠ ق م - ١٢٠٠ ق م )  
وأشهر ملوكها سبتي الأول ورعسيس الثاني ومنفتاح .

( ج ) الأسرة العشرين ( ١٢٠٠ ق م - ١٠٨٥ ق م ) .  
وأشهر ملوكها رعسيس الثالث .

---

(١) يرى بعض المؤرخين أن الأسرة السابعة عشرة من أسرات الدولة الحديثة .

(٢) بالغ بعض المؤرخين في الساعها حتى جعلوها تشمل شمال أفريقيا ومعظم جنوبي أوروبا وغربي آسيا .

## ٨ - العصر المتأخر :

وفى أثنائه دب الضعف والوهن فى الامبراطورية المصرية ،  
وفقدت مصر أملاكها فى الشام ؛ وعادت الى الانقسام مرة أخرى ،  
فحكم الوجه القبلى كهنة آمون ، وحكم الوجه البحرى ملوك  
آخرون !

ويشمل الأسر الآتية :

- ( أ ) الأسرة الحادية والعشرين ( ١٠٨٥ ق م - ٩٥٢ ق م ) .
- ( ب ) الأسرة الثانية والعشرين ( ٩٥٢ ق م - ٧٤٩ ق م ) .  
• وملوكها لبيون ، وأشهرهم شيشنق الأول .

- ( ج ) الأسرة الثالثة والعشرين ! ( ٧٤٩ - ٧٢١ ق م ) وأشهر  
•ملوكها بختى الأول .

- ( د ) الأسرة الرابعة والعشرين ( ٧٢١ - ٧١٥ ق م - ٧١٥ ق م ) .  
•وأشهر ملوكها بوكوريس .

- ( هـ ) الأسرة الخامسة والعشرين ( ٧١٥ ق م - ٦٧٢ ق م ) .  
•وأشهر ملوكها شباكا .

- ( و ) الأسرة السادسة والعشرين ( ٦٧٢ ق م - ٥٢٥ ق م ) .

وكان عهدها عهد نهضة شاملة ، ازدهرت فيه الفنون ،  
ونشطت التجارة ، ولكن كان ملوكها يعتمدون على المرتزقة



الأجانب ! وأشهرهم إسماتيك الأول وينخاو وإيريز وأمازيس  
الثاني ( أحمس ) .

#### ٩ - غزو الفرس للبلاد ( ٥٢٥ ق م ) :

وبذلك بدأ الاحتلال الأجنبي لمصر لأول مرة في التاريخ .  
ويشمل الأسرة السابعة والعشرين ( ٥٢٥ ق م - ٤٠٤ ق م )  
وأشهر ملوكها قمبيز ودارا .

#### ١٠ - عهد الأسرة الثامنة والعشرين

##### والثاسعة والعشرين والثلاثين

( ٤٠٤ ق م - ٣٤١ ق م ) وفيه استقلت مصر بعد  
طردها للفرسيين ، وكان ملوكها مصريين وأشهرهم لقطانب .

#### ١١ - العهد الفارسي الثاني :

وفيه غلب الفرس المصريين ، وأعادوا سيطرتهم عليها  
( ٣٤١ ق م - ٣٣٢ ق م ) .  
ويشمل الأسرة الحادية والثلاثين .

#### ١٢ - الناح المتخوى مصر :

وفيه طرد الاسكندر الأكبر الفرس من مصر عام ٣٣٢ ق م .

### ١٣ - البطالة ( ٣٢٣ ق م - ٣٠ ق م ) :

ازدهرت البلاد في عهدهم ، ولكنها لم تلبث أن تدهورت في  
أواخره .

• وأشهر ملوكهم .

بطليموس الأول ( سوتر ) وبطليموس الثاني ( فيلادلفوس ،  
وبطليموس الثالث ( ايوارجيتس ) وبطليموس الحادي عشر  
( الزمار ) وكليوباترة .

### ١٤ - العصر الروماني ( ٣٠ ق م - ٦٤٠ م ) :

صارت في أثنائه مصر ولاية رومانية ، وقد طال أمده ،  
وقامت مصر فيه من الظلم والقسوة والأضطهاد ألوانا .

وأشهر براطرة الرومان في ذلك العصر اكتافيوس وتراجان  
وهادريان وماركو أوريليس ودقلديانوس ، وقسطنطين ،  
وجستيان وهرقل .

### ١٥ - العصر الاسلامي :

فتح العرب مصر بقيادة عمر بن العاص سنة ٦٤٠ م .

## تعريف بالمؤلف

هو السير وليام فلنسلدرز بترى ، ولد سنة ١٨٥٣ م ببلدة تشارلتون بانجلترا ، ونشأ فيها وشغل في ربيع حياته بالآثار القديمة ، فعكف على دراسة منطقة ستون هنج الأثرية ، في سهل سلسبرى بانجلترا ، وألف عنها كتاباً نشر في سنة ١٨٨٠ م .

وجاء مصر في السنة نفسها ، وبدأ فيها سلسلة من الأبحاث والحفائر ، استهلها بأهرام الجيزة ، ثم انتقل الى الدلتا ؟ ولم يلبث أن كشف عن معبد تانيس الكبير في سنة ١٨٨٤ م ثم كشف عن مدينة تهراتيس الاغريقية في غربى الدلتا ، وعن مدينة دقنى في جنوب بحيرة المنزله .

وفى عام ١٨٨٨ م انتقل الى الفيوم ، وبدأ حفائره فيها ، فكشف مداخل أهرام هواره واللاهون واللشت ، ثم كشف معبد ميدوم سنة ١٨٩١ م .

وزاعت أخبار كشفه ، فشرقت شهرته وغربت ، وعين أستاذا لعلم الآثار المصرية بجامعة لندن سنة ١٨٩٣ م . وفى سنة ١٨٩٤ م أسس جمعية الأبحاث المصرية ، التى عنت بدراسة الآثار المصرية

والكشف عنها ! وكان أهم عمل قامت به الكشف عن آثار مدينة منف •

وفي سنة ١٩٢٣ م أنعم عليه بلقب سير •

وفي سنة ١٩٣٣ م استقال من الجامعة ، وسافر الى فلسطين حيث عكف على الحفر والتنقيب فيها •

وتوفي في مدينة القدس في سنة ١٩٤٢ م •

ويعد السير فلندرزبيري في طليعة علماء الآثار الراسخين في العلم الذين استطاعوا أن يتحرروا الى حد كبير من عقد اليشة الجنس والدين عندما يكتبون عن أقوام لا يمتون اليهم بصلة ما ، كما ذكر ذلك في التقديم •

وقد ألف سير فلندرزبيري عشرات الكتب عن المصريين القدماء ، وعن آثارهم كما نشر عنهم مقالات كثيرة في المجلات التاريخية والأثرية وفي الصحف •

واليك أهم مؤلفاته عن مصر وآثارها الخالدة •

- (1) History of Egypt.
- (2) Religion and Conscience in Ancient Egypt (1889).
- (3) Religion of Ancient Egypt.
- (4) Arts and Crafts in Ancient Egypt (1909).
- (5) The Pyramids and Temples of Giza (1898).
- (6) Egyptian Science (1939).
- (7) Egyptian Architecture (1938).
- (8) Pre-historic Egypt (1920).
- (9) Syria and Egypt (1896).

## مقدمة المؤلف

---

يعتبر هذا الكتاب \* الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، موجزا لسفر أضخم وأشمل انترك في اعداده نخبة من مشاهير العلماء والمؤرخين عنوانه : Descriptive Sociology of Egypt ولقد راعت فيه ربط الحقائق الماضية المجردة بأصله من حياة سكان مصر الحاليين ، الذين لم تتغير حياتهم الاجتماعية كثيرا ، كما اعتمدت على كثير من المصادر اليونانية والرومانية ، لا لأنها تمثل عصر هاما من عصور التاريخ المصرى فحسب ، ولكن للشبه الشديد بين المصريين القدماء وبين المصريين في عهديهما ! على الرغم من انتشار المسيحية في العهد الرومانى !

وفيما يختص بالفصول الأخيرة من هذا الكتاب فأتى عالجت فيها الفنون والصناعات من حيث تأثرها بالعوامل الاجتماعية . أما تاريخهما فسوف أفرد له كتاباً مستقلاً (١) .

---

(١) توجد قائمة للمراجع اكبر في كتاب Descriptive Sociology of Egypt  
مترجم منها من بريد المؤيد .

هذا ولم أكتب أسماء المراجع في آخر هذا الكتاب لأنها  
مذكورة بالتفصيل في كتاب :

« Descriptive Sociology of Egypt »

وأمل كبير في أن أقوم بإصدار كتاب عن :

« The Religious Life in Ancient Egypt »

في القريب العاجل •

## مراجع الكتاب (١)

- (1) Breasted : Ancient Records (B.A.R.).
- (2) Breasted : Book of the Dead (B.D.).
- (3) Breasted : Development of Religion (B.D.R.).
- (4) Beadnell : Egyptian Oasis (B.E.O.).
- (5) Carnarvon and Carter : Five Years (C.C.F.Y.).
- (6) Davis : Tell el Amarna (D.A.).
- (7) Garstang : El Arabah (G.A.).
- (8) Petrie : Abydos (P.A.B.).
- (9) » : Diospolis Parva (P.D.P.).
- (10) » : Gizeh and Rifeh (P.G.R.).
- (11) » : Hawara and Biahmu (P.H.B.).
- (12) » : Hyksos and Israelite Cities (P.H.T.).
- (13) » : Heliopolis and Kafr Amarna (RPHKA).
- (14) » : Labyrinth (P.L.).

---

Descriptive Sociology

(١) توجد قائمة للمراجع أكبر في كتاب

المراجع إليها من يريد المزيد .

- (15) Petrie : Medum (P.M.).
- (16) Pliny : Natural History (P.N.H.).
- (17) Petrie : Sinai (P.S.).
- (18) » : Tell el Amarna (P.T.A.).
- (19) Quibell : Hierakonopolis (Q.H.).
- (20) » : Tomb of Hesy (Q.T.H.). )

ملاحظة :

حافظنا في المتن على المختصرات الموضوعة بين قوسين ، ولم نترجم حروفها الى العربية .



الفصل الأول

---

نشأة المجتمع المصري

---

## نشأة المجتمع المصرى وتطوره

ان نظام المجتمع البشرى معقد جد التعقيد ، ومن أجل ذلك فإن دراسته ليست بالأمر السهل الميسور . وانك لتجد فى كل طبقة من طبقات المجتمع فى القطر الواحد وفى الزمن الواحد اختلافات عديدة أو لعل تلك الفوارق الحالية فى طبقة ما تبلغ فى كثرتها الفوارق التى سادت تلك الطبقة خلال الأجيال الماضية . وان تلك الاختلافات تتجاوز حدود التصور والادراك حينما نحاول دراسة المجتمع فى أقطار شتى ، ذات ظروف مناخية متباينة ، تسكنها سلالات بشرية مختلفة تتبع أساليب معيشة مختلفة وتسود فيها مذاهب دينية متعددة . وغاية ما يمكننا عمله هو دراسة العوامل التى تهيم الظروف لنمو الجماعات البشرية وتكاثرها ، ثم محاولة تتبع الاستكشافات والابتكارات ، التى بدونها لايتاح لتلك الجماعات فرصة التكاثر والتقدم . وليس من المبالغة فى شئ اذا قلنا أن

المبتكر لشيء جديد أحسد بنسبة المجتمع البشرى ، وذلك أن كل خطوة في ميدان الابتكار أو الاختراع لها أثر فعال في تقدم المجتمعات البشرية واستمرارها وتوثيق ما بينها من روابط .

ولقد رأينا ذلك في العصر الحاضر حينما حدث ذلك الانقلاب العظيم في حياتنا الاجتماعية نتيجة لذبوع استخدام الآلات في المصانع . وقد أحدث استخدام الكهرباء وانتشار الاحتراق الداخلي لتسيير السيارات تطورا بعيد المدى في الروابط القائمة بين المدن من ناحية ومناطق الريف من ناحية أخرى .

ولهذا فأننا حين نستعرض الظروف الاجتماعية المتعاقبة في مصر القديمة فسوف نحاول أن تبين التغيرات التي حدثت في مجال الابتكارات والمعرفة مما كان مسييا في تكوين مظاهر الحياة الاجتماعية في تلك البلاد .

### احوال قبائل الصيادين

ان أولى المراحل التي نعرفها عن حياة المصريين أنهم كانوا قوماً يشتغلون بالصيد . فقد كان النيل يضر واديه المنخفض بالماء . وكانت بعض الأمطار تسقط على الهضاب المجاورة وكانت تعيش هناك أنواع من الغزلان والثيران البرية والفيلة وكثير من أنواع الحيوانات الأخرى التي لا توجد اليوم الا في أواسط أفريقيا .

ولم يكن للسكان بد من احترام الصيد لتعذر احترام الرعى لأن العشب لم يكن من الوفرة بحيث يسمح بتربية الحيوان بطريقة عملية مجدية ولكن من الجائز أن يكون الانسان حيث قد استطاع تربية بعض الأغنام وبذل عناية خاصة في اعداد المراعى لها . وان أول ركن تقوم عليه مهنة الصيد هو احتفاظ القبيلة لنفسها بحقوق خاصة على مساحة معينة من الأرض . بحيث لا تعدى على تلك الحقوق قبائل أخرى .

واقد استمرت الحروب بين القبائل للظفر بمواطن الصيد ومناطق جمع الثمار للحصول على اللحوم والفاكهة والحبوب والجذور والعشب .

وكانت كل قبيلة تتخذ نظاما اجتماعيا يهيئ لها أسباب الدفاع عن تلك الحقوق . وانا لنشاهد هذا النظام الاجتماعى ذاته فى دنيسا الحيوان . فاللانسية والكلاب البرية تدافع عن حدود مواطنها . وقد لوحظ أخيرا أن الطيور تتخذ فى كل موسم مواطن معينة تدفع عنها كل دخیل واغل وعلى الأخص فى فترة التزاوج . وهذه الظاهرة تشاهد فى عالم النبات أيضا فان بعض النبات ينشر أوراقا عريضة تمتد على مساحات واسعة كى يطرد أى نبات طفيلى ينمو على مقربة منه .

وهناك بعض شجوب كالاسكيمو والعرب يعملون على تجنب

هذا اللون من المنافسة والتصارع وذلك بتهيئة ظروفهم للمعيشة في أوطان قاحلة تدرأ التطفل وتصد الدخلاء . ومثل هؤلاء الأقوام كمثل بعض أنواع الزهور التي هيأت ظروفها بحيث تزدهر في موسم الشتاء البارد للاستفادة من الضوء الساطع والهواء الكافي قبل أن تورق أشجار الغابة وتلقى بظلالها عليها (١) .

على أن استغلال الأرض استغلالا خالصا للحصول على موارد القوت يتطلب وجود قبيلة متماسكة العرى للدفاع عنها وحمايتها من الدخلاء . ومن أجل ذلك كانت الحاجة ماسة إلى وجود رئيس ( شيخ ) يقبض على زمام تلك القبيلة . وإن آخر مخلفات ذلك النظام يتجلى في بعض المناطق بآسيا الوسطى . وكذلك في مواطن حفظ الحيوان البري (٢) ولا تزال نجد إلى اليوم أقواما يأخذون

---

(١) في الجهات الشمالية مساحات من الغابات النفضية . وهذه الغابات ذات أشجار تسقط أوراقها في فصل الشتاء الجاردي فيتناثر وتتشك لبعض الأزهار البرية التي تنمو وسط تلك الغابات فرصة الاستفادة من ضوء الشمس والهواء .

(٢) في بعض جهات العالم مثل كينيا واتحاد جنوبى أفريقيا مناطق معينة يأوى إليها أنواع من الحيوانات البرية النادرة . وتسن حكومات تلك البلاد قوانين تحظر على الناس دخول تلك المناطق إلا بتصريح خاص ، ومنع الصيد فيها إلا برخصة معتمدة وتسمى «مناطق حفظ الحيوان البري» والفرض من وجودها المحافظة على تلك الحيوانات من الانقراض إذا أبيع الصيد فيها بدون قيد . والمؤلف هنا يعمل على الربط بين منع القبيلة للدخلاء من انتهاك حرمة أراضيها ومنع بعض الحكومات الصيادين وقهرهم من التسرب إلى المناطق المحظورة دخولها بنية المحافظة على ما فيها من الحيوان البري النادر .

بنظام القبيلة البدائي ويعيشون بعقليات سكان العصر الحجري القديم .  
وكثيرا ما تقتصر أعمالهم على جمع الثمار البرية أو صيد  
الحيوان (١) .

وعندما قل سقوط المطر في شمالي أفريقيا وقلت موارد مياه  
النيل انحسر الماء عن مسطحات غربية تصاح للزراعة وقل عدد  
الحيوان فوق الهضاب . وقد أغار على مصر وقثد أقوام من الغرب  
أدخلوا حرق الزراعة في البلاد وقضوا على عادة أكل لحوم  
البشر (٢) التي كانت منبعه قبل فدومهم . وقد نسب المصريون  
هذه التغيرات للاله أوزوريس وأتباعه من الآلهة .

(١) لعل المؤلف يقصد بعض قبائل سكان استراليا الأصليين وجزيرة غينيا  
الحديدة وبعض قبائل حوض الكونغو وقبائل البوشمان والهنوتوت .

(٢) يشير المؤلف الى رأى ينادى به بعض علماء الآثار بأن الاله أوزوريس لم  
يكن مصري الاصل بل هو اله نوبي من آلهة الزراعة والحصاد انتقلت عبادته الى  
مصر في فجر تاريخها مع الليبيين الذين غزوا مصر في ذلك العهد البعيد . أما  
عادة أكل لحوم البشر فلم تكن موجودة في مصر منذ بزوغ فجر الحضارة المصرية  
ولكن يبدو أنها كانت موجودة بين الأقوام البدائية الذين سكنوا هضاب وادي  
النيل في عصر ما قبل التاريخ بدليل الإشارة إليها في نصوص الاهرام (وهي كتابات  
دينية دونت داخل أهرام ملوك الاسرات الخامسة والسادسة ولكنها تسجل حوادث  
ومقائد وعادات ترجع الى ما قبل ذلك بألاف السنين) . فقد جاء في الفصل ١٧٣ -  
١٧٤ من هذه النصوص ما يلي : « أن الملك يأكل الناس ويعيش على الآلهة ....  
فالكبار منهم غذاؤه في الصباح والخوسطون حجما وجنته في المساء وسفاههم أكلته  
بالليله ولا شك ان هذه العادة اندثرت من مصر منذ فجر التاريخ ولكن ظل صداها  
يتردد في نفوس الناس حتى دونت ضمن نصوص الاهرام

Breasted, Development of Religion and Thought in Ancient Egypt,  
pp. 127-129.

هذه وكان المصريون القدماء يعتقدون أن الذي علم أجسادهم المدنية ودبرهم  
على الزراعة ونهاهم عن أكل لحوم البشر هو الاله أوزوريس .

## دور الحنطة في نشأة المدن

وإن الانتاج المنتظم للغذاء عن طريق الزراعة قد أمد الزراعة في مصر بمقادير وفيرة من الحبوب مكنتهم من اختزان ما زاد عن حاجاتهم منها . وهذا الفائض المدخر من القلال امدهم برأس مال زودهم بأسباب القوة التي كانت من عوامل التمهيد لظهور « حكومات المدن » . وقد لوحظ أن هناك تشابها عجيبا في طول المسافات التي تفصل بين حواضر المقاطعات في كل من افليم الدنيا وبلاد ما بين النهرين فيبلغ متوسطه في الأولى واحدا وعشرين ميلا وفي الثانية عشرين ميلا . والظاهر أن هناك عاملا طبيعيا يحتمل أن يكون قد تحكم في تحديد تلك المسافات من شأنه أن جعل المخازن الرئيسية لمحاصيل المقاطعة مراكز لدوائر لا تزيد أنصاف أقطارها على عشرة أميال وهي أطول مسافة يمكن نقل المحاصيل خلالها من غير أن تتكلف نفقات كبيرة تبهط أثمانها وبذلك أصبحت مراكز المقاطعات هي مخازن القلال الرئيسية التي تحفظ بها المحاصيل الفائضة المدخرة والتي بدورها ساعدت على نشأة المدن المستقلة . وكانت وسائل التبادل هي التي تحدد مساحة كل من تلك المقاطعات . وسنرى أن هذا المبدأ يصدق كذلك في عصور لاحقة . وفي خلال الحقبة التي نحن بصددنا نجد أن القلال المخزونة تمثل رأس المال الأوحيد الذي يمكن استخدامه في

المعاملات المشتركة • وفي تنفيذ المشروعات التي ليس في مقدور قرية واحدة النهوض بها •

وقد كان من المستحيل على إحدى هذه المدن أن تسيطر على البلاد كلها في الوقت الذي تشعر فيه أن الخطة أساسا لميادلاتها • فلا مصر ولا اليونان ولا إيطاليا استطاعت توحيد مقاطعاتها حتى حان الوقت الذي شاع فيه استعمال المعادن فأمكن جمعها لاستخدامها في دفع الأجور ونفقات مختلف الخدمات • ولم يكن من الميسور نقل الخطة من جهة إلى أخرى وفاء للضرائب المقررة ثم إرسالها بالتالي عبر المسافات الطويلة لدفع الأجور وغيرها لأن أكديس الخطة كانت كبيرة الحجم ثقيلة الوزن معرضة للتلف والفساد • ولما توفر لدى مصر قدر كاف من معدن النحاس كما تدل على ذلك الأدوات النحاسية الكبيرة التي كانت مستعملة في نهاية عصر ما قبل التاريخ صار توحيد الدولة مستطاعا •

تداول العملة المعدنية

بين مختلف البلاد

وكانت السلع وغيرها تدفع أثمانها بالنحاس منذ ذلك العهد حتى عصر البطالة حين استبدلت بها عملة أخرى أخف حملا وأغلى ثمنا •

وهكذا كان الحال في أقطار أخرى • بيد أن إيطاليا قد



حافظت على ذلك التقليد البالى وهو استخدام النحاس فى عمليات البيع والشراء حتى بعد ذبوع عملة الفضة والذهب بوقت طويل .

ولقد كان استعمال الفضة أساسا للتبادل فى المرحلة الطبيعية التالية لأنه مورد دائم ولأنه أخف وزنا وأسهل تداولاً فى جمع الضرائب ودفع الأجور والمرتبات فى مساحات واسعة . بيد أن الفضة لم تكن كثيرة الاستعمال فى مصر إذ كان يؤتى بها من أقطار بعيدة (١) ومع ذلك فقد أصبح استعمال مخلوط الفضة والذهب (٢) شائعاً فى عصر الأسرة الثامنة عشرة . ومن ثم نرى ذلك التوسع العظيم فى أملاك مصر . فقد أمكن جباى الضرائب معدنا نفيساً متاحاً للدولة امداد جيشها بكافة حاجاته بطريقة منتظمة .

أما فى أرض الجزيرة فأتينا نرى نقطة التحول نحو استعمال الفضة قد سجلت على مسلة مايتستوسو ( وهذا التحول يعاصر

(١) لم تكثر الفضة فى مصر إلا فى العصور المتأخرة من التاريخ المصرى القديم عندما بدأت جماعات الاغريق تستوطن البلاد . وقد عثر فى عهد الاسرتين ٢٦ و ٢٢ على مقبرة للملك بسوسنس الأول والملك ششيق الثانى بها تابوتان كاملان وكثير من الاواني مصنوعة من الفضة وهى محفوظة فى المتحف المصرى بالقاهرة شرقاً . وقبل ذلك العهد كان العثور على الفضة فى المقابر شيئاً نادوا وليس أدل على ندرة الفضة من أن قيمتها فى عهد الدولة القديمة كانت تعادل نصف قيمة الذهب .

(٢) كان هذا المخلوط يعرف عند المصريين القدماء باسم «جسم» وهو المعروف باسم *Electrum* وقد استعملته ملوك الأسرة (١٨) فى كسبوسية قمم المسلات حتى إذا ما سقطت عليها أشعة الشمس أرسلت أشعة غمر أرجاء المعبد وتجهز القادمين لزيارته . انظر Budge, Cleopatra's Needle, p. 37.

الأسرة التاسعة في مصر ) عندما قدرت قيمة الأراضي الزراعية بالحنطة والفضة على السواء . ثم أخذت الوحدة المعدنية تحمل محل وحدة الحنطة شيئاً فشيئاً . ولم يمض بعد ذلك قرن من الزمان حتى تحققت لأرض الجزيرة أول وحدة كبرى على يد الملك « نارام سين » (١) .

وفي بلاد اليونان مكنت الفضة أثينا من توحيد الولايات الاغريقية تحت زعامتها . وكان الرصيد المشترك لتلك الولايات يحفظ في مدينة ( ديلوس (٢) وكان ذلك الرصيد كافياً لدفع عجلة الحياة في بلاد اليونان . بيد أن هذه الدولة لم تجرؤ على الاحتكاك بدولة الفرس التي كانت تعتمد على رصيد من الذهب . وعندما بدأ فيليب المقدوني في اصدار عملة ذهبية أصبح لليونان

---

(١) «نارام سين» هو الابن الثالث للملك سرجون الاول المشهور مؤسس امبراطورية اكاد (التي كانت تشغل الجزء الجنوبي من ارض الجزيرة) . وقد حكم نارام سين من ٢٧١٥ الى ٢٧٢٩ ق.م وقاد حملة ضد حلف مكون من ١٧ ملكا من ملوك الحيثيين وهزمهم جميعا . ثم رد الآريين عن حدود بلاده الشمالية . وقد كشفت أعمال الحفر التي قام بها دى وديان في مدينة السوس بإيران عن لوحة لهذا الملك تمثل رجلا مفتول العضلات مسلحا بالقوس والسهم يثا بقديمه اجسام من ظفر بهم من اعدائه الذين يتوسلون اليه ويسترحمونه . وصود بين الامعاء أحد الضحايا وقد اصابه سهم اخترق عنقه فسقط على الأرض يحتضر . ولهذه اللوحة أهمية فنية لأنها تنبئ عن وجود فن نائى في طريقه نحو الازدهار .

(٢) « ديلوس » جزيرة في بحر ايجه ضمن مجموعة الجزائر التي كانت قديما باسم «الكيكلاذ» وجزيرة ديلوس هي اصغر هذه الجزائر جميعا وفي مصر سيادة الاغريق كان بها معبد مشهور للاله ابولو .

تبعا لذلك رأس مال جار أمكن استخدامه في مهاجمة فارس .  
وكانت وحدة مملكة الدولة العظيمة (١) التي تعد أقوى دول  
العالم حتى ذلك التاريخ والتي امتدت حدودها من البلقان الى  
لاهور تعتمد على رصيد ضخيم من الذهب بلغ المخزون المركزي  
منه مائتي طن ويقدر الآن بشمائية وعشرين مليوناً من الجنيهات  
الاسترلينية ، وهو رأس مال ضخم بالنسبة للعالم القديم . وقد كان  
رأس المال هذا خمسة أضعاف احتياطي ألمانيا من الذهب في  
( سنة ١٩٢٣ (٢) ) وكان ذلك الرصيد يحفظ في برج يوليوس .  
وقد شد هذا الرصيد أزر الشعب الاغريقي ومكن له من السيطرة  
على الممالك التي ظهرت فيما بعد وادماجها في العالم الاغريقي والتي  
كانت مساحة كل منها على حدة تربو على مساحة اليونان قبل عهد  
الاسكندر بمائة سنة وكذلك الحال بالنسبة لنمو قوة الدولة  
الرومانية فقد اتست أملاكها عندما اتخذت عملة الفضة ثم الذهب  
أساساً لمعاملاتها ، وحينما كانت انجلترا تعتمد على عملة فضية كان  
في مقدورها الابقاء على كيانها فحسب . وما أن أخذت العملة  
الذهبية تؤتي ثمارها هناك حتى أخذت هذه الدولة بعد انتصارها في  
موقعة سلويس Sluys (٣) تفتح عهداً جديداً من التوسع

(١) يقصد المؤلف دولة الاسكندر الاكبر .

(٢) ذلك تقدير المؤلف .

(٣) معركة «سلويس» معركة بحرية حدثت قرب ميناء سلويس بالساحل الفرنسي  
في منتصف صيف سنة ١٣٤٠م بين الانجليز والفرنسيين . وهي أول نصر بحري  
لـ التاريخ الانجليزي كله وكانت فاتحة حرب المائة عام .

## الحياة الاجتماعية ٣٣

الاستعماري الذي نجده عقب محاولة غزو فرنسا قد اتخذ في النهاية وجهة السيطرة على أقطار فيما وراء البحار . وهاتين أولاء نقطتين خطوة أخسرى إلى الأمام آخسر الأمر ذلك أن التجارة العالمية يكاد لا يتيسر نقل أثمناتها ذهباً إلى جهات العالم المختلفة ؛ وبذلك استخدم الورق في المعاملات على نظام الإصدار وهكذا استطاع الإنسان اليوم الاعتماد إلى نظام التبادل بالصكوك ، وهو أسهل تبادلاً وأخف وزناً في شئون التعامل . واذن فأساس الوحدة السياسية وانتشار التجارة يتوقفان أولاً وقبل كل شيء على سهولة نقل القيم المدفوعة ، فالخطة تكفي للتعامل داخل حدود المدينة الواحدة ، والنحاس يفي بحاجات مجموعة صغيرة من المدن ، والفضة لقطر قائم بذاته ، والذهب لامبراطورية تضم أكثر من قطر واحد . أما الورق فمجاله العلاقات المتبادلة بين شتى أقطار العالم .

إن الملك الواسع الذي تنقصه دعائم القوة المرتكزة على رأس المال إنما يعتمد في حفظ كيانه على السطوة والجبروت فحسب . وهذا النوع من الدول قد يخرج إلى حيز الوجود حيناً . ومثال ذلك دولة « الهون (١) » أو دولة « المغول » ولكنه لا يلبث قليلاً حتى تتداعى أركانه وتتوارى سطوته وجبروته . ومهما يكن من الأمر لا يمكن لدولة ثابتة الأركان متماسكة الأجزاء تنجى نوعاً من

---

(١) مجموعة كبيرة من قبائل التتر العشت بالقسرة والوحشية تدلقت من آسيا في القرن الرابع الميلادي واكتسحت أمامها قبائل القوط سكان شرق أوروبا .

العملة وتنفقها أن يمتد نفوذها إلى أبعد من حدود تداول تلك  
العملة .

### عصر في عصر استخدام الحنطة

ولنعد الآن إلى بحث حالة المجتمع في مصر في عصر ما قبل  
التاريخ حينما كان التعامل يجري على قاعدة استخدام الحنطة . لقد  
كان حاكم كل مقاطعة وقثد يستولى على نصيب من الضرائب من  
المخزن المركزي لتلك المقاطعة . غير أنه عندما اتحدت عدة مدن  
وأصبحت آفاق حدودها أكثر اتساعا كان على حاكم تلك الولاية  
الكبيرة أن يتقل بين ربوعها للحصول على الضرائب المفروضة على  
كل مركز من مراكزها . وكان هذا الاجراء يشبه ما كان يمارسه  
أى رئيس من رؤساء عشائر « الكلت (١) » اذ كان يحصل على  
الأناتة المطلوبة مواداً غذائية تتناسب مع مساحة كل ضيعة من ضياع  
أتباعه وكان يرتحل إلى تلك الضياع ويبقى في كل منها أياما  
معدودات وفي انجلترا استمرت تلك الطريقة في جمع الأناتات  
المحلية إلى عصر السكسونيين والنورمانديين . وكان ذلك راجعا  
إلى ندرة المعادن النفيسة حيثئذ . ومن أجل ذلك كان البلاط الملكي  
الانجليزي ينتقل من مكان إلى آخر وعلى الأخص بين لندن

---

(١) كانت قبائل الكلت تسكن وسط فرنسا وجنوبها وكذلك في بعض المناطق  
القريبة من فرنسا والجزر البريطانية وهي سلالات مختلفة تتكلم اللغة الكلتية .

ووتشستر وجلوستر خلال العام الواحد حتى لا يأتي على موارد  
إقليم واحد وحتى يتحاشى ضرورة نقل المؤن المعجىة من الأهلى  
لمسافات طويلة . ومن الجائز جدا أن تلك الحال كانت فى مصر ؟  
وكانت أساس نشأة ذلك التقليد المعروف « بالهباء الملكية » التى  
كان يقدمها الفرعون (١) لأحياء ذكرى بعض الموتى من النبلاء  
وأفراد الأسرة المالكة عند وفاتهم . كما كان يفرض قدرا معينا من  
إيجار أملاكه مقوما بالحنطة والمواد الغذائية ليكون قربانا للراجلين  
من أسلافه وأجداده (٢) وأما تقرأ فى إحدى العبارات المدونة على  
مقبرة من أقدم المقابر وهى مقبرة « متن (Meten) » (٣) « تنازل  
الملك عن ملكية إحدى الضياع الى « متن » وتنازله عن اثنتى عشرة  
منحة عقارية لتقديم القرابين الجنائزية الى روح ذلك النيل . ولم  
يعثر على أى أثر من آثار العصور التاريخية يشير الى منع هبة من  
الأرض الى فرد أو أفراد مدى الحياة ثم استرداد الدولة لها بعد  
ذلك . واذن فلا داعى لأن نفترض وجود ذلك فى عصور ما قبل

---

(١) كان الأموات يدنون على أبواب مقابرهم صيفا جنائزية تبسدا جميعها  
بكلمة « قربان من الملك » (حطب دى نيسوت) .

(٢) ومثال ذلك ماورد فى قصة الساحر « ددى » من أن الملك « خوفو » وهب  
لروح الملك « نب كا » قربانا مكونا من الب دغيف ومائة جرة من الشراب .

(٣) متن (Meten) مولى كيسي عاش فى أواخر الأسرة الثالثة وبداية  
الأسرة الرابعة وكان للكشف عن مقبرته أهمية كبيرة فى معرفة نظام الوراثة فى ذلك  
العهد وفى معرفة الكثير من الألقاب والوظائف . وقد نقلت مقبرته بأكملها الى  
متحف برلين أيام الفوضى التى تعرضت لها الآثار المصرية فى القرن الماضى .

التاريخ • على أنه لما كانت الأرض تعتبر في الأصل ملكا للملك جاز لنا أن نفترض أنه في الوقت الذي ساد فيه النظام القبلي في مصر كان شيخ القبيلة يمنح فردا أو أفراداً مساحة من الأرض على أن تعاد إلى الأملاك العامة للقبيلة في حالة الوفاة بدون وريثة • والظاهر أنه لم يكن هناك نظام إقطاعي على الأرض يستتبع التزامات خاصة وإنما كان على من يستغل الأرض أن يؤدي مختلف الرسوم والضرائب المقررة إلا إذا كانت الأرض معفاة من ذلك بصفة خاصة لوقفها على أحد المعابد •

#### التغيرات في عصر النحاس :

وعندما أهمل عصر الأسرات في مصر - وكان ذلك عقب بدء استعمال النحاس على نطاق واسع - قامت الدولة بإعداد جهاز كبير من الموظفين كان يتزايد على مر الأيام ، وكان أولئك الموظفون موزعين في شتى أرجاء البلاد ، يستخدمون معدن النحاس في معاملاتهم وكان كل مصري يود لو يعمل للحصص على هذا المعدن لصنع الأدوات اللازمة له • وما جاء عصر الأسرة الثالثة حتى ظهر منصب المشرف على الفيضان • وفي عهد الأسرة الرابعة نجد قائمة بأسماء عدد من المقاطعات منقوشة على خاتم أحد الموظفين وكان يشرف على أعمال مختلفة فيها ثم كان بعد ذلك مناصب قادة القلاع ومديرو مصانع الداخلية وغير ذلك من الوظائف • وقد

أعقب ذلك زيادة سريعة في عدد كبار الموظفين ، حتى جاء عهد استقرار الدولة العظيمة تحت حكم الملك ، وخوفو ، وحيث نجد أن ممتلكات الكهنة قد نقصت وشئون الدولة قد نظمت وفق أساليب جديدة استمر العمل على هديها منذ ذلك التاريخ .

وسوف ندرس في هذه المناسبة حالة الطوائف المختلفة التي تألفت منها طبقات المجتمع المتعددة وعلاقة كل منها بالأخرى مرجئين الحديث عن واجباتها في شيء من التفصيل إلى فصول لاحقة .

## مركز الملك

لقد كان الملك في مصر أكثر من كونه مجرد حاكم شرعي للبلاد فقد كان يعد نفسه السيد لكافة الدويلات التي انضوت فيما مضى تحت لواء حكومة مركزية واحدة تحت امره الملك مينا . لذلك نجد الملك قد اكتسب كافة الألقاب والامتيازات التي كان ينعم بها حكام تلك الدويلات (١) فيما مضى . وعلى هذا فقد كان

---

(١) كانت مصر مقدسة في فجر التاريخ مقاطعات وكان لكل مقاطعة إله خاص عبده وشعار يمثلها وكانت هذه المقاطعات مستقلة في بادئ الأمر . وبعد مضى زمن قامت حركة اتحاد في البلاد ، وذلك حينما تجمعت مقاطعات الوجه البحري في مملكتين الأولى في الغرب وعاصمتها « بحدت » بالقرب من دمنهور الحالية . والثانية في الشرق وعاصمتها « بوسير » بالقرب من سينود الحالية . وبعد فترة من الزمن اندمجت هاتان المملكتان في مملكة واحدة شملت الوجه البحري وأصبحت عاصمتها « بحدت » وكان إلهها حور (حورس) . وفي الوقت الذي اندمجت فيه



## الملك يحمل القبا. رسمية (١) كانت لحكام تلك الولايات • وعدا

الدلتا قامت مملكة أخرى في الوجه القبلي مؤلفة من اتحاد مقاطعاته واتخذت عاصمتها بلدة « نقادة » الحالية الواقعة بالغرب من « قلط » وكان الهيا « ست » .  
ثم قامت مملكة الشمال في الدلتا بعز مملكة الجنوب (بالصعيد) وأمكنها توحيد القطرين وأصبحت العاصمة في « بوسير » .

ولكن بعد فترة من الزمن دار أحوال الوجه القبلي برعاية « نقادة » وانفصلت عرى الاتحاد . ثم ظهرت قوة « بحدت » عاصمة مملكة « حور » في الشمال من جديد وتمكنت من احتضار مملكة « ست » في الوجه القبلي وتوحيد القطرين واتخذت العاصمة في مدينة هليوبوليس (عين شمس الحالية) حتى تكون في مركز متوسط من القطرين وكان ذلك عام ٢٤٤ ق.م. وكانت شارة هذه المملكة المتحدة « فرس الشمس الناصر جناحيه » الذي يشاهده الزائر في كثير من الآثار المصرية .

وبعد مضي فترة من الزمن ضمت مملكة هليوبوليس فانقسمت البلاد مرة أخرى لمملكتين أحدهما في الوجه البحري وعاصمتها « بوتو » (المعروفة الآن بشل الغربية) في شمال دموى والآخرى في الوجه القبلي وعاصمتها « تلخ » (وهي المعروفة الآن بالكوم الأحمر على شاطئ النيل الغربي في مواجهة « دلفو » ) . وقد تم توحيد البلاد للمرة الثالثة والأخيرة على يد الملك « ميناء » ملك الجنوب وأنشأ عاصمة الدولة المتحدة عند رأس الدلتا وسماها « النبعة البيضاء » وهي التي عرفت فيما بعد باسم « منف » أو « منفيس » وتوجد أطلالها الآن على مقربة من « النوردين » جنوب أهرام الجيزة .

وبالرغم من أن أهالي القطرين اندمجوا ناهيا بعد ذلك واختفت معالم ذلك الانقسام إلا أن ذكر مملكتي الشمال والجنوب ظل يرد على الآثار المصرية حتى آخر عصور التاريخ المصري . فكان الملك يسمى ملك الوجهين القبلي والبحري وكان « بيت المال » يسمى « البيت المزدوج » وهكذا ..

### (١) الألقاب الرسمية الخمسة للفرعون هي :

( أ ) « حور » وكان يطلق على الملك بمجرد اعتلائه العرش ومعناه أنه صورة حية من الآلهة : « حور » (حورس) تعيش على وجه الأرض . وكان هذا القالب ينقش داخل مستطيل يمثل واجهة الصدر الملكي وعلى قمته صورة الصقر الذي يرمز به للاله حور . »

ذلك فقد خلع الملك على نفسه ألقابا للوظائف الدينية التي كان يتولاها أو تلك الحكام .

على أن الوظائف الدينية التي كان يتقلدها ملك مصر لم تسجل تسجيليا وافيًا حتى يمكن تتبع أسسها الأصلية . فقد كان الملك يؤدي صلواته اليومية بوصفه الكاهن الأعظم للبلاد . وكانت كافة الهبات الجنائزية والقرايين تقدم باسمه من الناحية الشكلية . وكان المصريون كما هو الحال عند كثير من الشعوب القديمة يعتبرون أن رخاء البلاد ورفاهيتها تتوقف إلى حد كبير على حيوية الملك ونشاطه . ومن هنا فقط يمكننا أن ندرك سر ذلك النظام الصارم الذي قام على أساسه تحديد المواقيت اليومية لكل ما كان يؤديه الملك من أعمال . وقد جعله هذا النظام أشبه بسيد لوظيفته .

٢٢ (ب) «نبتي» أي التاجان الأبيض والأحمر وكان يمثل ينسر وصل (نعبان) يرتكز كل منهما على سلة رمزا للملكية . ويمثل هذان الحيوانان رمزين لمعبود مدينة «نخبي» في الوجه القبلي و «هوتو» في الوجه البحري .

(ج) «نسوت بيتي» ومعناه ملك الوجهين القبلي والبحري ويمثل بنباب «البوص رمز الوجه القبلي» والنحلة «رمز الوجه البحري» . وكان هذا اللقب يطلق على الملك في اليوم الذي يتوج فيه .

(د) «حورنب» ومعناه في الأصل «حورس الذهبي» لم تطور فيما بعد خاصية مدلوله في العصر المتأخر وعصر البطالة «حورنبتي» أي حورس المنتصر ، وهو يشير بذلك إلى انتصار «حورس» على عدوه «ست» الذي كان يقطن بلدة «نوبت» وهي «البلات» الحالية بالقرب من «قفط» كما ورد في قصة «إيزيس وأوزوريس» .

(هـ) واللقب الأخير هو «سا» رع ومعناه «ابن الشمس» وكان يليه اسم الملك نفسه داخل خرطوش .

وهناك مسألة أخرى كانت مثار دهشة عظيمة للاغريق تلك  
هي خضوع الملك التام للقانون .

ويروى المؤرخ ديودورس الصقلي (١) أن ملوك مصر لم  
يحكموا البلاد حكما أوتوقراطيا مطلقا كثيرهم من الحكام في الدول  
الأخرى ولم يحيوا حياتهم طليقة من كل ضابط أو قيد ، وإنما  
كانوا يراعون حرمة القانون في كافة تصرفاتهم سواء أكان ذلك  
خاصا بأمور الحكم أو بشئونهم الخاصة . وعندما بدأ الملوك الأقوياء  
في توحيد البلاد في فجر التاريخ المصري كانت الدويلات المنتشرة  
في أرجاء الوادي تخضع لهم بشروط تعتبر ملزمة للملوك وعليهم  
احترامها . ومن هنا جاءت فكرة تقييد سلطة الملك خلال العصر  
التاريخي .

ومن هذا نرى أن تقييد سلطات الملك في مصر جاء نتيجة  
تلك التقاليد القديمة التي آلت إليه باستيلائه على مختلف الدويلات  
التي كانت قائمة في مصر من ناحية ولشخصيته المقدمة كرمز لحياة  
مصر من ناحية أخرى .

---

(١) «ديودورس الصقلي» مؤرخ روماني ولد في جزيرة صقلية وزار مصر  
حوال عام ٥٩ ق.م أيام حكم البطالمة لها . واثف كتابا من أربعين جزءا في  
تاريخ العالم خصص جزءا منها لمصر . وقد ضاعت أغلب هذه الكتب ولم يبق  
منها الا ستة أجزاء .

## الوزير

في عهد الأسرة الأولى كان الوزير (١) وهو رئيس الأداة الإدارية يسمى حامل أختام الملك .

وفي عصر الأسرة الثالثة أصبح منصب قاضي القضاة « سبختي (٢) » أكبر مناصب الدولة . ولبت الوزير يحتفظ بلقب قاضي القضاة حتى زوال الملكية في البلاد . وكان الوزير قطب الرعي في الشؤون الرسمية فاهضا بأمور الإدارة والقضاء مما ويشلقى التقارير التي ترد من مختلف المقاطعات وستحدث عنه بتفصيل في الفصل الخاص بالإدارة .

وكانت باكورة الأعمال اليومية التي يزاولها الملك الاطلاع على الرسائل الواردة من أنحاء البلاد . ومن الواضح أن ما كان لديه من تبعات دينية وأعمال أخرى متعددة في حياته اليومية قد

---

(١) لم تكن وظيفة الوزير بمنأى عن المصالح المعروفة في مصر قبل بداية الأسرة الرابعة إذ أن أول وزير معروف يرجع إلى عصر الملك «سنفرو» وهو «نفر عامت» حفيد الملك «سنفرو» كما يقول بعض المؤرخين (انظر كتاب مصر ، لديتون ورجمة عباس بيومي ص ١٦٤) . أو «كانفر» ابن «سنفرو» كما يقول البعض الآخر (انظر سليم حسن ، في الجزء الثاني ، ص ١٤) . هذا ويعتقد بعض المؤرخين «كادوارد ماير» أن وظيفة الوزير كانت موجودة في عهد الأسرات الأولى ويعتقدون في ذلك على الكتابة التي وجدت على لوحة الملك «نارمر» (الذي يرجح أنه من قبل قوش رسم شخص يتبع الفرعون ويرتدي بجلد نمرود) . وهذه الكتابة تقرأ «لبت» وهو لقب منأى وزير ولكن ذلك غير مؤكد ولا يمكن الاعتماد عليه بصفة قاطعة .

(٢) «سبختي Sebekhti » أو «ساب سبختي» .

حال بينه وبين التفرغ الكافى لإدارة شئون الدولة • ومن أجل ذلك كانت وظيفة الوزير على أعظم جانب من الأهمية • وعندما وجهت الدولة عناية كبرى الى بلاد النوبة أصبحت الحاجة ماسة الى وجود منصب وزير ثان للجنوب • ولما حكمت الجنوب الكاهنات العظيمات (١) فى مدينة « طية » ورث مساعد ومن الكبار بطبيعة الحال منصب وزير الجنوب •

## توارث الحرف

وإذا نحن درسنا شئون العليقات المختلفة للمجتمع فى مصر القديمة نلاحظ وجود نسبة كبيرة من الوظائف والناصب والمهن انحدرت الى أصحابها عن طريق الوراثة وهو أمر جد طبيعى • ونشاهد مثل هذه الظاهرة فى إنجلترا وغيرها من الأقطار وذلك

---

فى عهد الأسرة الثالثة والمصريين النيلية الأصل لجاء الملوك الى حيلة بآلة للسيطرة على الأملاك الواسعة التابعة لمعابد الإله « آمون رع » إله طيبة فعمدوا لبناءهم رؤساء كهنة هذا الإله فى مدينة طيبة •

(١) وقد ابتدع أحد ملوكهم وهو « حورسكن » الثالث بدعة جديدة هى تعيين النساء فى هذه الوظائف • فعين أخته الكبرى « شين أوبت » كبرى كهنة آمون رع وبالتالى مشرفة على إيرادات معابده • وسار « تاتوت » الثانى على منوال أبيه • ولا غزا النوبيون مصر وطردوا الليبيين عسك الملك « شباكا » أخيه لى هسة النصب • وقد عرفت تلك الكاهنات فى التاريخ باسم « الكاهنات العظيمات لآمون » ولما كانت سلطتهن تمتد على النوبة والوجه القبلى فقد كان كبار مساعدين من الكهنة يمتدحون وزراء الجنوب •

على الرغم من أن لكل فرد هناك مطلق الحرية في تغيير مهنته كما  
يطلب له .

وعلى النقيض من ذلك نجد أنه إذا ما احترف شخص ما مهنة  
معينة استحال عليه احتراف مهنة أخرى غيرها . وإن السهولة  
الطبيعية التي كان يتعلم بها الابن حرفة والده جعلت كل جيل من  
الأبناء يتب على حرف الآباء ثم يعلمها بدوره لأبنائه . وهكذا تنتقل  
الحرفة بين أفراد الأسرة على مدى الأجيال ، ومن أجل ذلك فإن  
الأثر الذي يستقر في نفوس الاغريق عندما اختلطوا بهذا المجتمع  
أن بنيانه قام على نظام وراثي .

### تقسيم الأراضي طبقا لنظام الطبقات

وقد لحظ الاغريق أن كلا من الطبقات الثلاث المؤلفة من  
الكهنة والجنود والمزارعين يمتلك أُنصبة متساوية من الأراضي  
الزراعية . ويروي المؤرخ « استرابون (١) » أن هذه المساواة لم  
تكن مراعاة في مصر كلها بوجه عام فحسب ، ولكنها كانت مراعاة  
في كل منطقة على حدة . وإن تقسيم أراضي كل مقاطعة الى ثلاثة  
أنواع من الملكيات طبقا لما رواه استرابون وغيره من الكتاب الاغريق

---

(١) استرابون جغرافي ومؤرخ روماني زار مصر حوالي عام ٢٥ ق.م بعد  
الفتح الروماني لها . وظل بها خمس سنوات وألف عنها كتابا دالعا وصف فيه  
خطتها وأورد بعض الاشارات عن تاريخها . وأهم ما جاء في كتاب استرابون وصفه  
الدقيق المفصل لمدينة الاسكندرية .

يشبه ما ذكرته النصوص المصرية القديمة (١) من تقسيم كل مقاطعة  
في مصر ثلاث فئات :

١ - الحقول التي نفع على جوانب القنوات والترح وضفاف  
النيل .

٢ - الأراضي العامة أو المتوسطة الموقع .

٣ - الأراضي الممتدة على مقربة من حدود الصحراء وكانت عادة  
أكثر انخفاضاً من أراضي القسمين الآخرين ويعيها وجود  
بعض المناقع والبرك فيها .

ولتفصيل ما أجملتنا نجد أن الأراضي المتوسطة الموقع هي  
التي اختص بها الآلهة . فقد كانت في نصف مجموع مقاطعات  
الدلتا مخصصة للآلهة « رع » و « حورس » و « آمون » .

---

(١) أهم هذه النصوص ماورد على جوسق الملك «سوسرت الثالث» في  
الأمير . إذ دونت عليه جميع المقاطعات على هيئة قائمتين أحدهما شمسول  
مقاطعات الوجه البحري والثانية تحتوي على مقاطعات الوجه القبلي . ويذكر  
القائمة اسم المقاطعة متتله من أسوان التي تعتبر في نظر المصريين المقاطعة الأولى  
ثم اسم الإله الذي يعبد فيها واسم العاصمة . ثم مساحة الأراضي المزروعة التي  
تحتويها المقاطعة . هذا وكان عدد مقاطعات الوجه القبلي ٢٢ والوجه البحري  
٢٠ مقاطعة .

و « حابي (١) » و « سبك (٢) » و « بنو (٣) » •

وكان يطلق على هذه الأراضي اسم « الحقول المقدسة » ومن الواضح أن الكهنة هم الذين استأثروا بتلك الحقول • على أنه لم يرد في تلك السجلات القديمة عند الكلام عن القسمين الآخرين من الأراضي الزراعية ما يبين منه أنها خصصا لرجال الجيش أو المزارعين • وإذا اعتمدنا على الافتراض والاجتهاد فإنه يبدو جائزا أن الجند وقشد استحوذوا على الأراضي الزراعية المتاخمة للصحراء • وذلك لصد غارات البدو وأداء التدريبات العسكرية اللازمة والانتقال في سهولة ويسر عبر الطريق الصحراوية في أي وقت من السنة ومهما يكن من الأمر فالظاهر أن تقسيم الأراضي بين طبقات الشعب طبقا للسجلات القديمة يمكن أن يتمشى بوجه عام مع التقسيم الذي ذكره استرابون وغيره من المؤرخين •

ولنفحص الآن مسألة « تملك طبقة ما من المجتمع لمساحة

معية من الأراضي » •

(١) « حابي » إله النيل وكان يمثل على هيئة عجل •

(٢) « سبك » إله الفيوم في الأصل وكان رمزه المساح وقد انتشرت عبادته في كثير من جهات القطر •

(٣) « بنو » Benu : أحد آلهة الشمس وكان يمثل في شكل طائر ويبدو أن كهان مدينة هليوبوليس في فجر التاريخ المصري كانوا يشاهدون هذا الطائر يحط كثيرا على شجرة في معبد الشمس فربطوا بينه وبين عبادة الشمس •



لقد كان عيد الأرض يؤدون كافة الأعمال الزراعية في  
الأراضي المخصصة للكهنة وكانت معفاة من الضرائب . وكان  
يعمل فيها عدد من الأفراد مساو لعدد الأفراد الذين يعملون في  
أراضي القسمين الآخرين . غير أن محصول « الحقول المقدسة »  
كان يستحوذ عليه ويستأثر به طبقة رجال الدين . وكانت تلك  
الحقول قريبة النسبة بالأراضي الموقوفة على الأديرة في العهد  
المسيحي والتي كانت تتضمن شروط التنازل عنها بطريق الهبة  
للمصرف منها على بعض أبواب الخير كنفقات التعليم وتقديم المنح  
تشجيعا للشباب على مواصلة التعليم في الجامعات بالإضافة الى الأنفاق  
على نواح أخرى متعددة من الخدمات الاجتماعية .

أما فيما يختص بالأراضي التي كانت في حوزة رجال الجيش  
فقد بلغ عدد الجند في عهد « رمسيس الثاني » ستمائة وخمسين ألفا  
من الرجال كما رواه « ديودورس » ولعل هذا التقدير في جملته  
مقبولا . ذلك أن عدد سكان مصر وقتئذ قدر بحوالى اثني عشر  
مليوناً . وعلى هذا تكون ثلث مساحة أراضي مصر وهي المخصصة  
للجند بها أربعة ملايين نسمة . فإذا كان نصفهم من الرجال .  
وكانت سن التجنيد بين العشرين والستين . وإذا استبعدنا من هذا  
العدد من مات قبل أن يبلغ سن التجنيد . كان عدد الجيش المصري  
الذى صور « ديودورس » في روايته معناه أن الأراضي المخصصة  
للجيش لم تكن في حاجة الى استخدام عيد الأرض والأرقاء .

اذ كان ينهض بالعمل فيها في أثناء الحرب الكهول والنساء والعلماء •  
على أنه اذا فرض أن تعداد الجيش بلغ أربعمئة ألف جندي كما  
كان الشأن في عهد الأسرة السادسة والعشرين أو اذا كان مكونا  
من الأرقاء من كافة أنحاء البلاد فربما تطلب الأمر حينئذ  
استخدام عبد أو اثنين في ضيعة من الضياع الكبيرة من الاراضى  
المخصصة لرجال الجيش •

بيد أن واقع الأمر يستلزم أن يكون أمرا وسطا بين الاحتمالين  
السابقين •

والظاهر أن رجال الجيش ممن كانوا يملكون أرضا زراعية  
لم يكن في استطاعتهم الحصول الا على قدر محدود من معونة عبيد  
الأرض • فكان لذلك لزاما عليهم أن يقوموا هم أنفسهم بخدمة  
أراضيهم وزراعتها •

أما الطبقة الثالثة وهى « طبقة الفلاحين » فقد كان لها وضع  
من حيث امتلاك الأرض أو استئجارها يختلف عن وضع طائفة  
عبيد الأرض (١) الذين كانوا يعملون تحت إمرة الطبقتين  
الأخريين •

---

(١) استخدم المؤلف كلمة Self (عبيد الأرض) التى كانت تطلق على  
العمال الزراعيين في مقاطعات المصور الوسطى في أوروبا للدلالة على  
الذين كانوا يعملون في الاراضى في مصر • ولكن هذه الكلمة لا تدل تماما على الحالة  
الاجتماعية لهؤلاء الاجراء لانهم لم يكونوا عبيدا أو رقيقا ذلك أن الرق في جميع  
عصور التاريخ الفرعونى لم يتناول أى طائفة من أهالى البلاد • وإنما اقتصر على  
الأسرى الأجانب فقط •

وأن واقع أن مركز هؤلاء الأجراء كان يتغير على مدى العصور بتغير النظم السياسية والاجتماعية السائدة في البلاد . ففي الدولة القديمة اذنى بعض العلماء بأن عبيد الأرض كانوا يعتبرون ضمن الاملاك الخاصة بصاحب الأرض تنتقل ملكيتهم بانتقال ملكية الأرض التى يعملون فيها . واستندوا في ذلك على وثيقتين احدهما وردت في مقبرة أحد كبار موظفي الدولة في عهد الأسرة الرابعة المدسو «مثن» جاء فيها أنه خلف لأولاده ضيعة من الأراضي ومعها «الأنفارة» والمواشى وجاء فيها أيضا أن والد مثن ترك لابنائه أمواله اثنى كانت تتكون من «أنفارة» و « مواشى » .

والوثيقة الأخرى سند صادر من أحد أفراد حاشية الملك «حفرع» ورد فيها أن هذا العظيم جعل أمواله من ثروته و «أنفارة» للمؤسسة (أى الأرض والأشياء المعروفة على مقبرته) التى ذكرها السند . وأن هذا كله أصبح مما لا يمسوز التصرف فيه . وهذا معناه أن العمال أو الزراع من الأنفارة ينطبق عليهم التصرف كما ينطبق على الأشياء سواء بسواء .

ولكن يرد العلماء الكارثسون على هذا بقولهم أن هذه النصوص لا تعيد حتما أن العمال أو الزراع يعتبرون من الأرقاء . فالعامل أو الزراع وقتنا لهذا الرأى لم تنتقل ملكيته من شخص إلى آخر (س «مثن» إلى أولاده مثلا) . وكل ما هناك أن العقد الذى يربط العامل أو الزراع بمالك الأرض يعطى حقا شخصيا لهستأ المالك قبل العامل . ولهذا المالك إذا شاء أن ينقل حقه الشخصى هذا إلى من يشاء فيكون المالك الجديد قد حل محل المالك الاسلى في هذا الحق . أى أن المسألة هي مجرد انتقال للثمة لا انتقال للملكية . ويؤيد هؤلاء العلماء حجبتهم بأن جميع الناس في ذلك العصر كانوا أحرارا . كما ورد في مرسوم «دهشور» بأن العامل الزراعى لا يصل إلا ساعات معينة بالثهار . وكما ورد في مرسوم آخر للملك «مببى» الأول بأن العامل كان يعمل بأحر . وهذا كله دليل على أن العامل الزراعى لم يكن مملوكا لصاحب الأرض .

ولكن في أواخر عهد الدولة القديمة وفي الدولة الوسطى ازداد نفوذ الإشراف في الإقليم وكونوا اقطاعيات كبيرة حتى انتهى الأمر بهم إلى أن يصبحوا حكاما حقيقيين في إقاليمهم . ولما لذلك لقد الزراع الكثير من حريتهم وأصبح الملاك يتقاعدون معهم على البقاء في الأرض هم وأولادهم من بعدهم . وتطور الأمر بأن أصبح ذلك الأمر وراثة ينتقل من الشخص إلى ذلك ثم إلى حفيده بلا قيد ولا شرط . فكان الزراع ملاكما للأرض لا ينتقل منها إلى غيرها ولا يفرح المالك

فقد كانوا مزارعين أحرارا من صميم أفراد الشعب  
يكونوا خاضعين إلا لأداء الضرائب أو الأيجارات المقررة .  
أنهم كانوا يمتلكون الأراضي المجاورة لضفاف النيل و-  
الترع . وقد أتاح لهم موقع أرضهم الاستفادة بفترة أطول ل-  
الزراعي وذلك أنه كان في استطاعتهم استغلالها في كل حين  
بلغت حالة فيضان النيل من الانخفاض .

أما الطوائف الأخرى التي ورد ذكرها في كتب مؤ-  
الاعريق فهم رعاة الأغنام ورعاة الخنازير والصيادون واله-  
المهرة والتجار وربابنة السفن . ولم يكن أحد من هؤلاء  
أرضا زراعية . وكانت الطوائف الثلاث الأولى وهم رعاة  
ورعاة الخنازير والصيادون تقتصر أعمالهم على مجرد التقا-  
الأراضي القاحلة الحالية من السكان طلبا للكلا سبائمتهم .  
وقد استقينا هذه الحقائق عن طبقات الشعب المصري

منها أبدا . فأصبح بذلك تابعا للأرض . ولأدل على شدة ارتباط  
بالأرض في ذلك العهد من أن الكلمة الهيروغليفية الدالة على الضمعة (رد  
فكس الكلمة التي تطلق على الزراع . ولكن ليس في هذا كله ما يدل على  
الاسترقاق . فلم تكن للمالك ولاية على شخص الأجير أو الزارع . ولم تكن  
بينهما علاقة السيد بالمتسود بل علاقة التابع بالتبوع . وعلى ذلك أصبح  
الزراع نصف أحرار .

وفي عهد الدولة الحديثة أصبح هذا النظام وتحرر العمال الزراعي  
نظام النيعية . ولكن عادت الحال في العصر المتأخر إلى ما كانت عليه في  
الوسطى مع بارق واحد هو أن الانقطاعيين الأسبياد أصبحوا من الكهنة وأ-  
المحروقة بدلا من أمراء الأقاليم .

من المؤرخين المتأخرين (١) ولكتنا عثرنا على نص مصرى فى مدينة  
 أسيوط يرجع الى بداية الأسرة الثانية عشرة يذكر شيئا عن نظام  
 هذه الطبقات يختلف عما ذكره هؤلاء المؤرخون . فبدأ النص بذكر  
 الملك وموظفيه ، ثم يذكر طبقتين فقط يسمى احدهما « الرجل  
 الصغير » وفلاحه أو أجراه ( العبد ) أما الرجل الصغير فيقصد  
 به طبقة صغار الملاك من المزارعين وهم الذين يمتلكون مساحات  
 كافية من الأراضى تمكنهم من التبرع بهبات عقارية للمعابد على حين  
 تمثل طبقة الفلاحين أحط طبقات المجتمع ، ولا يملك أفرادها شيئا  
 وهى تعادل الطبقة الثالثة التى يشير اليها المؤرخون . هذا ولم يذكر  
 هذا النص شيئا عن طبقة رجال الدين أو الجيش ولعل السبب فى  
 ذلك أن رجال الجيش فى العصر الذى دون فيه هذا النص  
 ( عصر الأسرة ١٢ ) لم يكونوا قد أصبحوا طبقة منفصلة ، نظرا لأن  
 الملوك كانوا يعتمدون فى حروبهم على تعبئة أفراد الشعب (٢) ثم  
 يسرحونهم بعد انتهاء القتال فيعودون الى حرفهم الأصلية .

---

(١) المقصود بالكتاب المتأخرين هنا كتاب الاخرى والرومان ويعرفون أيضا  
 بالمؤرخين الكلاسيكيين .

(٢) كانت مهنة الجندي من المهن غير المرغوب فيها فى عهد الوثنيين القديمة  
 والوسطى . ودليل ذلك وثيقة من ذلك العهد كتبها أحد الحكماء يوصى ابنه  
 بالانضباط فى وظيفة الكتابة والبدء من مهنة الجندية والسبب فى ذلك يرجع الى  
 عدم وجود جيش موحد ثابت ولكن فى عهد الدولة الحديثة تغير الحال بعد أن  
 أصبح لمصر إمبراطورية واسعة الا أصبح مهنة الجندية المكان الأول بين وظائف  
 الدولة . واغلب القرائنة على جنودهم وشباطهم الرب والنيانين والانظاميات .  
 فصار الجيش طبقة منفصلة بين طبقات الشعب .

## السيد الكبير في القرية

ويظهر أن النظام الأساسي للمجتمع في الدولة في العصور  
القاهرة قد استمر كما هو دون تعديل أو تغيير (١) . فكان السيد  
الكبير في القرية يمتلك ما بين المائة والألف فدان وكان قصره  
مركز النشاط الاقتصادي والاجتماعي للقرية . وكان خدمه  
وحاشيته يؤدون وظائف رجال الشرطة ويقضون على المستضعفين  
من المذنبين ويسوقونهم قسرا في المساء للشول بين يدي ذلك السيد  
الأمر الناهي . فكان يستمع الى شكايات المعتدى عليهم ودفاع  
المتهمين ثم يوقع الغرامات المناسبة . وقد يتقدم الحاضرون بتمسكون  
استعمال الرأفة ويؤكدون عدم قدرة المحكوم عليهم على أداء  
الغرامات المطلوبة منهم . وهنا قد يعبد السيد الكبير النظر فيها  
فيتقصها ويفسخ بعض الوقت أمام المخالفين لتدبير الغرامات المقررة  
عليهم .

وقد كان قصر السيد الكبير بمثابة منتدى يقصده الأصدقاء  
والخلائق يشدون فيه الاستجمام والمتعة في كل وقت من الأوقات .  
فكنت تراهم مابين متجول في رحابه الفسيحة أو جالس على أرائكه

---

(١) يقصد المؤلف بهذا كبار الملاك وكان كثير منهم حتى ما قبل ثورة سنة  
١٩٥٢ يشغلون منصب العمدة . ويلاحظ أن كتاب المؤلف يرجع الى عام ١٩٢٢  
قد أعيد طبعه سنة ١٩٣٢ .

المدودة يتسامرون ويحتسون كؤوس النيد بين الفينة والفينة ،  
ثم يستأنفون حياة اللهو والتسلية ، ومسواء أكان سيد القصر غائباً  
عنه أم مشغولاً بأموره الخاصة فإن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً بالنسبة  
لهؤلاء السادة .

وان على السيد الكبير بعض التبعات تجاه السلطات الحاكمة .  
فقد كان يبلغ عن الجنايات الخطيرة ، ويحتفظ بسجل فيه أسماء  
المواليد من الذكور لاستدعائهم للتجنيد وقت الحاجة . وكان عليه  
أن يتأكد من أن مسجل الأراضى ومسجل الأيجارات يؤديان  
واجباتهما وأنهما يعملان على حفظ الأمن والنظام عامة وعلى تحقيق  
مآربه الشخصية بوجه خاص . ولقد كانت الفرص له مواتية فإذا  
كان فظاً غليظ القلب أسيراً لحمقه وتزقه أرهق الأهلين بظلمه  
وابتزاز أموالهم ، وإذا كان حصيفاً طيب القلب رفيقاً بالناس استفاد  
من التدبذب الطييعي للأسعار طول العام ، اذ يبيع الفسلاح عادة  
محصوله بثمن بخس عقب الحصاد مباشرة ، ويستطيع ذلك الحازم  
الحصيف أن يشتري فائض منطقة من المناطق ويخترنها . ومع ذلك  
ينظر إليه الناس نظرتهم الى المحسن المنقذ من الكرب والضيق .

ومن أقوال بعضهم :

ولقد قدمت الخبز لكل جائع وكسوت العارى . ولم اغتصب

شيئا من ملك الغير • ولم أنطق الا بالحق ولم أتحدث الا بالخير  
ولم أبرأ الا صدقا وما خشي انسان على نفسه في منطقتي ممن هو  
أقوى منه حولا أو أعز نفرا (١) • وقد يقول كثير من الأغنياء الآن  
في طول البلاد وعرضها هذه الأقوال وأمثالها كما كان يقول  
أضرابهم منذ نحو خمسين قرنا •

وللمحافظة على هذا المستوى الرفيع من العدل والانصاف  
فلابد من سيطرة يظفلة تشيطة كان يقوم بها حاكم الاقليم في الماضي  
ويقوم بها المدير في الوقت الحاضر وبدون ذلك يصيح ما ذكر  
من بر واحسان استثناء لا قاعدة • فالجيش واغتصاب الأملاك وابتزاز  
الأموال كانت الأمور الشائعة في كل العصور •

ان الاستقامة أصبحت منبوذة والظلم يضرب أطنابه في  
المجلس (Council) (٢) • ان القوم جميعا يسلكون طريق  
الخطايا والذنوب • ولم يعد للاجترام المتبادل بين الناس من أثر في  
الحياة ، بل ولم يبق للرجل الفقير من حول يدفع به عن نفسه ظلم  
من هم أقوى منه بأسا ، وان من يتفقد قولا يفقد صديقا ويكسب

---

(١) ردد ذلك القول أمراء الاقطاع في أواخر الدولة القديمة وفي الدولة  
الوسطى من باب المباشرة والتفاخر ووجدت هذه العبارات منقوشة على مقاميرهم  
في أسوان وبنى حسن (بالقرب من المنيا) .

(٢) كان في عاصمة كل مقاطعة مجلس Council يسمى المصريون  
(ازارات) موكل اليه الأمور القضائية .



عدوا لأن القلوب أصبحت لا تقبل الصدق (١) (B.D.R.) وهذا  
ما كان يحدث في مصر حتى عهد قريب (٢) \*

ومن البت أن تحمل كبار الملاك في القرى تبعه ذلك العيب  
وذلك أنه لو أتيح للفلاح العادي فرصة الاستحواذ على النفوذ  
والقوة والسيطرة لعامل الناس نفس المعاملة . ولهذا فإن الأمر  
يستوجب هيمنة قوية من جانب الحكومة على شئون البلاد كي يتحقق  
الأمن وتزدهر أحوال الشعب وهذا ما حدث في عهود « خوفو »  
و « أمنمحات » و « أمنمحب » \*

## طائفة الموظفين

وقد تعددت ألقاب الموظفين بدرجة عجيبة في عهد الدولة

(١) ردد هذه التماثلات الحريثة الكاهن « خع - خبر - رع - سنب » الذي  
كان كاهنا لاله الشمس في مدينة هليوبوليس في عهد الملك ستوسرت الثاني زمن  
الأسرة الثانية عشرة . وقد ظلت هذه التماثلات تردد لمدة أربعمئة عام حتى دولها  
أجدد الكتابة في عهد الأسرة الثامنة عشرة على لوح يوجد الآن بالمتحف البريطاني .  
ولعل هذا الرأي لا يصير من الواضح لأن مصر في ذلك العصر كانت في ازدهار عصورها .  
ولعله يعبر عن رأى متزمت .

(٢) لقد تغير كل ذلك الآن بعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ لتلاشت طبقة كبار  
الملك الاتعاضيين التي يتحدث عنها المؤلف . وأصبح كل مواطن يشعر بمسئوليته  
وكيانه في المجتمع . وربطت القومية بين جميع المواطنين برباط متين . ولذلك لم  
يعد الخوف من السلطة الحاكمة هو الوازع الوحيد بل هناك دوافع أخسرى  
تابعة من النفوس .

القديمة • حتى أنه كان من النادر العثور على مقبرة دون مشاهدة صفوف طويلة من ألقاب صاحبها مدونة على جدرانها (١) وقد اتسع نطاق هذه الظاهرة الفريسية حتى بلغت ذروتها في عهد الأسرة

(١) يرجع تمدد الألقاب الموطقة في مصر القديمة الى عدة أسباب منها :

( أ ) كان الموظفون شديدي الولع بالألقاب ، وكانوا ينشئون لقبا خاصا لكل عمل من أعمالهم القصائية أو الإدارية ، فإذا لزم مثلا أن ينتقلوا للأوامر الملكية الى منطقتهم لقبوا أنفسهم «المستشار للأوامر الملكية» . وعندما كانت واجباتهم تقتضيهم أن يديروا الاشغال العامة كانوا يسمون أنفسهم «المشرفون على اشغال الملك» و «المشرفون على المهام الملكية» فإذا جمعوا ضرائب العلال والماشية في دوائهم الادارية أو اشرفوا على الجيش الاقليمي حملوا لقب «المشرف على بيوت السحبة والتموين» أو «المشرف على ديوان الاسلحة» .

فإذا كان لهم مكتب يضم الكتبة المتصلين بعملهم حملوا لقب «المشرف على الكتبة» .

(ب) كان هؤلاء الموظفون يكتبون ألقابهم الصغيرة الى جانب الألقاب الكبيرة . ولذلك يجد الانسان في قائمة الألقاب الموظف الواحد تباينا كبيرا بين لقب صغير جدا « كاتب الخونة » وبين الألقاب الكبيرة .

(ج) بمرور الزمن أصبح كثير من الألقاب لحرية ولاندل على ممارسة الموظف فعلا للاختصاص الذي يخوله له اللقب . وكان الموظفون يكتبون هذه الألقاب مجرد الشرف . ومثال ذلك لقب «المقرب من الملك» و «الشافي بعد الملك» وهكذا ...

(د) كانت الوظيفة الواحدة معددة الاختصاص وهذا يؤدي الى أنه في ذلك الزمن السيد لم يكن المجتمع قد بلغ تعقيدته الحالي . ولما كان لكل ناحية اختصاص لقب ، فقد تعددت ألقاب الموظف .

(هـ) في أواخر عهد الدولة القديمة ضعف الملوك فصاروا يفتقدون الألقاب على كبار الموظفين وحكام المقاطعات بغير حساب .

السادسة . فقد دون « ايبى » على مقبرته فى دير الجبراوى (١)  
الألقاب الآتية :

فى البيروتوكول : « الأمير الوراثى » و « الذى يلى الملك فى المكانة »  
وفى البلاط الملكى : « حامل أختام الملك » و « المشرف على  
القصر الملكى » و « المكلف بخدمة العرش » و « رئيس  
الحجاب » و « المشرف على خزائن الثياب » و « كاتم السر » .  
فى القضاء : « رئيس القضاة » و « كاتب سجلات المعابد » .  
فى الدين : « رئيس المرتلين للتعاويذ والأسرار » و « الكاهن المكلف  
بتقديم القرابين » و « مدير الخدمات والعقوس الدينية  
و « كاهن أحد الأهرام » .

فى الأقاليم : « حاكم المقاطعتين » و « المشرف على صوامع الغلال  
ومناقع طيور الصيد وخزائن المال وشئون إقليم الجنوب » وهو  
أيضا « حامى حمى عاصمة الجنوب وقلمتها فى الكاب (٢) » .

---

(١) الأمير «ايبى» حاكم «مقاطعة طينة» (فى مديرية جرجا) فى الأسرة السادسة  
ومقبرته فى دير الجبراوى شرق النيل فى مواجهة منفوط وكان ابنا للأمير «راوة»  
صهر الملك «يبى» الاول .

(٢) «الكاب» مدينة «نخبة» القديمة وتوجد أطلالها شمال «أدفو» بقليل  
شرق النيل . وكانت عاصمة الصعيد قبل توحيد القطرين على يد الملك «ميناء» .  
وكان بها قلعة ضخمة . ولعل ذكر «ايبى» لهذا القلعة يشير الى ذكرى العهد  
البعيد عندما لم تكن حدود الدولة المصرية تمتدى هذه المدينة مما استدعى انشاء  
قلعة لحمايتها من هجمات النوبيين . أما وقد امتدت أملاك الدولة الى ما وراء  
حدود «أسوان» فقد أصبح لقب «حامى عاصمة الجنوب وقلمتها» فى «الكاب» من  
«اللقاب الشرف فقط» .

وهذه الألقاب وغيرها تصل إلى الأربعين منصبا كان يتقلدها رجل واحد ، وكانت كلها أو بعضها تأتي بإيراد طيب له .

لقد كان عدد الخدم الذين يحتفظ بهم كبار الملاك عظيما . وكانت حاشية كل أمير من أمراء « بنى حسن » (١) تنقسم إلى أربع فئات : الخدم الخاصون وخدم القصر وخدم الضياع ثم الموظفون . وتذكر فيما يلي عدد رجال الحاشية والخدم لسلك من الأمير « امونمحات » والأمير « خنوم حتب » على التوالي :

أولا : الخدم الخاصون :

كتبة ٥ - ٥ وحملة أختام ٢ - ٤ وناقل أخبار - ورئيس خدم وخدام شخصي وخدام لنشر الحسير أمام الأمير ونديم ، ووصيفة وأتباع ٤ - ١ .

ثانيا : خدم البيت :

مشرفون على الجناح الخاص لصاحب القصر ١ - ٢ ومدير للمستودعات والمخازن وأمناء للقصر ٣ - ٥ وكتبة للتأمين والمبادلة ٢ - ١ وكاتب لشئون الأغذية وأمين للمطبخ وأمين لأشياء أخرى ومستوردون لحاجات القصر ١ - ٣ ومساقى

---

(١) « بنى حسن » قرية في مديرية المنيا بها مقابر صخرية لحكام هذا الأقليم في عهد الدولة الوسطى أهمهم « امونمحات » و « خنوم حوتيب » وكان هؤلاء الحكام يمثلون الطبقة الاقطاعية في البلاد إذ كانوا شبه مستقلين في أقاليمهم .

وخبازون ٢ ومشرف على المقاسيل ومشرفات على شئون  
القصر ٧ - ٥ •

ثالثا : مستخدمو الضياع :

مشرفون على محاصيل الضياع ٥ - ٤ ومشرف على قطمان  
الماشية ورعاة ٤ - ٤ ومشرف على كل ألف رأس من  
الماشية وراعي حمر وراعي غزلان ومشرفون على مصايد  
السمك ٣ - ٣ ومشرف على قطمان الماعز ٢ - ٢ ومدير  
لكاتب الضياع ومشرفون على التجارين والتساجين وبستانيون  
ومشرفون على الطعام المحفوظ •

رابعا : الموظفون الرسميون المشرفون على الأعمال العامة :

حاكم القلعة وقائد عام لجيش الأمير ومسجلون حكوميون  
للاشراف على تحصيل الضرائب المستحقة ٢ - ٢ ومراقبون  
للمستحقات المنزلية ٣ - ومراقبون للخزانة ٢ - ورئيس  
محكمة وقائد للشرطة وقائد للجند ومحاسبون ٣ ومشرفون  
على شئون المقاطعة ٣ ومشرفون على شئون الصحراء ٢  
ومشرفون على الترع ومشرف على الصيادين • لأن الأمير  
« خنوم حنب » كان صيادا ماهرا وكثيرا ماجاب أطراف  
الصحراء طلبا للصيد والقنص بالشباك •

ولعل هذه القائمة تعطينا فكرة عن ذلك الجهاز الضخم من الموظفين والخدم الذين كانوا يساعدون الأمير في الخدمات العامة أو يقومون بخدمته الخاصة . وعلى الرغم من أنه لا يرد ذكر لتلك الوظائف جميعا في المقبرتين فليس ضروريا أن نستنتج من ذلك أنها غير موجودة في أحدهما لعدم ذكرها فيها .

إن كثرة عدد حملة الأختام إنما يرجع إلى أن الإيرادات والضرائب كانت ترد في مفادير صغيرة وكانت عينية . ولم تكن تدفع نقدا دفعة واحدة . ومن ثم كانت الصكوك المقتومة تسلم إلى أربابها طوال اليوم في مقابل الفلات الواردة أو المنصرفة .

## الحياة في المدن

وإذا انتقلنا لدراسة المناصب الإدارية الأقل درجة ( من درجة أمير مقاطعه ) فانه يروى أنه كان في كل مدينة من المدن ( مفسر للقانون ) . ولم يكن يشغل وظيفة القاضي بمعناها المعروف لنا الآن ولكنه كان حاكما ينظم أمور المدينة طبقا للقانون ويشرف على امداد المدينة بكل ما تحتاج إليه وكان موضع احترام القوم واجلالهم . وكان يرتدى البري الرسمي القرمزي . ويليه في الأهمية الكاتب أو « مسجل الوثائق الرسمية » ثم « قاضي القضاة » ثم « قائد عسس الليل » . وعلى الرغم من أن استرابون قد ذكر كل هذه الوظائف فانه يبدو أنها من بقايا نظم قديمة . وكان يحرم تحريما باتا على أهل

المدن من الصناعات الماهرة تغير حرفتهم . فقد أخذ القوم بالنظرية القائلة : ان خير سبيل لبلوغ غاية الكفاية هو التفرغ لمهنة يرتبها الانسان أبا عن جد ، بيد أن وراء الأخذ بتلك النظرية كان يكمن دافع آخر بأن هؤلاء الصناع ينبغي ألا يتدخلوا في الشؤون المدنية العامة . وهذه الحقيقة أيضا وإن كانت قد عرفت أيام « اسرابون » فمن الواضح أنها تمثل نظاما كان معمولاً به في العصور السابقة بغير ابقاء السلطة السياسية في أيدي الموظفين دون سواهم . وإن ذلك يوائم الفكرة القديمة ألا وهي احتقار أهل الريف الأمر الذي اتخذته الفنانون في تلك العصور مادة للسخرية في الرسوم الهزلية التي تتجلى على القبور . وإلى عهد قريب كانت طبقة الموظفين حتى أصغر كاتب تربي في الفلاح لقمة سائغة سهلة الازدراء ، وأن لا جناح عليهم أن يوقعوا عليه كل حيف أو أذى . لأنه مجرد فلاح (١) . ومع أنه كان هناك طائفة كبيرة العدد من المزارعين الأحرار ، إلا أن الأعمال التي كانت تتطلب مهارة وحذقا كان قد تخصص فيها صناع مدربون في دوائر النبلاء . ولم يكن في البلاد طبقة متوسطة كبيرة العدد حتى ينشط الطلب والاقبال على السلع والحاجات . وكان النيل وآل بيته يسدون حاجتهم ويحصلون على الأشغال الفنية من مقاطعته . أما الفلاح فلم يك يشتري كما هو الحال اليوم إلا الضروري من الحاجات ولم يكن في البلاد طبقة من

---

(١) أصبح كل ذلك في ذمة التاريخ بعد ان ردت ثورة ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٢ للفلاح اعتبارا وكرامته .

التجار الأثرياء لأن تجارة البلاد الداخلية كانت في تلك العصور ضئيلة ، أما التجارة الخارجية فمن المحتمل أنها كانت في أيدي أجنبية ، ولذلك كانت فرص النجاح محدودة في وجه الصناع الماهر الذي ينمي الاشتغال بالأعمال الحرة . ولم تكن طبقة الموظفين كبيرة العدد في الأزمنة الأولى إلى أن كان عصر الدولة الحديثة حين قامت حكومة مركزية قوية يسيرها عدد ضخم من الموظفين يكون طبقة متوسطة ذات قوة شرائية ذات بال . ونلمح هذا في حجم بيوت مدينة كاهون (١) في الأسرة الثانية عشرة فقد كان فيها ثلاثمائة وخمسين منزلاً للعمال وصغار الموظفين يتراوح عدد غرف كل منزل منها ٤ و ٧ غرف وكانت تلك المنازل صغيرة المساحة في صفوف متراصة مزدحمة . وإلى جوارها نجد اثني عشر داراً عظيمة يحتوي كل منها على حوالي ستين غرفة فوق ما بها من أبناء فسيحة ذات عمد عالية . والحق أنك لا تجد في تلك المدينة شيئاً وسطاً بين نراء عريض وفقير مدقع . ثم يمر الزمن وإذا بنا في عهد الأسرة الثامنة عشرة حيث كان المسكن العادي في مدينة « السارنة » يتألف من منزل مستقل مكون من اثني عشرة غرفة متوسطة الحجم ويحيط بها فناء فسيح . فالفرق بين مساكن المواطنين العاديين من أفراد الشعب ومساكن الأثرياء المترفين في عهد

(١) « كاهون » كلمة سريها للمعبد بترى عن اللفظ « الكاهون » وهي بقعة لثرية بالقرب من الفيوم أجرى بها بترى عدة حفائر هامة وقد أخذ المؤرخون الإغنياء منه هذه الكلمة واستخدموها في كتبهم .



كل من الأسرة الثانية عشرة والأسرة الثامنة عشرة يشبه الى حد كبير الفرق بين المنازل الفقيرة في حي مصر القديمة بالقاهرة والفيلات الجميلة في ضاحية المعادي . ومن هذا يتبين أن طبقة الصناع الفنين قد أخذ يظهر لها كيان مستقل . وان سار هذا التغير سيرا بطيئاً وجاء في وقت متأخر نوعاً بالنسبة لتطور المجتمع المصري . على أن هذه الطبقة رغم هذا لم يكن لها نفوذ في الحياة السياسية في البلاد كما كان للموظفين والكتبة . وقد وجد في المجتمع المصري منذ أقدم العصور طائفة من التجار الأحرار ، غير أن عددهم كان قليلاً وبلغوا من القوة حداً لم يستطعوا معه أن ينعموا بنفوذ يذكر في شئون الدولة .

والظاهر أن الطبقات الدنيا من العمال غير الفنين كانوا يعملون جماعات . إذ أننا نجد في عدة حالات النظام الذي كان يقضى بأن كل عشرة لهم رئيس من أنفسهم . وكانت تلك النسبة معمولاً بها بين عمال مناجم سينا .

وقد وجدنا بين تماثيل المجنات ( الأوشابتي (١) ) أن كل

---

(١) كلمة مصرية قديمة معناها «المجنات» أو التي «تجيب على النداء» أطلقها المصريون القدماء على تماثيل صغيرة من الخشب أو القاشاني على هيئة المومياء كانت توضع في قبر الميت . وقد كثرت هذه التماثيل بدرجة عظيمة في الدولة الجديدة حتى بلغت الآلاف في مقبرة واحدة . وهي تدل على مدى الثروة والدفعة التي سادت في مصر أيام ذلك العصر . ذلك أن المصري كان يتصور الجنة وإن كل من يدخل الجنة مهما علت مرتبته فسوف يعمل في الحقول الأخروية . وليس من شك أن هذا التمثيل يرجع إلى المعبود المبكرة من التاريخ المعروفين عندما كانت جمهرة الشعب من الفلاحين . ولكن في الدولة =

عشرة تماثيل عادية لها رئيس يلبس مشترا أو عباءة • وكان رؤساء العمال يستطيعون جلب مئات منهم للعمل في المشروعات الكبيرة •

## الأشغال العامة

وكانت هذه الطريقة هي السائدة في جمع عمال المعادن وعمال المقابر • وإن تسخير العمال في المشروعات العامة وهو ما يسمى « بالسخرة » كان دائما ظاهرة مألوفة لتنفيذ المشروعات • فقد كان الفيضان يضر الأرض ويحيط بالقرى فلا يجد الفلاحون عملا يعملونه • وفي الوقت ذاته كان يهدد الجسور الرئيسية بالانهيار وهي الجسور التي كانت تتوقف على سلامتها حياة البلاد • وقد استوجب الصالح العام تسخير العمال للمحافظة على منشآت الري والجسور وزد على ذلك فإن هناك فترة في أوائل الصيف بعد جني المحاصيل من الأرض حوالي شهر إبريل • وهذه الفترة التي تصل إلى ثلاثة أشهر ( مايو ويونيه ويولية ) قبل حلول الفيضان لا يجد العمال الزراعيون في أثنائها أي عمل في معظم الحقول الزراعية •

---

• الحديثة أصبحت الفكرة عن الجنة بهذه الصورة لا تلائم مصر • فالمصريون قد استنكفوا أن يؤدوا هذه الأعمال الشاقة فوضعوا في مقابرهم تماثيل بجان لشكون بدلا عنهم تقوم بالعمل الذي سيقفون به • وذودوا كل تمثال بفأس ووثيل • وكتبوا عليه العبارة الآتية «أيها الأوشابتي» إذا نودي عليك في الآخرة للقيام بعمل في الحقول بدلا مني لتثقل عندك هاتلدا •

وخلال تلك الفترة تجف الترع والقنوات ولذلك يسخر العمال في هذه الفترة أيضا لتطهير الترع وتسيقها • وإذا فقدت الأعمال الرئيسية الخاصة بشئون الري في البلاد تتطلب العمل فيها في وقت لا يقوم خلاله الفلاح بأي عمل • وبذلك أصبح تشغيل الفلاحين في الخدمة الاجبارية أمرا طبعيا • والعمل في الجسور والسدود يتطلب تنظيما دقيقا • فمثلا اذا تسرع المزارعون المشتركون في أحد الأحواض الى فتح الجسور في غير الأوقات المناسبة وغمر الحوض بالماء دون تنظيم دقيق فربما ترتب على ذلك اغراق بعض القرى المجاورة • ولهذا فقد كان وضع نظام دقيق أمرا لا بد منه في كل الحالات • ثم ان المخازن التي تودع فيها المواد المستعملة في تقوية الجسور واصلاحها تتطلب عناية خاصة • وقد شاهدت رجلا يجلد على قدميه لأنه سرق بعض الأخشاب والحبال • وبذلك عرض حياة البلاد للخطر في حالة حدوث ثغرة في أحد الجسور • هذا الى أن طوائف الفلاحين كانت تحتاج الى بعض الرعاية حتى لا يساء استعمال نظام السخرة • فقد يجبر مئات العمال على عمل قد لا يتطلب سوى عشرات قليلة منهم • فاذا انعدم الانصراف وساعات الادارة انحلت عزائم العمال ومالوا الى التسكع وربما لا يجدون ما يكفيهم من الغذاء • وكانت السخرة في العصر الروماني تقتصر على خمسة أيام في السنة •

## تسخير الرقيق

وكان استخدام الأرقاء ضيق النطاق في العصور الأولى من تاريخ مصر • وهؤلاء الأرقاء غير عبيد الأرض الذين كانوا مرتبطين بالمزارع التي يعملون فيها • ولهم هناك مساكنهم الخاصة ولا يجوز التصرف فيهم بالبيع •

وفي عهد الأسرة الثانية عشرة كان من الممكن تأجير الرقيق وأسرته لأداء بعض الأعمال ، ولكن ليس هناك دليل واحد على التصرف فيهم بالبيع والشراء •

على أن الأمر كان يختلف فيما يتعلق بأسرى الحرب إذ كان تقل ملكيتهم من الأمسور المقررة سواء أكان ذلك بأمر الملك أم عن طريق البيع • بيد أننا لم نعلم إطلاقاً على أي دليل على وجود أرقاء من الزوج في عهد الأسرة الثانية عشرة • أما في عهد تحتمس الثالث فلم يتعد مجموع عدد الأسرى الذين وقعوا في قبضته خلال عشرين عاماً من حروبه عشرة آلاف أسير • وهو رقم لا يسهم بمقدار يذكر في تعداد سكان مصر • ومع ذلك فقد كان هؤلاء الأسرى من الصانع المهرة والنساء الممتازات • ولذلك صار لهم قيمة بعد تفوذ واسع على الطبقات الحاكمة في البلاد • ولقد مرت الحقبة الباقية من عصر الأسرة الثامنة عشرة بعد تحتمس الثالث دون قيام حروب كثيرة • ولهذا كان من المحتمل ألا يزيد عدد الأرقاء العاملين الا قليلاً • مع العلم أنه من الجائز أن الأرقاء الذين جيء

بهم قبل ذلك الى البلاد من الخارج قد اندمجوا في المصريين خلال  
بضعة أجيال . هذا ويبدو أن رمسيس الثانى خلال حروبه  
التواصله لم يجلب معه سوى عدد قليل من الأسرى . وقد استهلت  
الأسرة العشرون عهدها بالحصول على عدد كبير من الأرقاء أسرهم  
رمسيس الثالث . وهو الذى وهب لخدمة المعابد وحدها ١١٣٤٣٣  
أسيرا فى الفترة التى قضاها فى حكم البلاد . ولاشك أن الجانب  
الأعظم من هؤلاء الأرقاء أسرهم هذا الفرعون عندما قضى على  
الهجمات المسلحة التى قامت بها الشعوب المهاجرة القادمة من الغرب  
ومن الشام . ويحتمل أن أعدادا أخرى من هؤلاء الأسرى  
استخدموا فى المشروعات الحكومية أو وزعوا على رجال الجيش  
والموظفين . ولذلك لا تكون مبالغين اذا افترضنا أن عدد الأسرى  
الذين دخلوا مصر فى عهد ذلك الملك قد بلغ ربع مليون أسير .  
وهو ما كان يعادل ١٠٪ من عدد السكان العاملين فى البلاد بيد أن  
الجانب الأكبر من هؤلاء الأسرى كانوا يؤدون أعمالا غير منتجة .  
ولذلك وقع عبء اطعامهم على كاهل بقية سكان البلاد .

ان كافة المواد الغذائية التى كانت تقدم قرايين للمعابد فى شتى  
أنحاء الدولة ما كانت لتفى بسد حاجات هؤلاء الأسرى لمدة تزيد  
على سدس المدة التى قضاها رمسيس الثالث فى حكم البلاد . وكان  
هناك نوع غريب من الاسترقاق فى عهد الأسرة السادسة والعشرين  
وهو نظام الاسترقاق بمقتضى عقود مترف بها . فقد كان الرجل

يوافق على أن يتعاقد مع آخر على أن يكون كرقيق له مدى الحياة لقاء دين عليه أو لقاء أجر لعلاج من مرض ألم به • وكان هذا الرقيق يتنازل عن كافة ممتلكاته بل عن أطفاله حينذاك ومن سيولد له في المستقبل • وإذا كان هذا النوع من العقود قد عمل به في عهد ازدهار الحياة في مصر فالراجح أنه كان شائعا في عصور الشدة والضيق • وقد حدث في إحدى غزوات الامبراطور أغسطس ضد أثيوبيا (١) أن وقع عدد كبير من الاثيوبيين في الأسر فأحتفظ الامبراطور بألف أسير منهم ليكونوا ملكا ليمينه وبيع الباقي جهارا باعتبارهم من غنائم الحرب •

وخلاصة القول أن تجارة الرقيق في مصر لم تبلغ قط ذلك المبلغ الخطير الشائن الذي بلغت في كل من اليونان وايطاليا • وذلك لأن نظام العمال الأجراء الذي يبدو أنه كان متبعا في كافة عصور التاريخ في مصر قد جعل أصحاب الضياع الواسعة في غير حاجة الى الأرقاء • ولقد كان نظام تسخير العمال في مصر قد سار في حدود الاعتدال ، وخلا في معظم الأحوال من مظاهر الايذاء والقسوة • ولذلك لم يقف حائلا في سبيل ظهور الكفايات الممتازة بين العمال المسخرين ، ذلك الى أنه جنب البلاد الحراب الذي يجره الرق عادة •

---

(١) اثيوبيا هي الاسم الذي أطلقته المؤرخون القدماء وخاصة الانغريز على المنطقة الممتدة من وادي حلفا حتى الخرطوم ولا تشمل بلاد الحبشة • وكان المصريون القدماء يطلقون على اثيوبيا هذه «بلاد كوش» (انظر سسليم حسن مصر القديمة جزء • (١ ص ٧٧ - ٧٨) •

## تنظيم العمل

اتنا نجد أوفى بيان للعمل في العصور الأولى في تلك المعلومات والبيانات التي سجلها هيرودوت (١) عن بناء الهرم الأكبر . وعلى الرغم من أنه قد مضى آلاف السنين عليها قبل تدوين هيرودوت لها ، إلا أنها تصور ظروف الحياة في تلك العهود الغابرة تصويرا صادقا الى حد يجعلنا نتق في صحة نقلها . انه يذكر أن مائة ألف من العمال كانوا يشتغلون في نقل الأحجار مدة ثلاثة أشهر متتابة . وهذا يتفق والوضع الطبيعي لامكان الاستفادة من عدد كبير من العمال زمن الفيضان وهو الوقت الذي يظل فيه هؤلاء العمال الزراعيون بلا عمل . هذا الى أن ارتفاع منسوب مياه النيل وقتئذ قد ساعد على نقل الأحجار عبر الوادى بأسره من سفح الهضبة الشرقية الى سطح الهضبة الغربية . ويستطرد هيرودوت فيقول ان هؤلاء العمال قد أمضوا عشر سنوات في انشاء الطريق

---

(١) هيرودوت مؤرخ يوناني زار مصر حوالي عام ٤٥٠ ق.م وألف عنها كتابا ظل أهم مرجع في تاريخها القديم حتى استطاع علماء الآثار حل رموز اللغة المصرية ومعرفة التاريخ المصرى من كتابات المصريين انفسهم . وقد وجد ان جزءا كبيرا مما كتبه هيرودوت على جانب من الصواب . ولو انه نقل كثيرا من المعلومات المشوهة وبالف فيها لاثارة اهتمام قرائه . وقد سمى هيرودوت بها التاريخ لشهرته وذيوع صيته .

المؤدي الى الموقع الذي أختير لبناء الهرم (١) وفي تمهيد ذلك الموقع وفي حفر المر السفلى والغرفة الملحقة به . ثم كان أن أستغرق بناء الهرم نفسه عشرين عاما . وهذا الزمن الطويل يفيد أن طائفة من ثمانية من العمال ( وهو أكبر عدد يمكن استخدامه لنقل كتلة حجر واحدة ) كان في استطاعتها نقل عشر كتل من الأحجار الضخمة من الحجر في الهضبة الشرقية عبر النيل (٢) ثم على الطرق المرتفعة الممتدة على منحدرات الصحراء الغربية تم رفعها الى أماكنها في مبنى الهرم وذلك في غضون ثلاثة شهور وكان من الممكن أن يتم ذلك متى توفرت أسباب حسن الإدارة والتنظيم . وإلى اليوم يمكن مشاهدة عدة طرق موازية لذلك الطريق الرئيسي الكبير ممتدة فوق الهضبة . ومن المؤكد أن تلك الطرق الفرعية كانت خلال فترة البناء غاصصة بطوائف العمال وقد أخذوا يدفعون أمامهم آلاف الكتل من الصخر كل يوم خلال موسم العمل . ومما لا ريب فيه أن طائفة من البنائين المهرة قد استخدموا في بناء الكسوة البديعة المحكمة البناء ، والممرات الداخلية في ذلك الهرم . ويمكن

(١) هذا الطريق يعرف في علم الآثار بالطريق الموصل بين المعبد (Causeway) لأنه بعد اتصاله ببناء الهرم كان يستخدم للربط بين المعبد الجنائزي الملاصق للهرم وبين معبد الوادي القريب من النيل . إذ كان كل هرم معبدان وطريق . ويمكن مشاهدة بقايا هذا الطريق شرق الهرم الكبير في المسافة الممتدة الى قرية نزلة السمان .

(٢) كانت الحجارة تقطع من محاجر طره الواقعة شرق النيل وهذه الحجارة كانت تستخدم في بناء كسوة الهرم وبعض ممراته الداخلية . أما كتلة الهرم نفسه فقد بنيت من الأحجار المقطوعة من صخر الهضبة القائم عليها الهرم .



مشاهدة التكنات التي خصصت لاقامة هؤلاء البنائين الى اليوم . وهي  
تسع لسكنى أربعة آلاف رجل بصفة دائمة . فاذا كان نصف هذا  
العدد من البنائين قد تفرغ لانجاز عملية بناء الكسوة الخارجية كان  
على كل واحد منهم أن يعد قطعة واحدة من هذه الكسوة اعدادا  
دقيقا ويثبتها في مكانها في ثلاثة أسابيع أو أن يقوم بذلك العمل  
ثلاثة رجال في مدة أسبوع . وهذا تقدير معقول . ومن الطبيعي  
أن تثبيت الكتل الحجرية الضخمة في القاعدة قد أستغرق وقتا أطول  
من ذلك بكثير . كما أن تثبيت الحجر الواحد في المداميك الصغيرة  
استغرق نصف تلك المدة . ان هذا العمل العظيم وما كان يتطلب  
انجازه من جماعات ضخمة من الرجال كان لابد له من مهارة فائقة  
في التنظيم . ولولا هذا التنظيم المحكم لوجدنا هؤلاء الرجال قد  
تراحموا في فوضى واضطراب في منطقة البناء الضيقة . وقد كتبت  
تفاهات كثيرة عن مدى الظلم الفاسد الذي وقع على كاهل هؤلاء  
العمال وعما أذرفوا من دموع وأطلقوا من أنين . لقد كان الاشراف  
على هؤلاء القوم محكما بفضل ذلك التنظيم البديع الذي يدل عليه  
ذلك العمل العظيم . ولم تستعمل أية قسوة ولا شدة ولا عنف (١)

(١) هذا رأى أحد علماء الآثار الانجليز الذي تخلص الى حسنة كبير من  
استعمارته وشهد شهادة حق واتصاف بأن الاهرام لم تبني بالام الشعب المصري  
ودموه . وكان يحلو للمؤرخين المفرضين ان يشوهوا تاريخ مصر ويسفوها احلام  
المصريين الاقدمين ويقولوا من قدر حضارتهم حتى يفسفوها في المصريون الحاليين  
روح الامتزاز بماضيهم ويصرفوهم من التشبه باجدادهم ليظفروا الى الابد  
خاضعين خائعين .

في اتمام ذلك العمل فقد كان كل فرد في البلاد مكلفا بالعمل بنظام السخرة مرتين فقط طول حياته • وكان يعيش في دعة ويسر كما لو كان في منزله ، اذ لم يكن في استطاعته أن يعمل شيئا خلال فترة فيضان النيل (١) •

وغاية ما هو مطلوب من كل عامل أن يجلب معه مازنته قطاران من المواد الغذائية اللازمة لاستهلاكه الشخصي • وهو ما كان يستهلكه حتما لو ظل قابعا في عقر داره (٢) ولاشك أنه كسب عظيم لهؤلاء القوم أن يتعلموا نظام العمل الجماعي ويتلقوا دروساً عملية في التدريب المهني •

---

(١) كان هذا الاجراء يدل على مبلغ الوهي وبعد النظر الذي تميزت به حكومة البلاد عندئذ ، ففي موسم الفيضان كان الفلاحون يظلون بلا عمل • ولا شك أن هذه البطالة كان نتيجتها ازدياد نسبة الجرائم في البلاد • فكان جمع الفلاحين وشغل فراغهم في بناء الاهرام خير حل لتلك المشكلة • وبذلك لم يتسبب بناء الاهرام في تعطيل مرافق البلاد والتأثير على اقتصادها ودفاعيتها كما يقول المفرضون •

(٢) يلاحظ أن رأى المؤلف في هذا الصدد يخالف آراء كثير من علماء الآثار بأن الدولة هي التي كانت تنفق على هؤلاء العمال • فقد ذكر المؤرخون القدامى امثال « هيرودوت » و « ديودور » أن الفراعنة كانوا يصرفون الطعام والملبس للعمال ، وأن ما صرف لعمال الهرم الأكبر من الفجل والبصل والثوم فقط بلغ ثمنه ١٦٠٠ تالنت من الفضة (الثالث تساوى ٢٤٠ جنيها تقريبا) • ورغم أن هذا لا يمكن الاعتماد عليه كثيرا نظرا لأن هؤلاء المؤرخين استعملوا هذا القول من التراجمة الذين يشك في معلوماتهم ، فلا ريب أن الفراعنة من بناء الاهرام لم يعتمدوا في تمويل العمال على ما كان يجلبه هؤلاء العمال معهم فقط كما يقول المؤلف •

وهكذا توارثت الأجيال التالية المهارة التي تتطلبها الأعمال الجماعية . وقد تجلى ذلك في قدرة المصريين فيما بعد على نقل الأثقال الهائلة كما بدا ذلك واضحاً في عهد البطالة اذ تمكن أربعة آلاف مجدف من توقيت تحريك المجاديف بدقة تامة لتسير السفن المنظمة التي وصفها الكاتب أتنايوس (١) في بعض مؤلفاته .

### أعمال المرأة

لقد كان عمل المرأة ولاشك عند السواد الأعظم من الشعب ينحصر في العناية بشئون المنزل وإعداد الطعام ، ولكن مما يدعو الى الدهشة أن تلك الواجبات كان ينهض بها خدام من الرجال في القصور ، وفي الأوساط الراقية . فكان الرجال في تلك البيوت الكبيرة ينهضون بأعمال الطهي والخدمة المنزلية وتحرير المكاتبات وعزف الموسيقى . وقل أن تصادف سيدات يقمن بهذه الأعمال . بيد أنهن كن يقمن بغسل الملابس . وكان للمرأة أعمال عديدة تؤديها في الحقول ، فهي التي كانت تنقل محاصيل الحقل فتحملها على رأسها في سلال صغيرة بينما تحمل الدواجن في يدها . وكانت المرأة عدا ذلك تتوجه لشراء الحاجات من الأسواق . وكانت تقوم بتذرية الحبوب عقب الحصاد . وقد وجد في حالة واحدة أن امرأة كانت تقوم بتسيير سفينة كبيرة للبضائع على أن كل ما تقدم ذكره

---

(١) عالم نحوي أغريقي عاش في مدينة «نقراطيس» في أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث بعد الميلاد .

انما يشير الى عمل المرأة ابتداء من الأسرة الرابعة الى الأسرة السادسة ، فان الرسوم المنقوشة على الآثار والتي يرجع تاريخها الى عصر الأسرة الثانية عشر تبين أن النساء كن يقمن بالغزل والنسج والعزف على الآلات الموسيقية . أما في الأسرة الثامنة عشرة فقد أنفرد الرجل بعملية النسج . فإذا ما كان عصر الاغريق نجد النساء طبقا لبعض الروايات يذهبن الى الأسواق ويتاجرن على حين كان يقبع الرجال في المنازل ليقوموا بعمليات نسج الثياب (١) .

#### الاعمال في الجبانات

وكانت في مصر طائفة كبيرة العدد من الرجال لا يسهمون في الانتاج القومي . وهم أولئك الذين يقومون بتلك الأعمال الواسعة النطاق الخاصة بأعداد المقابر . وكان حفر المقابر في الصخر يتطلب جهدا عظيما . وقد بلغ اتساع بعض حفر المقابر في عهد الأسرة الرابعة ثمانية أقدام مربعة وعمقها ثمانين قدما (٢) . وفي بعض

---

(١) هذه إحدى روايات المؤرخ « هيرودوت » ويجب ان تؤخذ بحرص .

(٢) كانت أغلب المقابر في عهد الدولة القديمة تتكون من غرفة فوق سطح الأرض داخل بناء يشبه المنصبة . وكانت هذه الغرفة بمثابة « مزار » يجتمع فيه اقارب المتوفى . وفي جانب من المزار بشر عمودي منحوت في الصخر يؤدي الى حجرة الدفن .

المقابر الأخرى كانت تنحت في وجه حف الهضبة أبياء عظيمه  
يتراوح اتساع أحدها بين ٣٠ و ٤٠ قدما (١) .

وتوجد في طيه مئات من المقابر ترجع الى عهد الأسرة ١٨  
قد نحتت في جوف الصخر ثم سويت جدرانها بتغطيتها بطبقة من  
الجص نقش عليها كثير من الصور والنقوش (٢) .

وكان يعمل بجانب عمال نحت المقابر طائفة كبيرة العدد من  
الرسامين والفنانين . ولا يوجد عصر من العصور في أى جزء من  
العالم صورت الحياة فيه على جدران المقابر مثلما صور عصر الدولة  
القديمة على جدران مقابر سقارة (٣) . وإن قبر نيل من النبلاء  
يشتمل عادة على ما يتراوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ قدم مربع من النقوش  
بها ما يتراوح بين مائة أو مائتين من رسوم الأشخاص ، وتتجلى  
فيها الحياة والحركة وقد تطلب ذلك استخدام عدد كبير من العمال

---

(١) هذا الطراز من المقابر ساد في عصر الدولة الوسطى واحسن مثال له  
مقابر أمراء بنى حسن وكانت المقبرة تتكون من بهو كبير منحوت في الصخر به  
مدخل تسمى بده أعمدة مضلعة تشبه في طرازها الطراز النوبى المعروف في  
العمارة الإفريقية . ويؤدى المدخل الى بهو كبير على جدرانه رسوم ونقوش  
ملونة . وفي أحد جوانبه بئر يؤدى الى حجرة الدفن . وبشاهد الزائر هذه  
المقابر من بعيد وهو تطل على النيل .

(٢) توجد هذه المقابر في «القرنة» بغرب الأقصر لأمراء وإشراف الأسرة  
الثامنة عشرة . وأهمها مقابر « نحت » و « منا » و « رخمير » . وتتألف في  
مجموعها من مزار صغير منحوت في الصخر محلى بالصور والنقوش به البشر  
المؤدى الى حجرة الدفن .

(٣) أشهر هذه المقابر هي مقابر « نى » و « ستاح حنب » .

من مختلف الكفانيات ما بين قاطع الأحجار والفنان البارع • ولكن بمرور الزمن لم يعد العمل الفني ذا أهمية كبيرة إذ غلبت الروح التجارية على المقاولين وخاصة متعهدي الدفن فكانت عمليات التحنيط تؤدي بلا عناية وأجسام الموتى تلف لفاً ينبىء عن عدم تكرات • وكانت طرق الغش عند المحنطين متعددة • كوضع جسمجة رجل وعظمة من فخذه داخل كفن طفل محنط ( حتى يخدع مظهرها أهل الطفل ) ولاب التماسيح في القش ( بدلاً من الكتان ) ووضع العظام مع القلط (١) وكان عمال حفر المقابر يكونون مستعمرات في الجبانات وكانت لهم درجات بعضها فوق بعض في المرتبة والنفوذ • وكانوا يخرجون متظاهرين اذا ما أهملت جراياتهم ويتعاركون للحصول عليها (٢) •

والى جانب هؤلاء القوم كانت توجد طوائف الكهنة الكبيرة

---

(١) لجأ المصريون التماساً للبركة الى تحنيط الحيوانات المقدسة ووضعها في منازلهم ، فكان الشخص يسلم الى المحنط جثة قطة او تمساح ويطلب منه تحنيطه لكي يحتفظ به في منزله او مقبرته . وكان يعطى المحنط اجرا على ذلك (٢) كان اقارب المتوفى - كما هو الحال اليوم - يذهبون الى المقابر ليؤاسم والاعساد ( الطلعة عندنا ) ومعهم القرايين لتقديمها ( راحة ) على ارواح الموتى • ومن العجيب ان كلمة الطلعة هي ترجمة للكلمة المصرية « برت » التي تعني نفس المعنى . كما ان كلمة راحة هي الاخرى ترجمة للكلمة المصرية « حنط » . اما كلمة نور فتشير الى العقيدة المصرية القديمة بتمنى خروج ارواح الموتى من القبر المظلم الى ضوء النهار . ولاستدعاء هذه الارواح كانت تقدم اليها القرايين فتخرج من ظلام القبر الى نور الشمس للتمتع بهلله القرايين . وهكذا مازال الحاضر يقيع في ثانيا الماضي .

الذين كانوا يقومون بأداء الطقوس الجنائزية • ولم يكن عملهم ينتهى عند دفن الميت بل كان يستمر لأعوام طوال بما يقدمونه من قرابين الى روح الميت وفقا لعقود مبرمة (١) •

كل هذا وذلك تطلب استخدام عدد كبير من السكان فى أعمال غير منتجة • وقد تسميت تلك الأعمال غير المنتجة جميعها فى زيادة أعباء الحياة على بقية أفراد المجتمع • اذ كان عليهم أن يطعموا بعرق جبينهم هذا العدد الكبير من الأقواء التى لانفع منها •

## تعداد السكان

ان المصادر الخاصة بعدد السكان فى مصر فى مختلف العصور قليلة ، بل نادرة • ولما كان المصريون شعبا ولودا كثير النسل فقد تضاعف عدده فى مدى الأربعين سنة الأخيرة ، ولهذا كان من المحتمل أن البلاد كانت تزدحم بالسكان بسرعة كبيرة فى العصور التى كان يسود فيها الأمن والرخاء وحسن الادارة كمصر الدولة

---

(١) من أهم الأمثلة على هذه العقود هى العقود العشرة التى أبرمها الأمير « حاب » حفا « حاكم أسيوط فى عهد الأميرة الثانية حشرة مع كهنة أحد المعابد فى أسيوط لتقديم القرابين والبخور فى مقبرته بعد وفاته • وأوقف على هذا العمل ضيعة بمواشيها وحدائقها • وقد نقش « حاب » حفا « هذه العقود على جدران مقبرته المحفورة فى جبل أسيوط- ويمرلها العامة هناك باسم اسطيل عتتر » •

القديمة ، حين وصل عدد السكان على مايعتقد الى أقصى مداه في تاريخ مصر القديم . وفي عصر الزعامة استطاعت المناطق المخصصة للجند وكانت مساحتها تبلغ ثلث أرض البلاد أن تمد الجيش المصري بستمائة وخمسين ألفا من الجنود الذين كانوا في السن لللائمة للتجنيد . وهذا يشير الى أن عدد السكان في البلاد قد تراوح بين ١٠ ، ١٢ مليوناً من الأنفس . وفي أيام « دبودورس » بعد اضمحلال نفوذ البطالة كان عدد السكان يتراوح بين ٧ و ٧ ١/٢ مليون من الأنفس طبقا لتقرير يوسف اليهودي (١) .

وفي القرن الثامن الميلادي بلغ عدد السكان حوالي عشرة ملايين وفقا لقوائم ضريبة الرؤوس التي أدخلها العرب في مصر . وقد تضائل عدد السكان أيام حكم الأتراك والمماليك تضائلا كبيرا . ثم أخذت البلاد عقب ذلك تنعم باستتباب الأمن وتنفيذ كثير من مشروعات الري والصرف واستغلال الموارد الطبيعية . فكان هذا من عوامل زيادة السكان زيادة سريعة مطردة حتى انه يقدر جملتهم عام ( ١٩٥٩ ) بحوالي ٢٥ مليوناً (٢) أما جملتهم في عام

---

(١) سبق ذكر وصف يوسف اليهودي .

(٢) أضفنا هذا الرقم من عندما الى نص الكتاب الاصل (الترجيون) .



١٩٧٠ فتقدر بحوالى ٣٧ مليوناً ونستطيع القول أن عدد السكان  
فى مصر القديمة كان يتأرجح بسرعة بين ستة ملايين وأثنى عشر  
مليوناً وفقاً لمدى كفاية السلطة المهيمنة على شئون البلاد • ولاشك  
أن الزيادة المطردة الحالية فى عدد السكان سوف تظهر خطورتها  
فيما بعد اذا علمنا أن نسبة المواليد فى البلاد ٦٠ فى الألف ونسبة  
الوفيات ٤٠ فى الألف • وهذا يعنى زيادة سنوية فى عدد السكان  
تقدر بحوالى ٤٥٠ر٠٠٠ نسبة •



الفصل الثاني

---

إدارة المبلاد

---

## الملكية المقيدة

كانت مصر القديمة تخضع دائما لنظام الحكم الملكى وكانت سلطة الملك تضمحل بين حين وآخر فنستقل المقاطعات بإدارة شئونها الداخلية ، ولكن الحكم فى كل منها كان دائما فى يد رئيس واحد . وان عدم قيام النظام الجمهورى فى أى عصر من عصور التاريخ المصرى القديم رغم قيامه فى أقطار أخرى بحوض البحر المتوسط مرده على ما يظهر الى أن النظام الملكى فى مصر قد حدد القانون سلطته وحقوقه تحديدا دقيقا ولهذا فان الملك مهما سامت أخلاقه الشخصية فانه لا يستطيع أن يأتى عملا يكسبه حقد رعيته عليه وكراهيتها له كما كان يفعل الظالمون الفاشمون من حكام الاغريق وأباطرة الرومان الذين لم يكونوا يشعرون بمسئولية ولم يقيدهم شرع أو قانون .

لقد كان الملك في مصر يعتبر جزءاً لا يتجزأ من جهاز حكومي على درجة كبيرة من التنسيق والتنظيم يعرف كل فرد فيه عمل الآخرين كما يعرف اختصاصه الرسمي . وكانت أعمال الملك الرسمية تعد في نظر القوم جزءاً لا يتجزأ من ذلك الجهاز ، بل ان حياة الملك الخاصة لم تكن ملكاً له وحده اذ كان عليه أن يتصرف في كل لحظة طبقاً لنظام مرسوم دون أن يجد مجالاً للتدخل والعبث كما كان يفعل أمثال « ديونيسوس » أو « كاليجولا » (١) اتنا نقرأ عن محاكمات رسمية تجري في البلاط لمحاكمة بعض أفراد الأسرة المالكة ، وذلك في عهد كل من الأسرة السادسة والأسرة العشرين (٢) . وكانت تلك المحاكمات تدير يدق طبقاً للاجراءات القانونية بل وبدون حضور الملك ، فقد كان الفرعون في مصر ذا سلطة محدودة حتى في شؤنه الخاصة . ولم تبلغ سلطته على أفراد ( آل ) بيته ما بلغت سلطة كلوديوس أو هنري الثامن .

---

(١) امبراطور روماني حكم بين عامي ٢٧ - ٤١ م واشتهر بقسوته وظلمه .  
(٢) محاكمات الأسرة السادسة والأسرة العشرين : في عهد كل من هاتين الأسرتين دبر رجال الحاشية مؤامرة زوجة الملك مؤامرات لقتل الفرعون الجالس على العرش . ففي عهد الأسرة السادسة دبرت زوجة الملك المدعوة « أميس » مؤامرة لقتل زوجها « بيبي » الأول ، والظاهر أن المؤامرة فشلت لأن الملك أصدر أمره بتشكيل محكمة لمحاكمتها . ولا تعرف السبب في اعدامها على حسنه الجريمة ، ولكن يبدو السبب غيرتها من زواج الملك بأمسرتين غيرها . وفي عهد الأسرة العشرين دبرت إحدى نساء الحريم المدعوة « بي » مؤامرة لقتل الملك رمسيس الثالث والاستيلاء على السلطة لتمكين ابنها « بنتاؤرع » من اعتلاء العرش . وقد كشفت المؤامرة وأمر الملك بتشكيل محكمة لمحاكمة زوجته والمتآمرين معها .

## القيود انحدرت الى الملك بالوراثة

وكان الوضع السياسي للملك يتمثل في كونه خليفة حكام الدويلات العديدة التي ازدهرت في عصر ما قبل الأسرات (١) وكان لكل منها نظمها الخاصة وحقوقها التي كانت شديدة التمسك بها . وبذلك فإن حقوقه والتزاماته آلت اليه من مختلف النظم التي كانت سائدة في تلك الدويلات . فقد كان الملك يعتبر الوارث لعرش مملكة « هيراكونبوليس » . وكان بهذه الصفة يتخذ « الصقر » رمزا له . فإذا مات الملك عبر المصريون عن ذلك بقولهم « لقد طار الصقر الى السماء » .

وكان الملك أيضا يعتبر ورثا لحكومات كل من الكاب « نخب » التي كانت تقع على الضفة اليمنى للنيل ازاء « نخن » (٢) « وبوتو » العاصمة الشمالية في الدلتا . وهذه السيادة المزدوجة كان يرمز لها في شعار الملك « بالوصل » و « العقاب » كما ضم إقليم

(١) من هذه الدويلات راجع ص ١٦ ( حاشية ) .

(٢) كانت « نخن » في الأصل عاصمة المقاطعة الثالثة في الوجه القبلي ثم تمكن أمراؤها من توحيد مقاطعات الوجه القبلي تحت حكمهم . وجعلوا « الصقر » رمز هذه المدينة والهيما علما على الوجه القبلي كله . ولذلك سماها الاغريق « هيراكونبوليس » أي مدينة الصقر الجاثم . وتوجد أطلال هذه المدينة الآن في قرية الكوم الأحمر غرب النيل في مواجهة أدفو . وفي العصور التالية حلت مدينة « نخب » محل « نخن » كعاصمة للمقاطعة الثالثة . فوردت عن نخن أهميتها التاريخية كعاصمة للوجه القبلي قبل اتحاد القطرين . وكان رمزها والهيما « انتى العقاب » . وتوجد أطلال « نخب » الآن في قرية « الكاب » شرق النيل شمال أدفو بنقليل .

« سايس » (١) تمثله « النحلة » . وقد قرن ذلك باقليم الجنوب وتمثله « البوصة » . وليس واضحا ما اذا كانت « البوصة » قد اتخذت في الأصل شعارا لعاصمة معينة . ومن المؤكد على أية حال أنها كانت ترمز دائما لاقليم الجنوب (٢) . ويبدو أن اخضاع قبيلة الاله « ست » التي كانت على جانب كبير من القوة والبأس في عهد الأسرة الثانية (٣) قد تم نهائيا أيام الأسرة الرابعة بدليل تمثيل الملك بهيئة الصقر منتصرا على الاله « ست نبتى » (٤) . وكان يرمز لذلك الحادث برسم العلامة « نوب » (٥) وفوقها يجثم الصقر

(١) كانت « سايس » إحدى المقاطعات الهامة في الدلتا وهي أقدم من « بونو » وشعارها « النحلة » . ومكانها الآن « سالجر » ( بالقرب من كفر الزيات ) . وقد اتخذ الفراعنة من النحلة ( نبتى ) رمزا شعارا آخر للوجه البحرى . كما اتخذوا البوصة « نسوت » شعارا للوجه القبلى . وصعدوا ( البوصة والنحلة ) في شعار واحد واحد وأصبح رمزا وقيسا للملك بعد التوحيد ( ملك الوجهين القبلى والبحرى ) .

(٢) هناك رأى يتنادى به العالم الفرنسى ( لوريه ) بأن البوصة كانت في الأصل الشارة التي تدل على اقليم مصر الوسطى من بداية بحر يوسف الى رأس الدلتا . وكانت عاصمة هذا الاقليم مدينة « هيراكليوبوليس » ومكانها الآن بلدة « أهناس » بالقرب من الفيوم .

(٣) ودليل ذلك ما ورد على آثار الملك ( بر - إيب - سي Per ibSen أحد ملوك الأسرة الثانية من أنه استبدل صورة الاله ( حور ) بصورة الاله ( ست ) في اسمه .

(٤) ( ست نبتى ) أى الاله ست الذى ينتمى الى بلدة ( نبت ) . ومكانها الآن غربا ( نقادة وكفر اليلام ) الواقعتان على الضفة الغربية للنيل بالقرب من ( قفط ) . راجع ص ١٦ ( حاشية ) .

(٥) « نوب » كلمة مصرية قديمة معناها الذهب ومنها اشتقت كلمة النسوبة التي سلق الآن على المنطقة الممتدة جنوب اسوان نظرا لكثرة مناجم الذهب

وآخر كسب للملك كان ما ورثه من حقوق في الأسرة الخامسة من كهان مملكة هليوبوليس العظام ومن بعدها أصبح الملك يلقب « حقا » أو حاكم « هليوبوليس القديمة » (١) . وبذلك أصبح الملك يحمل أيضا لقب حاكم ( هليوبوليس ) ويمثل في الشعار الملكي بهسولجان كان يحفظ في المعبد (٢) . وكان من الألقاب الدينية الرفيعة التي يحملها الفرعون لقب ( الكاهن الأعظم للاله

---

التي كان المصريون القدماء يستغلونها في هذه المنطقة ولكن كلمة «نوب» هنا لها معنى آخر فهي ترمز الى بلدة ( نوبت ) مقر عبادة الاله ( ست ) . فيكون معنى الرمز ( حور المنتصر على ست في بلدة نوبت ) . ويقول بعض العلماء ان هذا التفسير يرجع لعصر البطالة ، وان المعنى الحقيقي لهذا اللقب الذي يرجع لاقدم عصور التاريخ المصري هو ( حورس الذهبي ) .

(١) سبق القول بان هذه المملكة ظهرت في عصر ما قبل الاسرات ( راجع ص ١٦ ) حاشية- وكان ملوكها يسمون «شمسوحور» أى أتباع حور . وكانت مركزا لعبادة الشمس . وقد برع كهانها في علوم الفلك والرصد ، فكانوا اول من اخترع التقويم الشمسي المعروف الآن بالسنة القبطية . وكان ذلك حوالي عام ٢٤٤١ ق م . وفي العصر التاريخي وخصوصا في اواخر الأسرة الرابعة زاد نفوذ كهنة الشمس بدرجة خطيرة حتى تمكنوا من اعتلاء عرش البلاد وتأسيس الأسرة الخامسة . وبنوا أهرامهم في أبي حسير بالقرب من الجيزة . هكذا وكلمة ( هليوبوليس ) يونانية معناها مدينة الشمس . وقد ترجمها العرب الى عين شمس .

(٢) قرر المؤلف في هذه السطور الألقاب التي كان الملك يحملها على هيئة رموز لكل من « الصل والعقاب وكذا النحلة والبرصة ولقب حور نبتي وحاكم هليوبوليس » وان كانت في ظاهرها تعتبر ألقابا للفرعون الا انها في حقيقتها ترجع الى الدويلات التي تكونت منها مصر قبل توحيد القطرين ، وتدل على وراثة الملك لهذه الدويلات بما فيها من نظم وما لها من التزامات .



حورس ( ١ ) • ويشير اليه الخرطوش الذى يحوى الاسم الملكى  
ويظهر هذا فى شكل قلادة حول رقبة تمثال الكاهن الأكبر • رع  
سمنخ • ( المحفوظ فى متحف اللوفر ) •

### الوظيفة الدينية للملك

ولم تكن الوظيفة الدينية للملك قاصرة على رئاسة كهنة  
الالهين • حورس ورع • فحسب بل كان عليه تقديم القرابين  
اليومية من أجل رعيته • وكما كان يهب النبلاء وغيرهم من كبار  
الحكام المنح المختلفة من الأراضي وهم على قيد الحياة فقد كان  
يمنحهم الهبات من الأرض بعد مماتهم لضمان استمرار تقديم  
القرابين لأرواحهم كما ورد فى مقبرة الأمير • متن • ولهذا فان  
كافة الهبات الجنائزية كانت تعد فى الواقع • قرابين ملكية • وتشير  
الى ذلك صيغ الدعاء التى كانت تدون على اللوحات الجنائزية فى  
كافة عصور التاريخ الفرعونى • فكان الفرعون يحسب مركزه  
الكهنوتى عائلا لرعيته فى الحياة • كما كان سندا لهم فى الممات •  
وقد لا تكون الهبات الملكية دائما منحا من الأراضي بل ربما اشتملت  
على مواد غذائية تمثل قيمة ايجارات عينية لبعض مزارع الملك •

---

( ١ ) • حورس • هو أحد آلهة مصر الرئيسيين وكان يعبد فى جهات متعددة  
من القطر • وقد اعتبره كهنة هليوبوليس صورة أخرى لالههم • رع • اله  
الشمس وكانوا أحيانا يوحّدون الالهين فى اله واحد أطلقوا عليه « رع حورس » •

أو قيمة ايجارات عينية للملك حق الحصول عليها • ومع ازدياد المعاملات وتمتعها تبعاً لنمو سلطان المملكة صار من المستحيل أن يتصرف الملك شخصياً في كافة شئون الدولة • ولذلك نرى الملك « سننفر » قيل نهساية عصر الأسرة الثالثة (١) يقتل نجله « نفر ماعت » منصبى « حامل الأختام الملكية » و « قاضى القضاة » • ويقتل نجله « رع حتب » منصب « الكاهن الأكبر للاله رع فى هليوبوليس » • وقد فعل الملك « خوفو » ما يشبه ذلك مع ابنه « مرى ايب » •

### وظائف الملك السياسية

وإذا أتقنا الى الوظائف السياسية للملك نجد أن أول واجب عليه بعد اعتلائه العرش منذ عهد الأسرة الأولى هو التفتيش على الحدود وتأمين سلطته ويطلق على هذه المهمة « الطواف حول الجدار » (٢) احياء لذكرى اتحاد الوجهين القبلى والبحرى • وكان

---

(١) السائد الآن بين علماء الآثار ان الملك « سننفر » هو اول ملوك الأسرة الرابعة وأن « نفر ماعت » هو حفيد « سننفر » وليس ابنه ( راجع مصر القديمة ج ٢ ص ١٤ ) •

(٢) « الطواف حول الجدار » احتفال كان يقوم به الفرعون يوم توليته العرش • بطوف أثناءه حول مدينة « منف » عاصمة المملكة • والقصد من ذلك احياء ذكرى توحيد الوجهين القبلى والبحرى على يد الملك « مينا » الذى أسس مدينة منف وبنى حولها سوراً أو جداراً • وهذا هو احدث تفسير لهذا الاحتفال كما أثبتته الحفائر الحديثة التى أجريت فى منطقة سقارة •

الملك هو القائد الأعلى للجيش واليه شخصيا ينسب الفضل في الانتصارات التي يحرزها جيشه . ولم يكن ذلك ادعاء بل كانت حقيقة لأن الملك كان يقود جيشه بنفسه ويشترك في المعارك اشتراكا فعليا . ولدينا أمثلة على ذلك منها مساهمة الملك بشخصه في الحرب ضد اثيوبيا (١) في عهد الأسرة النابية عشرة وفي الصراع الميت الذي خاضه الملك « سكترع » (٢) في عهد الأسرة السابعة عشرة . ومن قيادة « تحمس » الثالث و « رمسيس » الثاني من ملوك الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة بشخصيهما للجيش المصرية في المعارك الحربية الهامة وليس هناك أى دليل على أن ملوك مصر قد تخلوا عن بعض حقهم في قيادة الجيش . وكان الملك يقوم برحلات كثيرة يفقد خلالها الأنسغال العامة

---

« وميت رحيمه . وهذا التعبير كما يلاحظ القارىء لا يتفق مع تفسير المؤلف الذى وضع كتابه عام ١٩٢٢ .

(١) المعصود « نايبويا » هنا ليست الحبة وإنما يقصد بها في كتب علماء المروlogia المنطقة الممتدة من الشمال الثانى الى الشمال السادس على وجه التمرير . وقد قام الملك « سوسرت » الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة بحملات شديدة على هذه الجهات فكان يقود الجيش بنفسه حتى استطاع تأمين حدود مصر .

(٢) هو أحد ملوك مدينة طيبة الذين بدأ الصراع بينهم وبين ملوك الهكسوس . وقد حارب « سكترع » واستعان في القتال حتى قتل في إحدى المعارك . وتوجد جمجمة هذا الملك بالمتحف المصرى وبها آثار كسور دليلا على استشهاده فداء لحرية البلاد واستقلالها .

والمناجم للوقوف على مدى أمانة الموظفين وللقضاء على المساوىء  
والمفالم •

### النظام اليومى للملك

وقد انفرد • ديودورس • بوصف نظام حياة الملك اليومى  
وربما يكون ما أورده مشابها لنظام الحياة اليومية للملوك البطلمة ،  
ولكن الأرجح أن يكون وصفه مطابقا لنظام حياة ملوك الأسرة  
السادسة والعشرين الذى بدوره قد يرجع فى أصله الى عهود  
أقدم • لقد كانت كل ساعة من وقت الملك مخصصة لأداء واجبات  
شتى والقيام بأعمال مفروضة لا أن ينغمس فى المتع والملاذات • فإذا  
استيقظ فى الصبح بدأ عمله بقراءة الرسائل الواردة من  
مختلف الأقاليم وربما تطلب الأمر املاء الردود عليها ، ثم يعقب  
ذلك طقوس التطهير فىرتدى الزى الرسمى تزينه الأوسمة  
والتسارات الملكية ، استعدادا لتقديم الضحية للالهة • ولكن  
قبل بدء هذه الطقوس كان يقف الكاهن الأكبر ، والملك والناس  
خافين من حوله يتهل للالهة كى تمنح الملك الصحة والسعادة •  
وبعد أن يمدد فضائل الملك يستنزل اللعنات والسخط على جميع  
الخطايا والذنوب التى اقترفت عن جهل وارتكبت من غير قصد ،  
ملقيا اللوم على الوزراء • وكان معنى ذلك توجيه نقد شديد لأعمال  
الحكومة لم يكن يجروء عليه الا رجال الدين • وقد قيل ان ذلك  
كان لهدى الملك الى الطريق المستقيم وارشاده اذا ضل ، وكيحه

إذا سلك جنبات الصواب • ولم تدك النصوص عما إذا كان الملك يقدم التضحية للآلهة بنفسه أم كان يقوم بذلك الكاهن الأكبر • على أن الثابت أن هذه المهمة كانت تعد من مهام الملك • وكان الفرعون يختبر الأحشاء (١) كلما كان ملوك أنور يفحصون الكبد • وقد أسسارت التوراة لذلك : « وللتبوء • كانوا يفحصون الكبد • • ( سفر حزقيال اصحاح ٢١ آية ٢١ ) • وإذا انتهى من تقديم القرابين من النيد والزيت وغيرها من سوائل التطهير المقدسة • قام الكهنة بتلاوة العظة ( الخطبة ) وعراءة بعض المراسيم والقوانين والنصوص التاريخية التي تناسب المقام • وكان طعام الملوك بسيطا محدود الأصناف • وهذا يشير إلى أنه كان لهم نظام خاص في الغذاء محافظة على صحتهم وضمانا لسلامتها التي تتوقف عليها رفاهية البلاد • وهذا الاعتقاد مازال سائدا في بعض مناطق افريقية ولكن بصورة غاية في القسوة الوحشية فعندما تغفل صحة الملك وتضعف حيويته يقتل كي تتجنب البلاد انتقال ذلك الضعف والاضمحلال إليها • ولم تكن تلك العادة الوحشية بطبيعة الحال

---

(١) الأصل في هذا التقليد هو أن الضحايا كانت تقدم للآلهة كل صباح • وغالبا ما كانت هذه الضحايا من الثيران المسنة • وبعد ذبح الضحية كان يقطع خير أجزائها وهو الفخذ • وكان المفروض أن يقوم الملك بهذه العملية ليقدمه للآلهة • ولكن أصبح هذا العمل يقوم به الكاهن الأكبر أولا ثم يطور الأمر ترك هذا العمل للكهنة المختصين الذين يقومون بذبح الضحية • وصار عمل الملك ينحصر في فحص أحشاء الضحية •

متبعة في مصر القديمة اطلاقا ، لأن الملكية في مصر قد نشأت فيما يظهر عن نظام كهنوتي يعتمد على الحكمة وليس عن طريق رياسة تستند الى قوة جنسانية قاهرة (١) . وقد ورد وصف وفاة الملك في السجلات الخاصة بالأسرة الثانية عشرة (٢) . « لقد دخل الاله أفقه وصعد الملك الى السماء وأقترن بقرص الشمس والتقى ظل الاله بخالقه . لقد ساد الصمت أرجاء القصر واكتنفه جو كئيب من الحزن والأسى ، وأغلقت أبوابه الكبرى وجثم رجال الحاشية على الأرض في خشوع ، وكان الناس في حزن صامت رهيب » ، وقد قيل بعد ذلك بثلاثة آلاف سنة (٣) « ان المصريين عامة اذا مات أحد ملوكهم قاموا بنعيه في حزن شامل ، يشقون الجيوب ويوصلون أبواب دور العبادة ويحرمون تقديم الضحايا للآلهة ، وإقامة الولائم

---

(١) كان الفراعنة في مصر في بداية عهد الأسرات يحتفلون بعيد يسمى « حب سيد » أي عيد الذئب لأن الملك كان يلبس جلد حيسوان له ذئب . والغرض من هذا العيد تجديد شباب الملك لأن الاحتفال به كان يتم كل ثلاثين عاما من عمر الملك . وبمرور الزمن أصبح الفراعنة لا يتقدمون بشرط مرور ثلاثين عاما ، بل كثيرا ما تجد فراعنة يحتفلون بهذا العيد مرات كثيرة في حياتهم مثل رمسيس الثاني ورمسيس الثالث ولعل هذا العيد تطور انساني متحضر لتلك العادة البدائية التي يشير اليها المؤلف .

(٢) ورد ذلك الوصف عن وفاة الملك « امنمحات الأول » في قصة سنوخي المشهورة .

(٣) هو وصف المؤرخ « ديودورس » الذي زار مصر سنة ٥٦ ق.م. أي في أواخر عصر البطالة . وهذا معناه انقضاء حوالي ألفي عام بينه وبين الوصف المذكور آنفا الذي يرجع الى عهد الأسرة الثانية عشرة وليس ثلاثة آلاف عام كما ذكر المؤرخ ( انظر وهيب كامل : ديودور في مصر ٧٢ ) .

والحفلات ويلتزمون الخمسوع اثنين وسبعون يوما (١) . ويخرج الرجال والنساء وقد حثوا التراب على رؤوسهم (٢) وأتدروا فيما يلي الصدر بلباس من النيل الرفيع في جماعات مؤلفة من مائتين أو ثلاثمائة ، ويطوفون بأضواء المدينة مرتين في اليوم ، متغنين بمدح القعيد العظيم ومشيدين بذكره . وكانوا يمتنعون عن تناول اللحوم أو الأطعمة المطهونة على النار أو المسخنة عليها ، ويحرمون على أنفسهم تناول الأبندة وكافة الأطعمة الفاخرة . . ويبدو أنه لم يكن هناك أى أثر للفوضى والتحلل والترخص العام عند وفاة الملك كما كان يحدث في بعض الجهات الأخرى وهذا يتماشى مع الحقيقة الثابتة وهي أن الملك خاضع للقانون وليس المصدر الأوحد للقانون والنظام ، وكانت سلطات الملك مقيدة كل التقييد ومن ذلك يستطرد ديودور قائلا : انه لم يكن يستطيع أن يقوم بأى عمل عام أو يدين شخصا أو يعاقب آخر لمجرد نزعة شخصية ، أو بقصد التشفي والانتقام ، أو لأى دافع آخر لا يتفق وروح العدالة ، ولكنه كن مقيد التصرف في كل حالة وفق ما تنص عليه القوانين ؛ ومن أجل ذلك رأينا الملوك وقد راعوا المساواة والعدل في المعاملة بين رعاياهم

---

(١) السبب في تحديد مدة الحداد باثنين وسبعين يوما هو الفترة اللازمة لتجفيف الجثة .

(٢) حازلت هذه العادة باقية بمصر بين الطبقات الدنيا إذ يطلع النساء وجوههن بالنبيلة عند حدوث وفاة في أسرهن كما يخرجن ناديات نائحات ولكن تلك العادات في طريقها إلى الزوال .

فما كسبوا من محبتهم ما يزيد كثيرا عما يكونه لأهلهم من حب ،  
وعلى الرغم من أن ما ذكر عن هؤلاء الملوك في تلك المناسبة يرجع  
في تاريخه الى عصر متأخر ، إلا أنه يسرى على العصور السابقة  
أيضا كما يتبين من محاكمة احدى الملكات في عهد الأسرة  
السادسة (١) . فقد تولى هذه المحاكمة أحد القضاة ثم اشترك معه  
فاض تان في تحرير التقرير وقد تم هذا كله دون ان يشترك الملك  
في الأمر أو يتدخل في سير القضية وقد يكون قد أصدر الحكم  
النهائي في هذه القضية وفي غيرها من القضايا الخطيرة . ولكن  
محاكمات المجرمين وقرارات اتهامهم كانت دائما تفسر وفقا  
للإجراءات القانونية .

واذن فقد كانت نظرية الحق الإلهي للملك مقيدة تقيدا كبيرا  
بالنسبة للملك مصر . بيد أنه لما كان المصري لا يعتقد أن آلهته  
يحيطون بكل شيء علما وأنهم ليسوا منزهين عن الزلل والخطايا  
فلم يكن هناك الا تناقض ضئيل بين هذه العقيدة وقبول فكرة ألوهية  
الملك . على أن الملك كان اذا أوتى شخصية قوية وروحا جريثا  
مبتكرة استطاع أن يجد لنشاطه وحيويته مجالا فسيحا . ذلك أن  
تنظيم أمور الدولة وانجاز المشروعات العامة والهيمنة على شئون  
العلاقات الخارجية كل ذلك كان يكفي ليفسح أمام الملك ميادين

---

(١) يشير المؤلف بذلك الى قصة الملكة « امتس » التي ذكرت على حياة  
زوجها « بيبى » الأول . وقد سبق الكلام عليها ( راجع ص ٢٩ ) .



واسعة لعمل كبير . وممن أشيد بذكرهم في هذا المقام « أحسن »  
الأول الذي أنشأ نصباً تذكاريًا فخماً بجلسته الملكة « تيتي شيري » (١)  
وحثببست التي أقامت مسلاتها الرائعة (٢) . وسيتي الأول  
الذي قام بزيارة المناجم وأمر بأقامة معبد وحفر بئر في وادي  
عباد (٣) بعد أن لمس مشقة العمل في تلك المناطق .

وكان عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية حقاً من حقوق الملك  
كذلك . بيد أن الصياغة القانونية الدقيقة لمعاهدة مصر مع الحسين (٤)

---

(١) يشير المؤلف بذلك إلى حيوية الفرعون « أحسن » واعداد ميسادين  
نشاطه . وفضلاً عن أنه قام بأعظم عمل قومي في تاريخ مصر وهو طرد الهكسوس  
فإن نشاطه امتد إلى الأعمال السلمية .

(٢) توجد هذه المسلات في معبد « آمون » الكبير بالكرنك وما زالت احداً  
قائمة ويبلغ ارتفاعها حوالي ٢٠ متراً ووزنها حوالي ٢٠٠ طن .

(٣) طريق صحراوي يبدأ من وادي النيل جنوبي أدفو بعدة أميال ويخترق  
الصحراء الشرقية إلى جبل الزبارة على ساحل البحر الأحمر حيث مناجم  
الذهب .

(٤) هي أقدم معاهدة في التاريخ أبرمها الملك رمسيس الثاني مع ملك  
الحثيين حفظاً للسلام بين الدولتين بعد أن دامت الحرب مدة طويلة . وأهم  
بنودها ما يلي:

( أ ) عدم اعتداء كل من الطرفين على أراضي الطرف الآخر وإرجاع  
العلاقات الودية كما كانت .

(ب) مساعدة كل طرف للآخر في حالة هجوم دولة أجنبية عليه .

(ج) التعاون في عقاب الخارجيين على طاعة الطرفين .

( د ) طرد الهاربين السياسيين وأتباعهم الناجين لكل من الطرفين إلى  
بلاده .

وهذه المعاهدة مسجلة في معابد رمسيس الثاني بطيبة . كما عثر عليها =

توحى بأن تلك الصياغة إنما هي من عمل أحد رجال القانون .  
وكان تعيين كبار الموظفين من سلطة الملك . وهكذا تجد في عهد  
الأسرة السادسة أن التماسا يقدم الى الملك كى يخلع على « زاو » (١)  
لقب أمير وقد تقبل الملك الالتماس وأصدر مرسوما ملكيا تخفيفا  
لذلك .

وكان من أعمال الملك الهامة منح الأراضي فكثيرا ما أعلن  
الملك منح ضياع للنبلاء وحيات للمعابد لصالح الكهنة ، ولقد كان  
في الامكان في المصور المبكرة أن تمنح تلك الهبات من الأراضي  
اليور بعد اصلاحها بشق قنوات الري والصرف فيها غير أن ذلك  
المورد كان مآله الى النفاذ فمن أين كانت تمنح الهبات الملكية ؟ فإذا  
لم يكن للتاج قدر كبير من الأراضي الزراعية في البلاد تعذر على  
الملك أن يواصل مثل تلك الهبات من أملاكه . وقد أخذت  
الهبات التي كان يمنحها الملك لأفراد أسرة ما صورة من صورتين :  
فهي إما تنازل عن ملكية تلك الأراضي للأفراد في حياتهم  
بوثيقة ملكية .

---

« منقوشة بالخط المسماري على قالب من الطوب اللبن في « بوغازى كوى » عاصمة  
الحيثيين القديمة بآسيا الصغرى . وتؤكدنا لهذه المعاهدة زار ملك الحيثيين  
مصر وزوج ابنته للملك رمسيس الثانى . »

(١) كان « زاو » موظفا كبيرا في عهد الأسرة السادسة وكان يحمل القابا  
كثيرة منها « الحاكم العام للعاصمة وكبير القضاة والوزير ورئيس الملايس  
الملكية وحامل اختام فرعون » . والسبب في تسميته بهذه المراكز انه كان صهرا  
للملك « بيبى » الأول الذى تزوج من شقيقته « زاو » .

أو تنازل عن الأرض كهبات جنازية بعد مماتهم .

وكلاهما يشير الى منح الأراضي منحا نهائيا وامتلاكها مدى الحياة . وقد لانشير المنح الملكية الى التنازل عن ملكية الأرض نفسها وانما يشير الى اعفائها من الضرائب المستحقة للتاج كما كان الحال بالنسبة للأراضي التابعة للمعابد . وذلك أن فرض الضرائب كان ناشئا من أن للملك حقوقا على ملكية تلك الأراضي باعتباره السيد المطلق على البلاد . واذن فاعفاء الأرض من الضرائب كان يعتبر من الناحية العملية أنه منحة ملكية دون أن يترتب على ذلك نقل ملكيتها من التاج .

## وظيفة الوزير

كانت أعمال الوزير على أعظم جانب من الأهمية باعتباره الأداء المنفذة لكافة الشؤون الادارية التي تدخل ضمن اختصاصات الملك باستثناء الناحية الدينية . ولدينا من حسن الحظ بيان شامل لمهام الوزير وواجباته يرجع الى عهد الأسرة الثانية عشرة دون على جدران مقبرة الوزير « رخميرع » (١) ورغم أن جانباً كبيراً

---

(١) « رخميرع » وزير مشهور عاصر الملك « تحتمس الثالث » « وأمنحتبه الثاني » . وتولى بنفسه تتويج الملك الأخير . وقد ذاعت شهرته بسبب أهمية مقبرته الموجودة بالقرب من الأقصر ، إذ أن نقولها ونصوصها ألقت ضوءاً على كثير من النظم السياسية والادارية والقضائية في مصر القديمة وعلى مهام الوزير وأعماله . انظر : Newberry, The Tomb of Rekhmare.

من هذه المهام يصعب تفسيرها الا أنها تعطينا فكرة عن تلك الواجبات التي يمكن اجمالها فيما يلي :

١ - الإدارة العامة .

٢ - تعيين أربعة مفررين ومفتشين لموافاة الوزير ثلاث مرات في السنة بأحوال المقاطعات الواقعة ضمن اختصاص كل منهم ، مع تقديم الوثائق والتفتيش على القائمين بمراجعه الحسابات وضبطها .

٣ - تسلم التقارير الواردة من معشى الأقاليم وكذلك قوائم الاحصاءات التي في حوزتهم .

٤ - النظر في الشئون الخاصة بحدود المقاطعات وتحديد الأراضي ، والفيضان والترع ، واصدار التعليمات الخاصة بالمحصول التالي ، وقطع الأشجار وتنظيم تحصيل المتأخرات من الضرائب . والنظر في مظالم الحكام المحليين وحوادث السطو والسرقه في الأقاليم والمنازعات المختلفة .

والى جانب هذا كله كان على الوزير أن ينوب عن ملكه في اذاعة الرسائل الملكية الى شتى المقاطعات وارسال البلاغات والأوامر الملكية الى الجهات المختلفة . واصدار الأوامر لرسول الضياع الملكيه . وتعيين المشرف على الرسائل في ساحة القصر الملكي . والاشراف على رجال الحرس الملكي ، وعلى تنظيم البعثات الملكيه .

وفى القضاء كان من سلطات الوزير ترقية القضاة وتعيين حارس المحكمة . وفى المعابد كان ينظر فى أسباب نقص إيرادات الهيئات . ( فقد تكون بسبب الاختلاسات من جانب الكهنة ) كما كان ينظر فى توزيع الجزية السنوية (١) عليها وكان عليه أن يفتش وفى معيته حامل الأختام على هذه الجزية وعلى الأرصدة ، وكان من واجباته أيضا تنظيم الملاحة فى نهر النيل والإشراف على سير سفن البضائع ومراقبة أعمال مرشدى السفن وموجهيها . ثم بلى ذلك وظائف أخرى عديدة . غير أن بعضها قد ضاع وبعضها الآخر يتعذر فهمه ، من ذلك السجل المتوهم عنه فيما سبق . على أن هذا كله يدل على مدى اتساع اختصاص الوزير فى النواحي الإدارية . وعلى عظم اعتماد رخاء الدولة ورفاهيتها على حسن إدارته وتزاهته . لأن الوزير منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها كان هو الحاكم العام للعاصمة والقائد ( « مرنوت » و « وثاتى » ) وقد أصبح من الضروري نتيجة لهذا العبء الثقيل من الأعمال على كاهل الوزير تعيين وزير ثان للجنوب ابتداء من مستهل عهد الأسرة الثامنة عشرة واتخذ مقرا مدينة طيبة . على حين أختص وزير الشمال بشئون الدلتا ومصر الوسطى . زد على ذلك أنه تقرر تعيين حاكم له

---

(١) كانت هذه الجزية تجبى من الأملاك المصرية فى آسيا . وكان يخص كل معبد من المعابد الكبيرة نصيب معلوم كل عام .

سلطات معائنه على إقليم النوبة وأثيوبيا (١) وكان يطلق عليه الابن  
الملكي في كوش (٢) •

## موظفو البلاط

ولا بد أن رئيس البلاط الملكي كان يتمتع بسلطان عظيم وكان يطلق عليه « حامل المروحة على يمين الملك » وكان دائما كريم المعتقد عريفا في الحسب ويختار لمهابة وشدة بأسه وقوة مراسه وكفايته الممتازة في التوجيه والقيادة لضمان استتباب الأمن والنظام • ونظرا لما كان يتمتع به هذا الموظف الخطير الشأن من حق الاطلاع على كافة الشؤون الخاصة بشخص الملك واصفاء الملك الى مشوراته والسلطة الكبيرة المخولة له في اقضاء من يشاء من المتول بين يدي الملك • كل هذا قد جعله المتحكم غير المتنازع في مصائر الأفراد بل في مصائر الدولة بأسرها •

ومن موظفي الخاصة الملكية الذين كان لهم حق الاتصال

---

(١) راجع ما ذكر من دلالة لفظ اثيوبيا من ٣٢ حاشية •

(٢) كوش : Kushi كلمة مصرية قديمة كانت تطلق على إقليم النوبة العليا الممتد بين وادي حلفا حتى قرب الشلال السادس • وكانت ماصمته هي بلدة « نبالا » الواقعة شمال شرق « كودس » على النيل النوبي وكان يحكمه نائب من قبل الفرعون يحمل لقب « ابن الملك في كوش » ولم يكن هذا اللقب يعني بقوة ذلك الحاكم ملك مصر ولكن كان يدل على متانة الصلة والروابط التي تربط مصر بالسودان •

المباشر بالملك « عيون الملك وأذانه » وكانوا يختصون بالمخابرات السرية . ومنهم « المبعوث الخاص الذي يطوف بأرجاء البلاد ويوافي الملك بالأخبار التي تدخل على قلبه السرور والغبطة » ثم « المعلم الذي يصل بعلمه بالملك الى حد الكمال » ثم « الكاتب الخاص لحورس الثور القوى » (١) ثم « كبير أمناء القصر الملكي » ثم « الأمناء » ثم « رئيس الحرس الملكي » ثم « الأنباغ » وهم الذين يرافقون الملك في الصيد . ثم « الدليل الذي كان يرافق الملك في كافة رحلاته » .

وكان ضمن رجال الخاشية من ذوى المكانة « رئيس حملة أختام الملك » و « الرسول الخاص » و « كاتب المائدة الملكية » و « رئيس رسل جلالاته » وكان يقوم بتنظيم بروتوكول الأسبعية وترتيبات المقابلات ثم « رئيس المسجلين الملكيين » و « المشرف على شئون الديوان » . والديوان هو الأجنحة الخاصة والغرف الداخلية بالقصر . و « ملاحظ الحقائق » وهو لقب حتى سسمنوت كان

---

(١) كان لقب « الثور القوي » يطلق على الفرعون منذ بداية عهد الأسرات . وكان الفرعون في عصر الأسرة الأولى يمثل نفسه بثور يتطعم قلاع أعدائه ويحطمها . ومثال ذلك الرسم المنقش على لوحة الملك ميتا - ناسر - المشهورة والمحفوطة بالمتحف المصري في القاهرة . وقد حافظ عليه فرعونية مصر على مر العصور لأنهم اعتبروه تراثا مقدسا ودلوه عن آباؤهم الأولين .

يحمله . ثم رئيس المهندسين المعماريين « وهو الذى كان يوكل اليه عمل (١) تصميمات بناء الأهرام والمعابد والاسراف على تنفيذها والموظفون الذين يتصلون اتصالا شخصيا بالملك هم : السكرتير الأول : ( الذى فوق الأسرار ) وذلك فى الدولة القديمة فقط . ثم « مسجل الأختام وحارس الأختام وكاتب التقارير وكاتب الرسائل فى القصر » ثم المادحون والمزفون على الجك (آلة موسيقية تشبه القيثارة ) وهنساك « حامل القوس ورئيس الأتباع والسائق الأول للعربة الملكية ورئيس المشرفين على العربات الحربية وربان يخت الملك وكاتب رسائل الملكة وأمين قصرها » .

أما هيئة موظفى القصر عدا هؤلاء فكانت تتألف من كبة المائدة الملكية والمؤن والشون والحسابات « رئيس الحسابات الخاذق » أو رئيس الحسابات اليومية وكاتب القصر وبيت المال وكبة حسابات الفضة والذهب وكبة حسابات المفتشين الملكيين لبيت المال . وكذلك مسجلى المكاتبات المقدسة الخاصة بالملك . ثم المترجم الأول للملك والصائغ . وصانع التحف البديعة ، ورئيس الاسطبل والمتولى

---

(١) كان « سموت » و« ذيرا للملكة » حشيشوت « وكبيراً لمهندسيها . وقد شيد لها ما تركه من روائع المعابد والمسلات فى المدين البحرية والكرنك وكان ذا حظوة ومنزلة عند الملكة . وقد اختلفت أخباره بعد وفاتها - ويرجع بعض العلماء أنه ذهب ضحية انتقام الملك « تحتمس » الثالث الذى تولى الملك بعدها . وكان فى حياته معجوباً بشخصية هذه الملكة الفذة وشعر المؤلف هنا الى أن سموت هذا رغم مركزه الرفيع كان يحمل هذا القلب البسيط وهو « ملاحظ الحقائق » ( راجع التعليق فى ص ١٧ بخصوص الانقلاب ) .



شئون الحيل والمشرف على اطعام الكلاب ، وصانع النعال ، وطاهى  
قصر الملكة ، ثم رسل القصر الملكى .

وكان قاضى القضاة اهم رجل فى الدولة بعد الوزير عندما  
كانت تنفصل الوظيفتان . وكان يحمل لقب قاضى ( ساب ) محكمه  
العدل ( زادو ) . وليس واضحا ما اذا كان لفظ « ثاتى » Thati  
يعنى رئيسا على الاطلاق أم رئيسا فى القضاة فحسب . بعد من  
« رخميرع » يجلس فى محكمة العدل مع هيئة الروساء لا لينظر  
فى القضايا فحسب بل لينسلم الجزية أيضا . وورد فى انص  
المجاور للرسم لقيين له هما « ساب امرى نخن » و « ثاتى امرى  
نخن » فاذا لم يكن اللفب الأخير يحوى لقيين منفصلين فان « ثاتى »  
ترادف « ساب » .

## القضاة

وكانت محكمة الجنوب تتألف من مجلس السلاطين ويقوم  
أعضاؤه باختيار رئيس المحكمة من بينهم . وكانوا يلقبون بالقضاة  
العظام ( أور ) . أما فى الشمال فكان مجلس القضاة يتألف من  
ست دوائر تعقد فى « أثيت تاوى » (١) برئاسة الوزير . وكانت

---

(١) مدينة أنشأها الملك « امنحات الاول » مؤسس الاسرة الثانية عشرة  
لكى تكون عاصمة للكله ومعنى اسمها ( القايضة على الوجهين ) . وأخللها الآن  
فى قرية اللشت فى الطريق الى اليوم .

اجراءات المحاكمة تتضمن أن يتقدم المدعى بمذكرة مكتوبة الى المحكمة . ثم يتقدم المدعى عليه بتحرير رد على هذه المذكرة . وكان يصرح لكل من الطرفين بعد ذلك بتقديم رد آخر كتابة على مذكرة الخصم وفي ضوء تلك المذكرات يفصل في القضية . وفي محاكم الجنوب كان يحفظ سجلات تحوى أسماء ملاك المنازل وأسماء أفراد أسرهم ومن يمولونهم . وكان يرأس المحكمة المحلية في كل مدينة أحد القضاة . وذلك في اليهود الأخيرة على الأقل وربما كان في اليهود الأولى أيضا حيث يرد لقب قاضي ( shai ) في مناسبات عديدة بدون اضافة ألقاب أخرى اليه . وكان يوجد عدا ذلك « مفسر القوانين » و « أمين المراسيم الملكية » وغير ذلك من ألقاب وكلها ترجع الى عهد الدولة القديمة وتدل على مدى قدم الوظائف وثباتها خلال عصور التاريخ . ومن الوظائف الصغيرة الثانوية وظيفة « مسجل حسابات المحكمة ومسجل المراجعات الملكية » .

## الإدارة المحلية

وكان رؤساء الحكومات المحلية يطلق عليهم «حكام المقاطعات» لأن اذا ضعف نفوذ الحكومة المركزية قويت شوكة هؤلاء الحكام وكونوا امارات المدن المستقلة . ونجدهم بعد ذلك يسجلون الأحداث الهامة مقرونة بأعوام حكمهم لا بسنى حكم الملك كما هو

العادة • ونظرا لعدم كفاية المعادن النفيسة للتداول الواسع النطاق فقد ترك الجانب الأكبر من الأموال الحكومية المقررة في يد السلطات المحلية • ونسئ بذلك الضرائب الخفيفة والعوائد الكبيرة • ولم تكن هناك قط مركزية قوية • ولهذا فقد كانت الإدارات المحلية مستعدة دائما للقيام بشئون الإدارة غير معتمدة على السلطة المركزية • وإذا كان الملك قوى الشكيلة شديد المراس تمسك بحقه في اختيار حكام المقاطعات • وحتى في هذه الحالة كان من المحتمل أن ينحصر الاختيار في نفس أسرة حاكم المقاطعة السابق ولقد حدث مرة أن أحد الحكام مالا أعداء الملك فجرد من منصبه ، وحقت عليه لعنة السماء أبد الأبدين • ولكن يبدو وفقا لما ورد بمرسوم • فقط • أنه لم ينفذ فيه حكم الإعدام • وكان يقيم في كل مقاطعة مندوب ملكي وعدد من المشرفين على أملاك التاج من ضياع ووطعان ماشية • • وكان نسب حكام الأقاليم والمقاطعات يتنسب إلى الأم ، ولذلك كان من الممكن لابنة الحاكم أن تتولى شئون المقاطعة كوصية على ولدها القاصر كما كان الشأن في مثل تلك الحال • وكثيرا ما تشاهد في الرسوم المسجلة على الآثار ملكا قاصرا تصحبه والدته • وكان حاكم المقاطعة يجمع بين هذا المنصب ووظيفة الكاهن الأكبر للمقاطعة في معظم الحالات كما كان الملك كاهن القرابين للبلاد •

وكان الحاكم يرسل مندوبين عنه في كل قسم من أقسام المقاطعة يقومون بما يقوم به الآن مأمورو المراكز • على أن هؤلاء

المأمورين كانوا يقدمون تقاريرهم الى الوزير مباشرة • وفي ذلك بعض الحد من سلطات حاكم المقاطعة •

وكان لكل مدينة محافظ (Prefect) يرعى مسئوليتها ويعمل لحيرها ورفاهيتها ويبلغ الأوامر والتعليمات لكل من يعنيه الأمر • وكان لها أيضا كاتب سجلات يحتفظ بالسجلات الخاصة بالأراضي والمعاملات • ثم قاض أول ورئيس للشرطة (السنس) • ولاتيك أن وجود تلك الوظائف يرجع الى عصور قديمة جدا وان كنا لا نجد لها مسجلا بهذا الوصف الا في عهود لاحقة •

#### الحكم الذاتي في الريف

وكانت ادارة شئون الأقسام الريفية يعهد بها الى بعض أعيان تلك المناطق ويسمون « سارو » (Saru) أى « الرؤساء » أو السراة (١) وكانوا بهذه الصفة يشبهون أعضاء المجالس القروية • ولم يكن هؤلاء موظفين حكوميين • وكانوا ينظرون في دعاوى عقود الايجارات وتقسيم الملكيات والوصايا والمبيعات • وكانوا يصدرون بعض الأوامر والتعليمات بعد التصديق عليها من • مدير الجنوب • ويقوم بتنفيذها الموظفون الحكوميون • وكان هؤلاء الأعيان

---

(١) أطلق عليهم هذا اللفظ الدكتور سليم حسن لتشابه النطق المصري القديم مع هذا اللفظ • ( انظر مصر القديمة ج ٢ ص ٥٦ ) •

يقومون عدا ذلك بتنفيذ نظام السخرة وجمع الضرائب المحلية •  
التي يفرضها عليهم الملك كمجموعات • ومن هذا نرى انه كانت  
فى الأقاليم سلطتان متداخلتان :

١ - سلطة محلية وهى سلطة أعيان الريف وهم رؤساء  
القرية أو أعضاء المجالس القروية فى الاصطلاح الحديث ومنهم  
حاكم المقاطعة •

٢ - وسلطة مركزية وهى سلطة الوزير ومفتشيه فى  
المراكز الذين يراقبون أحوال البلاد وينفذون القرارات المحلية •

أما فيما يتعلق بطبقه أولئك الذين كانوا ينهضون بتلك  
الواجبات فالمعتقد أن الحكومة كانت تستخدم لذلك موظفين من  
الطبقة المتوسطة الدنيا ازداد عددهم عاما بعد آخر حتى أصبحت  
وظائفهم وراثية فى عهد الدولة الوسطى • أما فى عصر الدولة  
الحديثة فقد كان صفار الموظفين من أسرات الموظفين القديمة الذين  
كان يتزايد عددهم يوما فيوما • أما كبار الموظفين فكانوا يؤخذون  
من النبلاء • وعلى ذلك نجد ان أفراد طبقة النبلاء من الاقطاعيين  
السابقين قد أخذوا يندمجون فى سلك الوظائف الحكومية • وبذلك  
أضحلت سلطة الحكومة المحلية •

وقد شاهدت كافة عصور التاريخ البشرى ظهور عباقرة  
وعظماء من بين الطبقات الدنيا لم يحل دون ظهورهم عرف

أو قانون . وكثير من عظماء المصريين الذين كتبوا تاريخ حياتهم يذهبون الى أن الناس يعتقدون أنهم ينحدرون من أصل وضع لا شيء الا لأن أسماء آبائهم لم ترد في سجل من السجلات ومن هؤلاء سنموت المشهور ، ولعل ذلك كان السبب الأول في قوة بيان المجتمع المصري . ذلك أنه على الرغم من وجود فوارق كبيرة بين الطبقات فقد كان هناك تسلسل وتدرج يعملان دائما على امتزاج كافة الطبقات . وان مدى اتساع الأقسام الادارية في البلاد كان يختلف باختلاف كثافة السكان ، ففي أقدم عصور ما قبل التاريخ التي يمكننا تتبعها نجد أن عدد المدن التي كانت تصنع من سابل القمح أشكالا على هيئة أوزير (١) هي أربع في الوجه القبلي وتسع في الدلتا . وفي عصر المملكة الأولى بلغ عدد المدن التي صارت مقدسة لوجود مخلفات من آثار الاله الشهيد أوزيريس (٢) بها ، سبعا في الوجه القبلي وعشرا في الوجه البحري . وفي عصر الدولة القديمة كان عددها ثلاث عشرة بالوجه القبلي واثنى عشرة في الوجه البحري . وفي عصر الدولة الوسطى بلغ عدد المقاطعات اثنتين وعشرين في الوجه

(١) كانت هذه الطريقة يتبعها المزارع المصريون في الاحتفال بالحصاد وكانوا يصيرون الشكل أوزيريس هذه (اله النيل والزراعة) في وسط الحقول ويرقصون حولها ابتهاجا .

(٢) يشير المؤلف بذلك الى قصة «أوزيريس وأوزير» التي ورد فيها ان «ست» الشرير مرق جثة الاله «أوزير» اربا ووزعها على مختلف مقاطعات انظر المصري وكان المصريون القدماء يحتفلون بأعضاء «أوزيريس» المقدسة في المعبد الرئيسي لكل مقاطعة .

القبلى وتسع عشرة فى الوجه البحرى وفى عصر الدولة الحديثة  
قسمت الى اثنتين وأربعين بالوجه القبلى وخمس وعشرين بالوجه  
البحرى \* وفى العصر الرومانى كان هناك اثنتان وعشرون مقاطعة  
بالوجه القبلى وخمس وثلاثون بالوجه البحرى \*

أما المديرىات الحالية ( المحافظات ) فيبلغ عددها سبعا فى الوجه  
البحرى وسبعا فى الوجه القبلى وبهذا فقد أصبح حجم المديرىات  
كبيرا كما كانت المقاطعات فى عصر المملكة الأولى ( ١ ) \*

---

(١) كان ذلك عام ١٩٢٣ وقت تأليف الكتاب اما الآن فأصبح عدد محافظات  
الوجه البحرى تسعة (بما فيها مديرية التحرير) والوجه القبلى لعالية \*

## التغيرات الادارية فى العصر الاغريقى الرومانى

ولم يحدث البطالة الا تغيرات قليلة جدا فى التقسيم الادارى للبلاد . واستمر العمل بنظام الوظائف القديمة فى عهدهم ولكنهم أطلقوا عليها أسماء اغريقية . وكان أبرز تغير فى عهد الرومان اختفاء منصب الملك ، على حين أن الحكام المؤقتين لم يكن بينهم أمر البلاد أو يهمهم رفاهيتها ولم تتوفر فيهم الكفاية الشخصية التى تمكنهم من الاضطلاع بالمهام السكينة التى كان يضطلع بها ملوك مصر فى العهود السابقة . ولم تكن مصر فى نظر الرومان احدى ولايات الامبراطورية وانما كانت تمتد ملكا خاصا للامبراطور . فكان يفرض عليها ما يشاء من الضرائب ويعامل أهلها وفقا لنزواته الشخصية . وكان الحاكم الرومانى للبلاد يمثل الامبراطور شخصا . وكان خاتمه الذهبى يحمل « الخرطوش » المزدوج الخاص



بالامبراطور (١) وعلى ذلك فقد كانت كل وثيقة تمهر بذلك الخاتم تأخذ صفة المرسوم الامبراطورى . . ولا يخفى علينا تلك المساوىء والشعور التى نزلت بسبب غياب الأباطرة عنها . ولم يزرها منهم الا الامبراطور « فسبسيان » والامبراطور « هادريان » . وقد مكث كل منهما فيها بضعة أشهر . أما الامبراطور « أغسطس » فقد حضر اليها فاتحا . وجاء كل من « ماركوس أوريليوس » و « وكراكال » ( السفاح ) لاختتام الثورات وسفك الدماء .

وكان تدخل الأباطرة « أوريليان » و « ديوسودوتس » (٢) فى شئون مصر لمدة قصيرة . وقد انحصر تفكير امبراطور الروم فى مدى ما يستطيع الحصول عليه من انتاجها من الغلات لئلا يظن دمهء روما ومدى ما يمكن ابتزازة من أموال المصريين لتحقيق أهوائه الشخصية .

### النظم التى وضعها الرومان لحكم مصر

والظاهر أن الحاكم الرومانى كان يقوم بجولة تفتيشيه فى البلاد مرة كل سنة . وكان فى أثناء تلك الزيارات يعمل كأحد

---

(١) سار أباطرة الرومان على نهج ملوك البطالة فى تشجيعهم بالمراعاة القديمة . وبالنسبة لأباطرة الرومان كانت هذه الأسماء بطبيعة الحال تطلق عليهم فى مصر فقط .

(٢) راجع قائمة التسلسل الزمنى التى الحفظها بهذا الكتاب .

قضاة الاستئناف • وعلى العموم فقد كان في يده من السلطات ما كان للوزير في العهد السابقة • ويمكن القول بأنه قد خلف الوزير فعلا في منصبه • وكان يلى الحاكم في المنصب ثلاثة موظفين من الرومان يطلق عليهم مديرو الأقاليم (Epistrategoi) (١) وكانت اختصاصاتهم تشبه اختصاصات المفتشين (٢) الأربعة (المقررين) الذين كانوا يتجولون في البلاد لموافاة الوزير في العصر الفرعوني بأحوال الأقاليم التي تقع في اختصاص كل منهم • وكان هؤلاء الموظفون الثلاثة في أثناء زيارتهم لأقاليمهم يعملون كقضاة ، ويقدمون للحكومة قوائم الضرائب وكشوف الأحصاء • وقد وكل اليهم اختيار صفار الموظفين من المصريين الذين يعملون تحت اشرافهم • وكان الحاكم المحلي لكل مقاطعة من الرومان أيضا ويشغل نفس وظيفة حاكم المقاطعة المصري في العصر الفرعوني وكان يطلق عليه (Strategos) غير أن مدة حكمه كانت

---

(١) كانت مصر في العصر الروماني مقسمة الى ثلاثة أقاليم إدارية هي إقليم طيبة واليهيكتانوميا والدلتا أو بعبارة أخرى مصر العليا ومصر الوسطى ومصر السفلى • وكانت كل منها تخضع لإدارة «إيستراتيجوس» وهذه التسمية ترجع الى عصر البطالة • ولكن في ذلك العصر كان «الايستراتيجوس» قائدا حربيما أما في العصر الروماني فأصبحت الوظيفة مدنية • ويمكن أن تسمى مدير الإقليم ويبدو أن مديري الأقاليم الثلاثة في العصر الروماني لم يكن لهم مقر دائم كل في إقليمه بل كانوا يديرون أعمالهم من الاسكندرية ولكنهم كانوا يطوفون بأقاليمهم بانتظام •

انظر : Milne, Egypt under the Roman Rule, pp. 125-126.

(٢) راجع ص ٣٦ •

محدودة بشلات سنوات كى لا يزداد نفوذه ويحاول الاستقلال  
بشئون المقاطعة وحتى يمكن لرجال الحكومة المركزية الانشاء عن  
طريق بيع مثل هذا المنصب الكبير للراغبين فيه . وكان الحكام  
المحلون للمقاطعات يجتمعون بينات القضايا أثناء تجولهم فى  
المقاطعة ولكن لم يكن يسمح لهم أن يكونوا قضاة ، ولكن يحتمل  
أنهم كانوا يقومون بدور الحكم فى كثير من المسائل التى لم تصل  
بعد الى دور التقاضى رسميا . وكانوا مسئولين كحكام المقاطعات  
قديمًا ومديرى المديرىات عن تقدير الضرائب وتخصييلها مقابل  
تقديم صكوك للممولين عن هذه الضرائب مهما قلت قيمتها ، كما  
يتبين من قطع « الأستراكا (١) » التى عثر عليها . وكانوا عدا ذلك  
يشرفون على نظم الرى . ولأمراء فى انهم تولوا شئون السخرة .

ان الخوف من أتباع سلطانهم وقوة نفوذهم قد حفز الحكومة  
المركزية الى القاء أعباء ثقيلة على كاهل هؤلاء الحكام خلال تلك  
السنوات الثلاث من ولايتهم وإلى التشديد عليهم بتقديم التقارير  
عن أعمالهم وفحصها بنائة الدقة . وكان يقيم الى جانب كل من  
هؤلاء الحكام من يتجسس على أعماله وتصرفاته فى شخص الكاتب

---

(١) «الأستراكا» هى قطعة مصقولة السطح قد تكون من الحجر أو الفخار  
أو العاج عليها نقوش وكتابات .

أو المسجل الملكى (١) الذى يمثل الحكومة المركزية . وابتداءً من عهد الأسرة الثانية عشرة أن هذا المسجل الملكى الرسمى يلازم مسجل المقاطعة ليطمئن على نصيب الملك من الضرائب ، وقد أمد العمل بهذا النظام فى المصور التالية . وكان الرومان يستخدمون أفراد عائلات حكام المقاطعات القدامى كموظفين لسعة خبرتهم بالشئون المحلية ، وكجاء يبنزون أموال الأهلين فى شكل رسوم وضرائب عقارية وتجارية وغيرها .

وقد أخذت حكومة الرومان بالنظام القديم لتسجيل المعاملات الخاصة وهو النظام الذى كان معمولاً به على الأقل منذ عهد الأسرة الثانية عشرة . وربما عمل به قبل ذلك بكثير . فلم يقتصر الأمر على ضرورة تسجيل كافة الوثائق الرسمية بل كان لابد من تسجيل جميع الاتفاقات التى يبرم بين الأشخاص حتى تصير لها الصفة القانونية وتصبح مستنداً رسمياً . وقد بلغت قيمة التسجيل حوالى أربع بنسات أى ثمن رطل من حديد .

وكان القائمون على شئون القرية أشبه بأعضاء المجالس القروية ، ويتألفون من نخبة قليلة العدد من رجال القرية البارزين

---

(١) كانت وظيفة المسجل الملكى ولو أنها مستمدة من وظيفه حاكم المقاطعة إلا أنها أقل منها فى المرتبة وكان المسجل الملكى ينوب عن حاكم المقاطعة فى حاله غيابيه ، ويختص بالتواصى المالية فقط ولضمان استقلاله عن حاكم المقاطعة وعدم خضوعه لسلطته فقد أوفقت بعض الضرائب عفيه بالاضافة الى مرتبة . ويرجع هذه الوظيفة الى عهد البطالة .

لرعايه سُكُون أهمل القرية • وكانوا مسئولين عن حفظ الأمن والنظام والتأكد من جمع الضرائب • والظاهر أن مجلسهم الأكبر الذى كان يسمى فى العهد الماضية • سارو Saru قد اختفى تماما ومن المحتمل جدا أن تلك المجالس قد قضت عليها الأنظمة الصارمة الدقيقة التى أبدكرها محصلو الضرائب أيام البطالة الذين كانوا لا يرغبون فى وجود مجالس بالقرى توازن بين حال قرية وأخرى وكان يختص بالأعمال الرسمية فى القرية كل من كاتب القرية الذى عليه اعداد كشوف الإيرادات للحكومة ومسجل كان يقوم بقاء الناس وكان يزود الكاتب بما يلزمه من أحصاءات ومسجل العقود والمعاملات التجارية •

وكانت قوات الشرطة ( البوليس ) فى البلاد مستقلة عن الهيئات المحلية كما هو الحال فى الوقت الحاضر • وفى عهد الأسرة الثانية عشرة كان يوجد مدير للشرطة « خوتو » يعاون حاكم المقاطعة وقد زاد العدد فى العصر الرومانى الى اثنين فى كل مقاطعة • ومن ذلك العصر كان رجال الشرطة المخصصون لكل قرية يتولون حفظ الأمن والنظام وتأديب الخارجين على القانون على حين اقتصر عمل الحفراء المحليين على أداء المسائل العادية كالقبض على المتهمين •

### **الامن الاغريقية التى تمتعت بالاستقلال الذاتى**

وقد قام الى جانب هذا الجهاز الادارى العام نظام آخر يتضمن

وجود عدد غير قليل من المدن التي تتمتع بالاستقلال الذاتي وتسكنها جاليات كبيرة العدد من الأجانب ومن المحتمل أن «نقراطيس» (١) كانت أول مدن مصر التي تمتعت بهذا النوع من الاستقلال الداخلي . لقد كانت مدينة أغريقية خالصة ، ولذلك فقد استقلت باختيار حكامها . وكانت الاسكندرية أيضا مدينة مستقلة استقلالاً ذاتياً بطبيعة الحال . فقد كان يستوطنها عدد كبير من اليهود والاعريق منذ نشأتها . وبعد أن قام ملوك البطالة بإسكان عدد كبير من جنود الاعريق في الفيوم أنشأ هؤلاء مدينة سميت «أرسنوى» (Arsinoe) (٢) وكان أغلب القائمين على شسئونها من الاعريق . أما مدينة «بطوليميس Ptolemais» (٣) الواقعة في الصعيد فكان لها مجلس

---

(١) أسسها تجار الاعريق في منتصف القرن السابع قبل الميلاد في عهد الملك «إسماعيك» الأول على فرع النيل الكانوب ومكانها الحالي «كوم جيف» بجوار بلدة «نقراش» التي استمدت اسمها منها . وقد بلغ من تمتع «نقراطيس» بالسلطة الذاتية أنها أصدرت عملة محلية خاصة بها في أوائل عصر البطالة . وكانت نقراطيس الميناء الرئيسى الواقع على الطريق النهري بين الاسكندرية ومنفذ .

(٢) ذكرها المؤلف Ptolemais ولكن لا كانت حسنة المدينة بعيدة عن الفيوم كما سيأتى ذكره . فمن الواضح أنه يقصد «أرسنوى» وهي المدينة التي أنشئت في الفيوم .

(٣) بطوليميس « هي ثالث مدينة أغريقية أنشئت في مصر بعد نقراطيس والاسكندرية . وقد شيدت مكان مدينة مصرية قديمة وسميت كذلك تخليداً للذكرى منشئها بطليموس الأول ومكانها الآن قرية النشبة بمديرية جرجا .

محلى وإدارة محفوظات • ثم هناك مدينة « أنتينوى Antinoe » (١) ،  
وكان لها دستور أغريقى بحت • وبحلول القرن الثالث الميلادى  
وجد مدنا أخرى عديدة ذات طابع أغريقى قد اتخذت لنفسها  
مجالس للأعيان تجعلها شبه مستقلة عن النظام الإدارى العام فى البلاد  
مثل « أكسرينكوس Oxyrhynchos » (٢) و « هيراكليوبوليس  
Heraclaeopolis » (٣) •

على أن وظائف مجالس الأعيان لتلك المدن وغيرها يتبين فى  
جلاء عند دراسة الاختصاصات التى يتمتع بها مجلس هيراكليوبوليس •  
لقد كان ذلك المجلس يقوم بتعيين كافة الموظفين المحليين للمدينة  
والإشراف على أعداد الحفلات والبث فى جميع مطالب الحكومة  
المركزية وإقرار كافة المسائل المتعلقة بالتجارة المحلية • وكان يمثل  
المدينة فى كافة العلاقات القائمة بينها وبين الحكومة المركزية • وأن  
الأثر العام الذى يتركه هذا الحكم الذاتى فى أذهاننا هو أن كل فرد

---

(١) مكانها الآن قرية النسيج عباده بمديرية النيا • أسسها الإمبراطور  
الرومانى هادريان حوالى عام ١٢٢ بعد الميلاد عند زيارته لمصر • وذلك تخليدا  
لفكرى تدمية «أنثيتوس» الذى فرق فى النيل فى ذلك المكان • وكان كل سكانها  
من الإغريق ولذلك كان يغلب عليها الطابع الإغريقى • وقد سميت المدينة  
طبقا للطراز الإغريقى فى إنشاء المدن • ونقل إليها مواطنون أغريق من مدينة  
بطولييميس وأعطاهما الإمبراطور جميع امتيازات المدن الإغريقية لتحقيق  
استقلالها الذاتى •

(٢) مكانها الآن بلدة «البهنساء» الحالية فى مديرية النيا •

(٣) مكانها الآن بلدة «أهناسيا» الحديثة فى مديرية بنى سويف •

من سكان تلك المدن كان يحاول التملص من الأعمال الشاقة التي  
تفرضها الحكومة عليهم من غير أن تدفع لهم أجورا عن أدائها .  
وكانت مناقشات هذه المجالس تطول في غير جدوى وتتسبب دون  
حسم للمسائل المعروضة عليها . وقد تشدد وتحترم فيلجأ الأعضاء  
الموقرون الى استعمال العنف تارة بالألفاظ وتارة بالأيدي .



## نظام الضرائب في العصور الأولى

ان الضرائب هي قوام الحكومات كلها . وقد تتخذ صورا شتى . فالضريبة على محصول الأرض هي الوسيلة البدائية الأولى التي كان يعتمد عليها كل زعيم . ثم تدرج الأمر الى تقدير الضرائب في صور شتى . وكانت ضريبة العمل من الضرائب البدائية العادية فكان يقوم الشخص بالعمل عدة أيام للزعيم . ومازال هذا متبعا ( في إنجلترا ) بين الطبقات العليا اذ لايزال يكلف القضاء وغيرهم بأعمال مرهقة . وفي النظم الاغريقية والرومانية كان تكليف الأفراد بأعمال لمصلحة المجموع يعتبر من الضرائب الثقيلة . ومن أمثلة ذلك الخدمة في المعابد الاغريقية وفي الاحتفالات العامة الرومانية . وان وجود مقادير كبيرة من العملة الذهبية أو الفضية في قطر من الأقطار يؤدي حتما الى أن تكون الضريبة من هذا المعدن أو ذاك . وقد أخذت ضريبة الرأس تتلائم مع حالة الدافع حتى أصبحت معقدة وتحتاج الى طبقة من الموظفين المتخصصين . وكانت الضرائب البدائية

التي تؤدي في صورة محاصيل عينية وخدمات هي السائدة الى عهد الأسرة الثامنة عشرة . ولم تختلف تماما حتى في أيام الرومان لأن منح حق استغلال الأرض للأهلين في مجتمع زراعي كمصر انما كان يصدر عادة من الزعيم مقابل تقديم مواد غذائية له أو عوله لمدة أيام معلومة أو مقابل قدر معين من الحنطة أو عدد من الماشية . وكان ذلك النظام سائدا في عصر الدولة القديمة . وكان على جميع عبيد الأرض (Serfs) الذين يعملون في المزارع الملكية أن يؤدوا الضرائب المقررة ، بيد أنه اذا منحت بعض تلك الأراضي الملكية للمعابد أعفيت من الضرائب التي كان يتقاضسها الملك ، وآلت الرسوم الى الكهنة ، وأصبحت دخلا لهم ، ويمكن اعتبار تلك الرسوم ايجارا عاديا كائنا من كان الذي يتسلمها ليفلحها . وكانت الضرائب التي تجبى على المحاصيل الزراعية تسمى « ميزيدو Mezedu » أى المعسارة مشبها أياها بالخمير المعصور . وقد أخذت صورة مواد غذائية كسلال الحضر والماكولات والأطعمة والخبز وعلف الماشية . وأحيانا في صورة مؤن ومواد مختلفة تقدم لمكتب تسجيل الضرائب ومقادير من كتان وغزل وحبال . وكانت الضرائب تكون أحيانا من المعادن النفيسة وغير النفيسة هي اثمان بيع محاصيل زراعية . وان هذه الضرائب لتدلسا على أننا لانكتب هنا عن مجرد عبيد للأرض ولكن عن مزارعين يملكون ما يزرعون . وقد استمر العمل بهذه الضرائب والايجارات الى عصور متأخرة . ولذلك يمكن القول

بأنه كان معمولاً بها في كافة المصور التاريخية وربما كان لها أصول في عصر ما قبل التاريخ •

وان حق استخدام العمال استخداماً مباشراً كان لزراعة الأرض الملكية وكذلك لحفر الترع وإقامة الجسور ( الترابية ) • وكان من حقوق الملك أيضاً أن يتمتع القائمون على خدمته وخدمة مستلكائه بالإعفاء المطلق من رسوم المرور في البحر والبر أي على ظهور الدواب أو السفن • وهو تقليد مألوف في معظم دول العالم ذات النظام الملكي •

#### الضرائب في عهد الأسرة الثامنة عشرة

ولم يترك لنا التاريخ أي أثر نستدل منه على قيمة إيرادات الدولة المصرية في عهد الأسرة الثامنة عشرة • ولكننا نجد في مقبرة الوزير « رخميرع » من عهد الأسرة الثامنة عشرة قائمة عن الضرائب التي جبيت من اثنتي عشرة مقاطعة من مقاطعات الوجه القبلي « تقدير حسابات ديوان الوزير » وبعض أجزاء هذه القائمة غير واضحة وقد أختفت معالم الأرقام فيها ، بيد أنه يمكن تقدير الأرقام المفقودة في مثل هذه الحالات على أساس متوسط ماورد من أرقام في الأجزاء الأخرى • وبما أن ما تبقى لنا من هذا السجل القيم قد اشتمل على جملة الأتاوات التي أدتها اثنتا عشرة مقاطعة ( عدا القدر القليل المفقود ) وبما أن عدد المقاطعات في مصر في ذلك العهد قد بلغ حوالي واحداً وأربعين فمن الممكن إذا ضربنا جملة الأتاوات المينة في

السجل في أربعة كان الناتج هو جملة إيرادات الدولة وقشد ، وهو ما سنبينه فيما بعد . مع العلم بأن نسبة تلك الجملة الى غيرها من أنواع الضرائب الأخرى ليست من المسائل التي يمكن الجزم بمعرفتها .

لقد ورد الجانب الأكبر من الذهب من الجنوب فأُسهم اعليم الحدود النوية بستين « دبناً » (١) وأسهمت المقاطعات الأربع الواقعة جنوبى مدينة طيبة بأربعة وستين « دبناً » بالإضافة الى خمسة وعشرين « دبناً » أخرى « فى شكل خواتم وحبات من الذهب . على حين أسهمت المقاطعات السبع الواقعة شمال طيبة بشمالية وعشرين « دبناً » فقط عدا اثنين أو ثلاثة « دبنات » من حبات الذهب . وقد كان من الواضح أن القدر الكبير الذى ورد من الجنوب قد استخرج من مناجم الذهب هناك . فى حين لم يسهم الذهب المتداول فى المقاطعات الواقعة شمال طيبة بأكثر من أربع « دبنات » عن كل مقاطعة وهذا القدر هو متوسط ما يمكن أن تسهم به كل مقاطعة من الاثنتين والعشرين الموجودة بالدلتا مع اضافة بعض الزيادة تقديراً لشراء منق .

واذن فقد أسهمت كافة أجزاء البلاد فى الدفع الى خزائنة الحكومة المركزية بما يقرب من ٣٠٠ « دبن » من الذهب ( وتقدر

---

(١) الدين يساوى ٩١ جراماً .

بمئته الحالية بحو ٤٠٠٠ جنيه (١) . ويمكننا أن نوازن هذا القدر من الذهب وبقية الغنائم التي أستولى عليها المصريون من الدول المجاورة . لقد جلب تحتمس في غزوته الأولى للثسام ١٧٨٤ دناً من الذهب ومن غزوة الحينين ٣٢٠٠ دين ومن « واوات » (٢) من الذهب ٩٠٠٠ دين تقدر قيمتها بمبلغ ١٢٠٠٠٠ جنيه . وذلك في مدى خمسين عاماً .

واذن فالضرائب من المقاطعات البالغ قيمتها كما رأينا ٤٠٠٠ جنيه في السنة الواحدة تفوق ما أستولت عليه البلاد عن طريق الغزوات الخارجية . ومن المحتمل أن الجانب الأكبر من الذهب الذي رصدهته الحكومة للتداول كان من الذهب الوارد عن طريق الغزوات . ومهما يكن من أمر فإن جملة هذا الإيراد السنوي للدولة كان طفيفاً بحيث لم يكن يفي الا بدفع مرتبات موظفي الحكومة المركزية . وعندما أوسع نطاق استعمال الذهب تضاعفت إيرادات الدولة أضاعافاً مضاعفة (٣) في عهدي الاغريق والعرب . وقد قيل أن التقدير الذي ورد في السجل السابق ذكره انما كان يجيبه الوزير فقط بيد أن ذلك ينطوي على مبالغة كبيرة فهو قدر لا يمكن أن يخصص

---

(١) لاحظ في التقدير اختلاف سعر الذهب الآن عما كان عليه عام ١٩٢٣ وقت صدور هذا الكتاب إذ لا شك أن قيمة الذهب قد ازدادت الآن أضاعافاً .  
(٢) «واوات» كلمة مصرية قديمة كانت تطلق على النوبة السفلى أي المنطقة الممتدة من أسوان إلى وادي حلفا .  
(٣) ذكر المؤلف أنها تضاعفت آلاف المرات وهو قول غريب .

لشخص واحد في الدولة ويحتمل أن هذا المبلغ كان يمثل الإيراد  
المخصص للإدارة في الحكومة المركزية •

وكانت الفضة في مصر أندر من الذهب وإن كانت قيمتها لم  
تبلغ شأو قيمة الذهب • وكان مقدار الضرائب التي تجبى فضة  
ستين ديناً كما كان مقدار ما جبي منها من غزوات الشام ٣٠٠ دين •  
وإذن فقد كانت الفضة قليلة الأثر في الإيرادات العامة وفي  
التداول •

أما فيما يتعلق بالماشية طبقاً لما ورد في السجل السابق ذكره  
فإننا نجد ٢٠٠ ثورا و ٢٤٠ عجلاً صغيراً و ١٢ بقرة فقط • وهذا  
يدل على أن ذلك العدد من الماشية لم يكن المقصود به أن يضاف إلى  
القطعان الملكية وإنما لغرض الذبيح • ويرجع السبب في قلّة عدد  
الأبقار الإناث في القائمة إلى تحريم ذبحها • وبما أن هذا العدد  
المحدد من الماشية الوارد في البيان آنف الذكر لم يكن يسمح بذبح  
أكثر من ثور واحد أو عجولين صغيرين في اليوم الواحد خلال العام  
فقد دل ذلك على أن هذا العدد من الماشية كان تمداً للاستهلاك  
المنزلي ولم يكن القصد منه المشاركة في الإيراد العام للدولة • وقد  
ذكر في السجل أيضاً ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ حمامة أي بمعدل ٦ أو ٨  
حمامات في اليوم الواحد وهو زيادة ضئيلة في المؤونة • ولم يرد  
في السجل أي ذكر لأوز من أي نوع • ولعل ذلك راجع إلى أن  
هذا الطير لم يكن ينقل من مكان إلى آخر وإنما كان يربي محلياً •

وكانت الأناوات من الفسفال قليلة وقد بلغت ١٤٠٠ رطل من  
الخططة و ١٦٠٠ رطل من الشحير لعمل الجمة و ٣٠٠٠ رطل من  
الذرة (١) وهي جملة قدرها ٦٠٠٠ رطل • وهذا يدل على متوسط  
يومي قدره ١٦ رطلا • ويحتمل أن تلك المقادير القليلة لم تكن  
إلا لبعض الموظفين المحليين الذين كانوا يعطون الأهالي الموردين  
إيصالات بها وتحسب مما عليهم من ضرائب • وقد ورد ذكر مقادير  
طيفة من الخبز المصنوع من لب ثمر الدوم • ومن الغريب أنه لم  
يرد ذكر للبلع ضمن محتويات القائمة المذكورة • غير أننا نلاحظ  
من الصور أن إقليم الحدود ومنطقة دندره قد أسسها بعدد من  
( الفرائر ) شدت بحبال من الليف على طريقة تعبئة البلع في الوقت  
الحاضر ويغلب على الظن أن محتويات تلك الفرائر كانت من  
البلع • وكانت مقادير البلع على أية حال طيفة جدا • ولعل إنتاج  
البلع من بساتين النخيل بالمزارع الملكية كان كافيا لسد حاجات  
البلاد الى حد كبير والظاهر أنه كان هناك عدا ذلك حوالي ٦٠ جرة  
من عسل النحل • ولما كان العسل المادة السكرية الوحيدة وتشد  
لصناعة الحلوى وتحلية النبيذ فإن هذا العدد من جرار العسل لم  
يكن كافيا لمنشأة واحدة •

هذا هو كل ما ذكر عن المواد الغذائية والمعادن بنفسه • ومنه

---

(١) المقصود بهذا الذرة الرليمة (العويجة) وكانت معروفة في مصر والعالم  
التقديم أما الذرة الشامية الآن في العالم فهي الذرة الشامية • وهذه لم تعرف  
إلا بعد كشف أمريكا •

يتضح أنه لم يكن هناك زيادة عما كانت تتطلبه حاجات الموظفين الإداريين بالحكومة المركزية . بل أن إنتاج المزارع الملكية قد أسهم في سد بعض تلك الحاجات . وليس لدينا دليل على تقديم أتاوات كالدونة بالقائمة للملك خاصة فيما عدا ما كان يحصل عليه من ضرائب عينية معتادة من الماشية والمحاصيل . ولقد كانت أسلاب الغزوات الخارجية هي المورد الذي أمد الدولة بمقادير الذهب والفضة التي استعملت في صنع الخزارف وأدوات الزينة والأواني التي أزدانت بها القصور الملكية والمعابد . ولم يحدث قط أن اعتمدت الحكومة المركزية في نفقاتها كلها على رصيد مركزي . وكان ما يفرض من ضرائب ورسوم يقصد به دفع رواتب موظفي الحكومة المركزية ولا يحمل معنى ما نسميه الآن بالإيرادات العامة للدولة . وكانت أهم مصروفات الدولة وهي نفقات الجيش تدفع محليا . وكان هذا الجيش يتألف من أربع فرق وهي : فرقة «آمون» من مجندي الوجه القبلي . وفرقة « بناس » من منف وفرقة « رع » من جنوبي الدلتا وفرقة « سوتنخ » من شمالي الدلتا . ولاشك أن عبء تجنيد هذه الفرق وتزويدها بكافة العتاد اللازم كان يقع على كاهل السلطات المحلية .

#### تقدير الضرائب

ولقد عنت الحكومة في عصر الدولة الحديثة بتحسين مركز البلاد وزيادة ثروتها ويدرنا التوسع في تقسيم المقاطعات أقساما



صغيرة في ذلك العهد على الاجاء لبذل عناية أكبر للنهوض بالنشئون الادارية في الدولة . لقد كانت الحكومة عموم بتقدير قيمه كفة الأراضي سنويا مع استثناء الأراضي الموقوفة على المصايد . وذلك لتقدير الضرائب المناسبة عليها وهي ضرائب كانت تتفاوت تبعاً لارتفاع فيضان النيل ومقدار المحصول الذي تنتجه الأرض ويرجع هذا النظام في تقدير رسوم الضرائب على الأرض وفقاً لحالة فيضان النيل الى عهد الأسرة الأولى ، وان لم يكن قبل ذلك . لأن ارتفاع ماء الفيضان كان يقاس بدقة عظيمة تصل الى ١/٢ من البوصه . وكان ذلك الارتفاع يسجل في الحوليات (١) الوطنية سنويا . ومن المؤكد أن هذا التسجيل الدقيق لحالة الفيضان لم يكن ليم الا لفرض هام وخطير (٢) . ولم تقتصر الحكومات المتعاقبة على تسجيل الأراضي

---

(١) كان المصريون يسجلون الحوادث طبقاً لسي حكم ملوكهم فيكتبون الأحداث التي وقعت في حكم ملك سنة بعد أخرى . وكانت هذه الحوليات بوجه :

(أ) حوليات الملوك وهي التي يسجل فيها الفرائض حوادث حروبهم واحتفالاتهم . ومن أمثلتها حوليات الملك تحتمس الثالث المسجلة على جدران معبد الكرنك .

(ب) والحوليات الوطنية وهي التي كان يسجل فيها أسماء الملوك الذين تبايعوا على حكم البلاد والحوادث التي وقعت في زمن كل منهم . ومن أمثاله هذه الأخيرة حجر «بلرموه» المشهور الذي سجل فيه أسماء الفراعنة منذ مصر ما قبل الاسرات حتى منتصف الأسرة الخامسة مع بيان الحروب والأمجاد الملكية والدينية والاحتفالات وتأسيس المعابد والمدن والساتن التي اقامها الملوك . وتسجل ارتفاع فيضان النيل في كل سنة .

(٢) الغرض من ذلك طبيعة الحال هو الاستعداد للفيضان من ناحية وتقدير الضرائب من ناحية أخرى .

عامة بل كانت تسجل كذلك مختلف الضياع وعدد الأفراد الذين يقيمون في كل منها . وكانت الضرائب بطبيعة الحال عينية . وكانت تبلغ في المحصول . وكانت تلك الضرائب كما رأينا لا يبعث بها الى الحكومة المركزية وانما كانت تصرف في سد نفقات الادارة المحلية والجيش . على أنه كان هناك لون من ضرائب الدخل المهية يتقاضاها الوزير من الموظفين كل بحسب منصبه . وقد رفع « حور محب » (١) تلك الضريبة وكان يهدف من وراء ذلك الى معاضدة الموظفين المدنيين له واضعاف نفوذ الوزير الذي كان يرى فيه رجلا خطرا على مركزه بعد أن أضحى محل نفوذ أتباع « آتون » (٢) وسادت صفوفهم الفوضى والارتباك . وقد قدر حور محب أن منسل هذه الضريبة لن يزيد مع مرور الزمن من قوة هؤلاء الموظفين اذ من الممكن خصم قيمتها من رواتبهم . والظاهر أن ما لجأ اليه هذا الملك

---

(١) ملك مشهور في التاريخ باصلاحاته . حكم مصر بعد اخناتون وخلفائه الضعاف وكانت البلاد قد عانت من الفوضى الداخلية والفساد والرشوة . فقام حور محب بحملة تطهير واسعة في الادارة الحكومية وأصدر قانونا يتضمن انظمة تشريعية واجراءات ادارية منها فرض عقوبات صارمة على الموظفين ورجال الشرطة الذين يشطهون الفقراء او يثبت عليهم الرشوة ، وتشجيع الموظفين ذوي السيرة الحميدة ، والاغداق على الموظفين المسئولين ، بالرواتب والمكافآت حتى لا تمتد أيديهم للرشوة . ويعتبر حور محب صاحب الثورة الاسلامية الاولى في التاريخ القديم .

(٢) هم الذين اتبعوا الملك « اخناتون » في عبادة الاله « آتون » (ومعناه القوة الممثلة في قرص الشمس) وبعد وفاة هذا الملك اضطهدوا وتشبستوا ونقضوا عليهم .

كان وسيلة ماهرة لنقل هذا الكسب بطريقة بارعة من يد الوزير  
الى يده .

وكان تقدير الضرائب من اختصاص المفتشين الملكيين الملحقين  
بالقصر الملكي ، اذ كانوا يقومون بشمين الأراضي وغيرها من العقارات  
ويقررون الضرائب المناسبة عليها . وكان النظام المتبع لضبط عملية  
تحصيل الضرائب ينضمن اعداد تقارير شهرية يبعث بها جميع  
الموظفين المحليين المختصين الى الوزير متضمنة كافة صكوك التوريد  
والنفقات ومصحوبة ببيانات عن حالة مياه النيل ، اذ تقرر على ضوءها  
الضرائب في السنوات التالية . هذا وقد اتخذت كافة الوسائل  
والسبل الممكنة لمراعاة الموازنة بين الإيرادات والمتصرف وكان من  
الممكن تدبير النفقات المطلوبة من أقرب مراكز التمويل الحكومية .  
وقد كان جميع الغزاة الأجانب يتقلون مقر حكمهم الى مصر وهذا  
كان شأن برابرة الأسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة (١)

---

(١) يقصد المؤلف بالبرابرة من غير شك الهكسوس الذين غزو البلاد في  
فترة الانحلال الذي أعقبت سقوط الدولة الوسطى . اذ كان المصريون يطلقون  
على الهكسوس أسماء كريهة كالبرابرة والطاعون والوباء ولكن هناك ناحية غامضة  
في عبارة المؤلف وهي انه يقرن حكم البرابرة او الهكسوس بالأسرتين السابعة  
عشرة والثامنة عشرة . لان المعروف في التاريخ أن حكام هاتين الأسرتين هم الملوك  
الوطنيون الذين طردوا الهكسوس من مصر وأسسوا الدولة الحديثة . ولاشك  
ان المؤلف يقصد الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة وهما فقط الأسرتان  
اللتان تكونتا من ملوك الهكسوس كما ذكر المؤرخ المصري مالبتون .

والبوسطيين (١) الذين أسسوا الأسرة الثانية والعشرين والنوبين الذين وإن كان ملوكهم قد بقوا فى « نياتا » (٢) ، الا أنهم أسسوا فى مصر الأسرة الخامسة والعشرين التى كان يتولى الحكم فى مصر فى أثنائها ولى المهد . ولسكن الامبراطورية الفارسية كانت الدولة الأولى التى تقسرو مصر وتفرض عليها جزية ترسل سنويا الى فارس (٣) . وقد بلغت تلك الجزية السنوية ٧٠٠ وزنة (٤) من الفضة أى ما قيمته ١٦٠٠٠٠ جنيه . على أن هذا المبلغ كان طفيفا

---

(١) البوسطيون هم سلالة الليبيين الذين استوطنوا اقليم اليوم ثم اغتصبوا ملك مصر وأسسوا الاسرة الثانية والعشرين (٩٤٥ - ٧٤٥ ق.م) وكان ذلك على يد أحد أفراد سلالتهم وهو الملك «ششنق» الأول . وقد اطلق عليهم «البوسطيون» بسبب اتخاذ عاصمة ملوكهم «بوسطه» أو قل بسطه بالقرب من الزقازيق الحالية .

(٢) كان اجداد هؤلاء الملوك فى الأصل مصريين من سلالة كهنة آمون الذين فروا من مصر نحو الجنوب هربا من اضطهاد ملوك الليبيين واستقروا حول نياتا حيث تمكن اجدادهم من تأسيس سلطنة بلغت من قوتها أن أحد ملوكها وهو الملك «ممنخي» تمكن من غزو مصر والقضاء على الملوك الاجانب الذين كانوا يشاءون على عرشها ، ولكنه لم يستقر عليها على مادة الغزاة الآخرين بل عاد الى نياتا بعد أن مكن اخيه «امنديس» أميرة دبية على طيبة . وظل ملوك التوبة يحكمون من نياتا ويجيشون بين الحين والحين لاستعادة نفوذهم حتى نقل «ناتوت آمون» العاصمة من نياتا الى منف .

(٣) يجدر هنا التنويه بأن الاشوريين سبقوا الفرس فى هذه التناحية إذ تعرضت البلاد لغزوات الاشوريين قبيل مجيء الفرس بحوالى ١٥٠ عاما . وخضعت مصر لسلطان « آشور بانيبال » ملك آشور ودغمت له الجزية . ولكن فترة سيطرة الاشوريين كانت قصيرة جدا .

(٤) الوزنة او «الطالطة» اليونانية تساوى حوالى ٢٤٠ جنيها .

بالنسبة لموارد البلاد المصرية • إلا أنه مع ذلك كان يزيد عما أعتاده  
الوزير المصرى أن يجمعه فى العقود السابقة • هذا بالإضافة الى أنه  
كان يصرف خارج مصر • ولذلك لم تنفع منه مصر • على أن قيمة  
هذه الجزية وهى كما رأينا قيمة معتدلة فيها الدليل على أن الضرائب  
التي فرضها الفراعنة على البلاد فى العصور السابقة لم تكن باهظة  
والا لأخذت حصيلة تلك الضرائب مقياسا لتقدير الجزية التي  
فرضها الفرس على البلاد •

#### ثقل الضرائب فى عصر البطالة

على أن عبء الضرائب كان أثقل كثيرا فى العهد البطلمى  
والسجل الوحيد الشامل الذى لدينا عن تلك الضرائب يرجع الى  
أواخر ذلك العصر الذى لم تكن حالة البلاد فيه مزدهرة •  
فقد بلغت جملة إيرادات الدولة أيام « أوليتس » (١) ١٢٥٠٠ وزنه  
من الذهب أى ما يقرب من ثلاثة ملايين من الجنيهات (٢) وكانت  
مصر أيام حكم الرومان طبقا لتقدير « استرابون » أكثر غنى  
وايراداتها العامة أعظم قدرا • وكان الحصول على الإيرادات فى عهد  
البطالة يتحقق بطريقة تتطلب المبالغة التامة فى التحرى والاستقصاء

---

(١) « أوليتس » معناها الزمار وهو اسم التهم الذى أطلقه أهالى  
الإسكندرية على الملك بطليموس الحسادى عشر (٨٠ - ٥٢ ق.م) والد الملكة  
كليوباترة بسبب هوايته التفتيح فى الزمار •  
(٢) طبقا لسعر الذهب عام ١٩٢٣ •

والتفتيش مما أسستدعى وجود جيش عرمرم من الموظفين الذين لا تفتح فيهم للبلاد للقيام بتلك المهمة ، ونجد في الوثائق البردية من عصر « فيلادلفوس » (١) عن الإيرادات المتصلة بضريبة الزيت فقط كيف كان يتحتم على الأهليين الامام بطائفة عديدة من التعليمات والتوجيهات لأداء الرسوم المقررة على حاجاتهم المنزلية من الزيت • فكان المفتشون يدخلون المنازل ويقومون بمجرد محتويات المطابخ للتأكد مثلا من أن الزيت الذي يستعمله أهل البيت ليس من الزيت الحر التداول وإنما ينبغي أن يكون من الزيت الخاضع للضريبة • وإذا عرفنا أن كل هذا التدقيق تطلبه الفحص عن رسوم سلعة واحدة أصبح من السهل أن تصور ذلك الجهد الكبير الذي كان يتفق في التحرى عن كل نوع من أنواع الرسوم والضرائب •

#### راقب الأراضي

وكانت الضرائب المقررة على الأراضي الزراعية مختلفة بطبيعة الحال تبعاً لحالة ملكيتها فقد أعفيت أراضي الكهنة من الضرائب بينما بلغت الضريبة على الأراضي التي يملكها المزارعون من المواطنين الأحرار ١/٥ جملة المحصول • وكان مستأجرو الأراضي والضباع الخاصة بالملك يؤدون إيجارا كبيرا • وكان على عبيد الأرض أن

(١) هو بطليموس الثاني وحكم من ٢٨٥ الى ٢٤٧ ق م •

يقدموا الجانب الأكبر من المحاصيل التي يقومون باتباعها الى ملاك الأرض سواء أكانوا من المزارعين الأحرار أم الكهنة أم الملك .

### ضرائب الماشية

وكانت الضرائب تفرض على رهوس الماشية منذ العصور الأولى . . وفى عهد الأسرة الثانية اتبع نظام احصاء الماشية مرة كل سنتين . ومن الواضح أن الفرض من هذا الاجراء هو الحصول على نصيب الحكومة كاملا . وفى عهد الأسرة الثانية عشرة كان احصاء الماشية يتم مرة كل سنة وكان « أمير بنى حسن » يحصل على ٣٠٠٠ رأس من الماشية سنويا من مقاطعته كضريبة مستحقة للحكومة . وكانت الضرائب تقرر أيضا على مصائد الأسماك فى البلاد . غير أنه لا يوجد لدينا سجلات فى هذا الصدد الا من عصر الحكم الفارسى . فقد كان ايراد الرسوم على مصائد الأسماك فى بحر يوسف عند مدخله بالقيوم يصل الى « وزنة » من الفضة فى اليوم الواحد . وذلك لمدة ستة أشهر من كل سنة و ١/٢ ذلك الايراد بقية أيام السنة . وهو ايراد يبلغ فى جملته ٢٤٠ وزنة من الفضة سنويا . وهذا القدر من الايراد يبدو مبالغا فيه ويصعب تصديقه ولا يمكن تحقيقه الا اذا كان الصيد قد منع منعا باتا على طول مجرى بحر يوسف حتى يمكن تركيز جمع الرسوم كلها فى مكان واحد .

## الضرائب في عصر الرومان

وكانت الغاية الأولى من جمع الضرائب أيام الرومان الحصول على أكبر قدر منها لصالح الامبراطور الروماني الذي كان يقيم بعيدا عن مصر . وقد أدت تلك الوسيلة البشعة في مدى قرنين من الزمان الى افقار البلاد وقيام ثورات منها ثورة بوكوليا (١) *Ducolie War* وقد استمر هذا الضعف على موارد مصر حتى لتجد أن أحط أنواع العملة المتداولة قد اختفت من الأسواق ورجعت البلاد القهقري الى طريقة المقايضة البدائية . فلا عجب إذن وقد انحدرت حالة البلاد الى هذا الخضيض أن يرحب المصريون بقدم الفاتحين العرب بغيه التحرر من قسوة محصيلي الضرائب من البيزنطيين . وكان الامبراطور الروماني الغريب عن البلاد هو الذي يقرر عاما بعد آخر جملة ما ينبغي تحصيله من أهل مصر من الضرائب . وكانت أوامر الامبراطور تبلغ الى حاكم مصر فيبلغها فورا الى حكام الأقاليم الثلاثة وهؤلاء يبلغونها بدورهم الى حكام المقاطعات الذين يجيئون الضرائب المطلوبة من القرى .

وكانت أهم أنواع الضرائب ضريبة الخطة التي لا بد من ارسالها الى روما . وكان على أهل كل قرية أن يقوموا متضامنين

---

(١) قام بها الفلاحون ورعاة البقر الذين كانوا يستوطنون المستنقعات الواقعة شرق الاسكندرية المعروفة بمنطقة بوكوليا ، وذلك عام ١٧٢ م في عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس .



بنقلها من القرية الى مركز التسليم بالاسكندرية . وكانت الأراضي التي لا تزرع حبوبا تؤدي ضريبة نقدية عن انتاجها من الكروم والتين والبلح والزيتون وغير ذلك مما قد تنتجه الأراضي . وكانت السلطات المحلية نفسها تتولى عدا ذلك تحصيل العوائد على المنازل وغيرها من المنشآت . وقد تعرضت مصر عدا ذلك لزيد من الضغط والمنف من جانب روما ، فقد كان هنالك موظف كبير من قبل الامبراطور يسمى : نائب الامبراطور *Idiologas* همه الأكبر أن يرعى مصالح الامبراطور وأن يطمئن على أن الجهاز الادارى يسير فى البلاد دون أن يعتريه ضعف أو خلل . فقد يكون لدى الحاكم العام من كثرة الأعمال وتنوعها وما قد يتراعى له من مقتضيات الأمن والنظام أو حالة البلاد العامة ما يحمله على التساهل فى تحصيل الضرائب المفروضة . فاذا حدث شيء من هذا من جانبه فهناك نائب الامبراطور الذى كان تعيينه من قبل الامبراطور مباشرة صفة الاستقلال عن الادارة فى مصر . وقد كان النائب يكرس وقته وجهده فى أمر واحد هو الحصول على المال ولا شيء غير المال ، وذن مراعاة لأية اعتبارات أخرى . وأخيرا نجد أنه عملا بقانون الاصلاح الذى أصدره ( دقلديانوس ) قد تقرر سحب مهمة تحصيل الضرائب من يد الحاكم العام وعهد بها الى نائب الامبراطور الذى أصبح مستقلا تمام الاستقلال عن الادارة المدنية فى البلاد . وكان نائب الامبراطور هو الذى يشرف على ادارة الأراضي المملوكة للحكومة

أو لشخص الامبراطور أو المرهونة لقاء ديون مستحقة للدولة .  
وكذلك على الأراضى التى ليس لها ملاك معروفون . وكان يساعده  
فى عمله موظف آخر يسمى « الديوكيتس » (٢) (Dioketes)  
ويعمل تحت امرته نفر من الموظفين يحمل كل منهم لقب وكيل .  
(Epipelropes) وكان من الممكن التصرف فى الأراضى التى ليس  
ملاكها بالبيع فى أى وقت من الأوقات كمسا بيعت أراضى الدائرة  
السنية أيام أسرة محمد على .

وكانت المحاجر والمناجم فى البلاد تعتبر من أملاك الامبراطور  
الخاصة . وتتولى الحكومة ادارتها وتسخر فى العمل بها المساجين  
تحت حراسة مشددة كما يحدث الآن فى محاجر « البازلت » فى  
أبى زعبل شمال القاهرة . وقد أدخل تعديل خاص على إعفاء  
ممتلكات المعابد من الضرائب . ويحتمل أن تكون الحكومة قد  
كشفت عن تهرب بعض ملاك الأراضى من الضرائب بالتواطؤ مع  
الكلية . ولذلك قامت الادارة بفرض الضرائب على أراضى المعابد  
أسوة بغيرها من الممتلكات على أن تقدم الحكومة فى مقابل ذلك  
بعض المنح للصرف منها على شئون المعابد . وكان من أثر هذا

---

(٢) كان الديوكيتس فى عصر البطالة هو وزير المالية ، وكان يتمتع بسلطات  
واسعة لأنه كان المشرف الاول بالنيابة عن الملك على الشئون المالية فى الدولة .  
ولكن هذا اللقب تطور فى العصر الرومانى فأصبحت وظيفة الديوكيتس أقل فى  
المرتبة من وظيفة الحاكم الرومانى لمصر ومعادلة لوظيفة نائب الامبراطور ، وصار  
من مهامه الاشراف على الاشغال العامة .

الاجراء اخضاع الكهنه لنفوذ الحكومة التي هي مصدر ما يتمتعون به من منج والتي كان يعينها الابقاء عليهم واكتساب وفائهم وتعظيمهم لها .

وقد فرضت ضرائب على حركة المرور في النيل تؤديها السفن المتجهة نحو الجنوب عند مقر « شيديا » (١) (Schedia) والآية من الجنوب عند « هرموبولس » (٢) (Hermopolis) وكانت تلك الضرائب شبيهة بالرسوم النهرية التي كان خديوى مصر يفرضها عند مرور السفن بكيارى السكك الحديدية وكان الغرض منها تحويل حركة التجارة الى السكك الحديدية .

وكانت المكوس تفرض على السلع الواردة عن طريق البحر الأحمر ويتم تحصيلها في مدينة فقط بطريق الالتزام . وكانت

---

(١) شيديا أو سخديا : مقر نهري قديم مكانه الآن قرية النشو البهري الواقعة شمال كفر الدوار . وكانت تقع عند ملتقى ترعة شيديا القديمة التي حفرها البطالة لامداد مدينة الاسكندرية بالماء العذب بفرع النيل الكائنوى الذى جف الآن . هذا ويتكاد يتفق مجرى هذه التربة مع مجرى ترعة المحمودية الحالية في جزئها الغربى . كما كانت ترعة شيديا تصب في الميناء الغربى مكان مصب المحمودية الحالي .

(٢) هرموبوليس : الاسم الاغريقى لقرية الاشموين الحالية الواقعة شمال غرب ملوى . وكانت في العصر الاغريقى مدينة زاهرة تمتد حدودها حول مساحة كيرة من الأرض تصل الى النيل . اما اليوم فهي قرية صغيرة تبعد عن النيل . ومعنى اسمها مدينة هرمز وهو اله العلم عند الاغريق الذى يعادل الاله نوحوت المصرى معبود هذه المدينة . هذا وكلمة الاشموين أصلها من الكلمة القبطية «شمون» ومعناها (ثمانية) لأن الاله نوحوت كان يعبد مع ثمانية آلهة في هذه المدينة .

فئاتها تعلن للمجهور منها من ابتزاز أموال الناس • وفي البحر الأحمر كانت ضرائب الرموس تجبى على البحارة وعلى النساء أيضاً ويبلغ قيمتها عدة شلنات • أما ضرائب النقل فكانت بسيطة • وكانت ضريبة الرموس تفرض على المصريين بين سن الرابعة عشرة والستين • ويستثنى منها بعض الطبقات التى تتمتع بامتيازات خاصة كالرومان والامكندريون وسلالة الضباط الاغريق ممن أستوطنوا مصر وبعض كهنة المعابد • ومن حين لآخر كان هناك الى جانب ضريبة الرموس نوع آخر من الضرائبسمى « تبرعات خيرية » أو « ضريبة التاج » وكانت فى الأصل مساهمة مالية من جانب سكان البلاد لشراء اكليل من الذهب يقدم للحاكم الرومانى عند ما يتقلد منصبه الجديد فى مصر • ولكن هذا النوع من التبرع الاختيارى اتخذ بمرور الزمن شكل ضريبة تشبه ضريبة « بشائر الفاكهة » التى كانت تفرض على زوار الكنائس • وكانت الحرف المختلفة تخضع لضريبة الدخل وتقدر على أساس المتحصلات الشهرية • واذن فقد كانت فى الواقع ضريبة مهنية بصرف النظر عن الأرباح الناتجة ولعل هذا الاجراء الشاذ قد شجع القوم على أتباع نظام المقايضة فى معاملاتهم اذ لم تكن تلك الطريقة فى المبادلات خاضعة لأية ضريبة بل انها فى الواقع حلت محل العملة التى تدهورت قيمتها وقتئذ •

وكانت هناك ضرائب على بيع الأملاك بنسبة ١٠ من قيمة

العقار • وعلى التركات بنسبة يُلزم من قيمة التركة • ومنها عند عتق  
الأرقاء • ورسم طفيف قدره يُلزم على تسجيل الوثائق الرسمية  
وكانت الغرامات التي توقع في حالة الإخلال بالعقود المبرمة لا تدفع  
إلى الجانب الذي وقع عليه الضرر وإنما تورد إلى خزانة الدولة •  
ولاشك أن هذا الإجراء كثيراً ما شجع طرفي النزاع على حسم  
الخلافات والوصول إلى اتفاق قبل اللجوء إلى المحاكم •

ولقد أدت صعوبة تحصيل تلك الضرائب المتنوعة إلى اتباع  
نظام الالتزام بما فيه من مساوئ • ومنها استغلال الأهالي في  
الإرشاد عن المتهربين من دفع الضرائب • وكان الالتزام معمولاً به  
في عصر البطالة • ورغم أن هذا النظام كان في صالح الحكومة  
إلا أنه أدى إلى ارتكاب مساوئ مروعة فقد كانت الأطماع والمصالح  
الشخصية للملتزم الذي كان يستند إلى مساعدة السلطات الرسمية  
تدفعه إلى استعمال منتهى الضغط والعنف مع الأهالي لجمع الضرائب •



الفصل الثالث

---

الحسنات والسيئات

---

## الحسنات والسيئات

ان النصوص التي كان حقا على موني المصريين القدماء تلاوتها يوم الحساب ، منكرين فيها ارتكابهم لبعض الخطيئات ، ومتبرئين من اقترافهم لبعض السيئات ، لخير بيان عن اعتقادهم فيما كان ينبغي أن يكون سلوك الناس وأخلاقهم . وقد تضمنها الفصل الخامس والعشرون بعد المائة من الكتاب المسمى كتاب الموتى (١) . وقد سميت خطأ الاعتراف بالانكارى .

(١) كتاب الموتى هو مجموعة المائت من أوراق البردى تحوى نصوصا وتماويل وأدعية وسلوات ، كان يفرض منها طرد الأرواح الشريرة من مقبرة الموتى ، وتسهيل الطريق له الى العالم الآخر . وقد سمي كذلك للمثور على نصوصه في مقابر الموتى منذ عهد الدولة الحديثة . والفصل الخامس والعشرون بعد المائة من هذا الكتاب يوضح طريقة محاكمة المتوفى على ما قدمته يده في الحياة الدنيا من خير أو شر ، أمام محكمة العدل الالهية ، التي يرأسها الاله أوزيريس أمام الموتى . وتتكون هيئة المحكمة من ٤٢ قلفسيا . وللمتوفى ان يفكر اقترافه أية خطية امامها ، فتكلف أحد أعضائها ان وزن قلبه =



ولقد تعرض فصل « انكار الخطايا » أو اعلان البراءة لكثير من  
التغيير والتبديل على يد الناشرين والمؤلفين ، فكاتب يعيد ترتيب  
نصوله ، طبقا لأرائه الخاصة ، ويحذف ما يستعصى عليه فهمه فيها ،  
وآخر يلتزم ترتيبها الأصلي ، ولكنه يحذف مالا يحلو له .  
واليك النص كاملا من غير حذف أو تغير .

وهي مقسمة مجموعات ، عدد فقرات كل مجموعة منها  
خمس . وقد يكون غلة هذا التنظيم تيسير حفظها بالاستعانة بالعد  
على أصابع اليد الخمسة (١) .

#### السلوك العظم

- ١ - لم الحق ضررا ما بلأى انسان .
- ٢ - ولم أعمل على اشقاء حيوان .
- ٣ - ولم استبدل السيئة بالحسنة .
- ٤ - ولم أعرف الشر ، ولم أعمله .
- ٥ - ولم أقدم مصلحة على الخاصة على واجبي .

---

« بميزان (١) للتأكد من صدقه ، فإذا كان صادقا دخل جلة أوزيرس يستمع  
بما فيها مما تشتهي النفس الى الأبد ، أما اذا بيت قلبه ، فإنه يلقي به الى  
حيوان مفترس . يؤتى به لهذا الغرض ، فيلتهمه ، أو يلقي به في النار .  
(١) كان يوزن قلب المتوفى بوضع في كفة الميزان ، ويوضع في الكفة  
الأخرى ريشة ، فإذا خفت كفة قلبه كان صادقا ، أما اذا ثقلت فيكون من  
الكاذبين .

## العمل الصالح

- ٦ - لم يشكنى أحد لرب الأسرة •
- ٧ - لم ألعن الآلهة •
- ٨ - لم أسع الى انشاء انسان ، أو أتسبب في فقر أحد •
- ٩ - لم ارتكب ما يغضب الاله •
- ١٠ - لم أحرص خادماً على عصيان سيده •

## انكار اقتراف السيئة وارتكاب الظلم

- ١١ - لم أتسبب في مرض أحد •
- ١٢ - ولم أتسبب في بكاء أحد •
- ١٣ - ولم أقتل •
- ١٤ - ولم أحرص على قتل أحد •
- ١٥ - ولم أتسبب في حرمان انسان من حق له •

## الواجبات الدينية

- ١٦ - لم انقص من قرايين المعابد •
- ١٧ - ولم أسرق الفطائر المقدسة التي تقدم للآلهة •
- ١٨ - ولم أسلب خبز الموتى الأمجاد •
- ١٩ - ولم ارتكب الفاحشة في حرم الآلهة •
- ٢٠ - ولم أدنس نفسي في حرم الاله •

## الأمانة

- ٢١ - لم انقص كيل الحنطة •
- ٢٢ - ولم انقص المقياس ( راحة اليد ) ( ١ ) •
- ٢٣ - ولم ارتكب الغش فى الحقول •
- ٢٤ - ولم أطفف فى الميزان •
- ٢٥ - ولم أتسبب فى فقر أحد بالتلاعب فى الميزان •

## احترام حقوق الآخرين

- ٢٦ - لم اختطف اللبن من فم الرضيع •
- ٢٧ - ولم أطرده الماشية من مراعيها •
- ٢٨ - ولم أقتص الطيور من رحاب الآلهة •
- ٢٩ - ولم أصد السمك من بحيراتهم •

## انكار أعمال التخريب

- ٣٠ - لم أصد الماء فى موسم جريانه ، ولم أقم سدا فى مجراه •
- ٣١ - ولم أطفى شعلة فى وقت الحاجة اليها •
- ٣٢ - ولم أخالف الحدود بتساؤل اللحوم فى غير الأيام المخصصة لتناولها •

---

(١) راحة اليد : مقياس كان مستعملا فى مصر القديمة ، يبلغ سبع ذراع  
أى حوالى سبعة وثمانين سم •

٣٣ - ولم أطارد الماشية وغيرها من الحيوانات المقدسة .

٣٤ - ولم اعترض على ارادة الله .

وان من يفحص عن هذه الوحدات أو الفقرات يتضح له أن بعض المعاني قد تكررت أكثر من مرة ، وإن نظام الحماسيات محافظ عليه عدا الفقرة الخامسة في احترام حقوق الآخرين التي أغفلها المترجمون لعدم فهمهم إياها ، وأن الفقرتين رقم ١٩ ورقم ٢٠ تشير إلى عادات لم تكن متبعة في مصر القديمة ، ولكنها كانت متبعة في معابد بلاد الشام (١) والتي ظلت متبعة حتى وقت قريب في بيت المقدس .

---

(١) كانت بعض المعابد في الشام ، وفي بلاد ما بين النهرين تدخر بأعداد كبيرة من النساء يطلق عليهن «عاهرات المعابد» ، وكن يعتبرن سراوى للآلهة أو كهنتهم ، ولم تكن الفتيات أو أهلن يجدن في ذلك العمل الشائن عارا ، بل كن وكانوا يعدونه نوعا من الواجبات المقدسة ، وكان الأهل لذلك يحتفلون بالحاي بناتهم في المعابد المقدسة ، لمن يملك الواجب المقدس . . . وكانت عاهرات المعابد كثيرات في غربي آسيا ، فكن موجودات في فريجيا وفينيقية وسوريا ، كما كن موجودات عند بني اسرائيل . وقد جاء في سفر عاموس من التوراة : أصحاح (٢) آيات ٦ و ٧ مائل : هكذا قال الرب من أجل ذنوب اسرائيل الثالثة والرابعة لا أرجع عنهم لأنهم باعوا البار بالفضة ، واليائس لأجل ثعلب ، الذين يشعرون تراب الأرض على رؤوس المساكين ، ويسدون سبيل اليائس . ويلعب رجل وأبوه إلى مسبة واحدة حتى يدنسوا اسم قدسي .

... وظلت الدعارة المقدسة متبعة في نابيل حتى المساهة الإمبراطور نسططن سنة ٢٢٥ ملادية .

هذا ولم يعرف هذا النظام في مصر ، لأنه كان يعتبر رجسا (١) في نظر المصريين القدماء .

ولقد كان القانون المصرى يعد انقاص كيل الحنطة ، كما فى  
 الفقرة ٢١ أو مقياس الأقمشة كما فى الفقرة ٢٢ ، أو عدم الدقة  
 فى تحديد الأراضى ، أو تقدير الضرائب ، كما فى الفقرة ٢٣ ،  
 أو اخسار الميزان كما فى الفقرتين ٢٤ ، ٢٥ ، كان يعد كل أولئك  
 غشا وتزويرا ، كما أن معنى الفقرة رقم ٢٨ غامض ، ولعل ورودها  
 فى خماسية احترام الحقوق تشير الى أنها تعنى صيد الطير فى  
 الأراضى المملوكة للآلهة ، التى كان الملوك يهبونها لمعابدهم .  
 أما الفقرة رقم ٣٠ ففيها تكرار لمعنى واحد ، لأن سد مياه النهر  
 إعاقه له عن الجريان ، لا يختلف معناه عن معنى إقامة سد فى مجراه  
 لحجز المياه أمامه .

وان هذه الخماسيات السبع كانت بمثابة مخطورات - بحكم  
 الدين والقانون - يتجنبها المتقون الذين كانوا يحرصون على أن  
 يلقوا أوزيريس رب يوم الحساب وصحيفتهم بيضاء من غير سوء !  
 ولقد كان لحكمائهم حكم ونصائح وأمثال ، لا تتصل بالحقوق  
 المفروض مراعاتها ، كما هو الحال فى الخماسيات ، قدر اتصالها  
 بأداب السلوك وسياسة الناس ، وإماتة الضغينة والحقد فى قلوبهم ،  
 وتوجيههم الى الطريقة المثلى لمعاملة بعضهم بعضا ، ولا ترقى الى أن

---

(١) يقول هيرودوت : لقد كان المصريون أول من لرحسوا على الرجال أن  
 يفتسلوا بعد قريهم للنساء . وكان جميع الشعوب عدا المصريين واليونانيين  
 يأتون الفاحشة ، ويدخلون المعابد دون أن يقتسلوا .

تكون أوامر ونواهي يلتزمها الناس كالحماسيات ، وليكنها مبادئ سامية ، إذا احتذاها الناس رفرت عليهم السعادة والهناء وخلو البال ومن أشهر حكمائهم - أن لم يكن أشهرهم جميعا - بتاح حبيب (١) ، الذي عاش في عهد الأسرة الخامسة ، وإن حكمه ونصائحه لتبين عن السلوك السوي من وجهة نظر المصريين في زمانه واليك بعض نصائح بتاح حبيب :

- ١ - لا تنفمس في مظاهر الثراء الذي أنعم الله به عليك ..
- ٢ - إذا أردت أن تكون أعمالك محمودة فتجنب الشرور ، واحذر نزعات الجشع والطمع .
- ٣ - لا يفرك بغزارة علمك الغرور ، وتحدث مع الجاهل والعالم على السواء ، فإن العلم بحر لا ساحل له ، ولا يستطيع لذلك أحد أن يبلغ مداه ، وليس هناك أحد يحيط بكل شيء علما ، فيعرف كل ما ينفعه وما يضره .

---

(١) إن حكم بتاح حبيب ونصائحه مكتوبة على ١٨ صفحة من ورق البردي، وتعرف باسم بردية برسي نسبة إلى الأثرى Prisse الذي أذاعها سنة ١٨٤٧ م - وقد كتب بتاح حبيب هذه الحكم والنصائح وهو وزير الملك أسيسى أحد ملوك الأسرة الخامسة ، ولقد كتبها وله من العمر ١١٠ سنة لتكون هاديا ومرشدا لابنه الذي كان بعده لأن يتولى وظيفته بعد وفاته ... ولقد كانت هذه الحكم والنصائح تدرس في ذلك العهد وبعده في المدارس .. وكان التلاميذ يكتبونها على قطع من الخرق أو على الواح ملساء من الحجر ، وذلك لفلاحة الورق البردي آنذاك ..

وكان للصدق مكانة عظيمة عند قدماء المصريين ، ويتبين ذلك من كثرة عدد كهنة الالهة « معات » الاله الصدق (١) ، اذ كانوا أكثر عددا من كهنة الاله بتاح أقدم آلهة المصريين القدماء وأعظمهم (٢) وإن هذا التمجيد لالهة الصدق .. يدل على مدى ما للصدق من أثر عميق في نفوسهم .

ولقد كان المصريون القدماء يحرصون على نيل رضى الالهة ، وادخال السرور عليهم باتباع السلوك القويم ، وتمسكهم بالأخلاق

(١) كانت معات الاله الصدق والعدل تمثل على هيئة امرأة على رأسها ريشة . وعند وزن قلب المتوفى أمام محكمة أوريريس كانت هذه الريشة توسع في إحدى كفتى الميزان كمقياس للصدق ويوضع القلب في الكفة الأخرى . فإذا تبين أن القلب أثقل من الريشة دل ذلك على صدق المتوفى ، فترثه المحكمة من الخطايا ، وإذا حدث العكس كان ذلك دليلا على كسبه وإتقانه للخطايا التي أنكرها . فتحكم بأنه مذنب وأمرت بنهايه إلى النار .

(٢) بتاح من أعظم آلهة المصريين ، ومن أعلاهم مقاماً ، ان لم يكن أعظمهم جميعاً ، لأنه أقدمهم ، فكان المصريون يلقونه لذلك بالساديء الذى أبغضت منه جرائم الاشياء ، والذى قدر أرواق الاحياء ، والخالق الذى خلق الانسان من طين .. وأنه ناشر الأموات يوم القيامة ، ليسبقوا الحياة الأخرى الأبدية .

... ويرى الأستاذ المؤرخ الكبير آرثر مي أن المصريين أول من اعتدوا إلى الله ، وأول من اخترعوا شريعة تعربهم إليه ، وأن معتقداتهم الدينية كانت المعلقة الأولى في اتجاه العقيدة الصحيحة التى تأثر بها من جاءوا بعدهم من طماء البشرية ، ولقد استطاع عقل أولئك المصريين أن يلبسهم بأن لهم حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا ، وأنهم محاسبون حساباً دقيقاً ... عن أعمالهم في حياتهم الأولى ، حينما تتجرد أرواحهم من هياكلها المادية لتخلد جنباً إلى جنب في برازخ الأبدية ، حيث تجزى أرواحهم بالخير شراً ، ونالشر شراً . ترجمة حامد القصسى .

القويمة ، لأنهم كانوا يعتقدون بأن التمتع بالسعادة والهناء بعد الموت يتوقف على أعمالهم في الحياة الدنيا . ولقد أدت تلك العقيدة بدورها الى الاعتقاد بأنه لا بد من تقدير أعمال الانسان قبل أن يتقرر استحقاقه لصحبة الآلهة ! ومن هنا نبئت فكرة محاسبة المرء على أعماله في الحياة الدنيا أمام الاله أوزيريس ، فإذا ما مثل الميت أمامه ، خاطبه ومن يحفون حوله من آلهة صغار بقوله :

سلام عليكم يا أرباب العدل الجالسين حول أوزيريس ،  
والقادرين على غفران الخطايا والذنوب . أعيروني آذانا صاغية :  
لقد سمعت اليكم فامحوا جميع خطاياي ( كتاب الموتى ١٧ ، ٨٤ ) .  
ولم يكن دعاؤه هذا للتدليل على حسن سلوكه وعدم ارتكابه  
للمعاصي فحسب ، ولكنه كان فوق ذلك رجاء لتطهيره وتبرئته ...  
وهو اعتراف بأن المرء لا ينبغي له أن يعتمد على أعماله الطيبة فقط ،  
بل هو في حاجة الى عون الآلهة وغفرانهم .... ولقد كان المصري  
يشعر شعورا قويا بقيمة متانة الخلق وضبط النفس في معاملاته  
للناس ! وكان من تعاليم الآباء للأبناء ، والمعلمين للتلاميذ ، والحكماء  
لعامة الناس : أن ليس هناك مجال للانحراف أو التردد اذا ما حزم  
المرء أمره على انتهاج خطة معينة . وكان يرون أن العقل الثابت  
الرصين غير المتردد منحة سماوية وكان مما يفخرون به قولهم :  
« لم أستسلم الى الهم والفضى والقلق الشديد ، ولست من  
ذوى الحدة أو التردد » .



وكانت الحكمة والاتزان والهدوء من السجايا التي كانوا يرون أنه من الواجب أن يتصف بها الناس جميعا . ومن أقوالهم :  
 إذا كان خصمك أحق أخرق كثير الصخب ، فخير ما تفعله أن تلتزم الهدوء ، وتتغاضى عن سخافاتهِ وتفاهاته ! وإذا عاملت أكفاء وأندادا ، فتجنب الغش والخداع ، وتغاضى عن مفساتهم وذلات ألسنتهم (١) ، واحرص على صداقتهم والتودد اليهم ، وبش في وجوههم حين تلقاهم (٢) ، واطرح البخل والتقتير ظهريا .  
 أما لمن هم أعلى مقاما فكانوا ينصحون بالأذعان لهم وطاعتهم ، وبألا ينسوا الزلفى لهم والتقرب اليهم بشئ الطرق ، والتوسل اليهم باتباعهم .

أما من هم أقل منزلة ، فكان يرى معاملتهم بالعدل والاحسان ، من غير مس يقتل الحسنة ، أو تذكير بما قدم لهم من عوارف أو نعم . وكان التكبر عليهم ونهب أموالهم ، ونهرهم أو استعمال العنف معهم من الأمور المذمومة .

ومن نصائحهم :

لا تكن ثرثارا ، فإن الناس يصمون آذانهم عن الاصغاء لكثير

(١) في الأصل منى عن طلبهم ، وعن عدم السماح بتعذيب أحد . . . وهذا أمران لا يستقيم معناه في معاملة الأكفاء .  
 (٢) في الأصل يزعم المؤلف أن المصريين كانوا يرون أن الصداقة بها منافع جمة ولذلك كانوا يعرضون عليها لمنفعتها لهم ، لا لأنها فضيلة . ولأجل هذا كان ينقصها الإخلاص .

الكلام .... والتزم الصمت يرض عنك الناس ، ويحمدوك !  
وإذا ما تكلمت فتخير ألفاظك ، لأن هلاك المرء قد يكون في عشرة  
من لسانه .

وعلى الرغم من أن المصريين القدماء كانوا يحضنون على  
المثابرة على العمل والجد فيه ، فإن مطالب الحياة ورغبات النفس لم  
تكن عندهم موضع كبت وحرمان . ومن أقوالهم المأثورة في  
ذلك :

ان من يعمل النهار كله ، لا ينعم بلحظة ممتعة واحدة ،  
كذلك الذي يقضى يومه كله في اللهو واللعب ، فإنه لا يجد قوت  
يومه ! وان الرامي الماهر لا يصيب هدفه الا بشده القوس واطلاقه ،  
كما يفعل ربان السفينة بالسكان ليصل الى المكان الذي يريد .  
وان من يطيع قلبه بعلو ويسود ، فاستمع الى نداء قلبك ، ولا تعصى  
له أمرا ، فان من المواقفات عند النفس « الكا » أن يغفل ما تومي  
به ! ولا ينبغي أن تسترسل في العمل بعد حصولك على ما هو  
ضروري لسد حاجات بيتك . وعندما تحصل على ذلك فاتبع نداء  
القلب ، لانك اذا كنت متعبا منهوك القوى ، عز عليك أن تستمتع  
بما حصلت عليه الاستمتاع كله ، لأن الثروة التي يجمعها الانسان  
بجده واجتهاده ، ليست الا وسيلة لاسعاد النفس وهنائها ، وليس

على المرء بعد ذلك الا اكرام الناس ، وحسن ضيافة الطارق الغريب ،  
والمحروم منهم بخاصة •

ومما يسترعى النظر أنه لم يرد في النصوص الانكارية حقوق  
أفراد الأسرة وواجب المنكر نحوهم ؟ وان الاشارة الوحيدة فيها  
عن الزواج هي أنه لا ينبغي أن يخالف فيه أوامر الدين ونواهيه !  
أما في المصور الأخيرة فقد كانت الجرائم الجنسية مستتكرة في  
قائمة الخطايا • ويبدو أنه لم يكن لأفراد الأسرة الواحدة من  
الحقوق والواجبات قبل بعضهم بعضا غير ما كان لهم منها نحو أفراد  
الأسر الأخرى • وليست هناك أية اشارة في أى عصر من  
المصور الى الفروض الواجبة نحو الاخوة والأخوات وأبناء الأعمام  
والأخوال وبناتهم ، وأن وشائج القرى والروابط العائلية لم تكن  
أبدا فيما يبدو قوية كما كانت في الأقطار الشمالية (١) • ومع ذلك  
فقد كانت العلاقة بين الآباء والأبناء قوية جدا والحقوق والواجبات  
بينهم مراعاة •••

ويبدو أن النصوص الانكارية أقدم عهدا من دستور الزواج ،  
اذ ليس فيها الا اشارة واحدة الى الرباط الزوجى الدائم الذى ساد  
المجتمع المصرى فيما بعد ألا وهو عدم اشتراط الحصول على تصريح  
دينى لاتمامه ، ذلك التقليد الذى كان متبعيا فى معظم الأقطار

---

(١) يقصد بالأقطار الشمالية الأقطار الأوربية •

الاسيوية • أما في مصر منذ العصور الأولى حتى عهد الأسرة  
التاسعة عشرة ، فقد كان الزوج ينظر اليه كأنه تزيل مقيم في  
منزل سيدة (١) •

ولا أدل على ذلك من أقوالهم المشهورة التي نحتزى منها  
ما يأتي :

لا تكن فظا غليظ القلب لسيدة في منزلها ، ولا تشر الى شيء  
ثم تقول لها : ما هذا ؟ اتنى به ، عندما تكون قد وضعت في مكانه ،  
وأنت تراه بعيني رأسك فيه ••• انك عندما تلتزم الصمت تكشف  
عن سجاياها ، وان من تمام سعادتك أن تعاون يداك يديها •

وتتمثل قوة الرابطة الزوجية في تلك القصة القديمة  
للتمساح السحري (٢) ، فقد حكم على الزوجة الخائنة التي أهدرت

---

(١) قد يبدو هذا غريبا لنا ولكنه يعتبر شيئا منطقيا في مجتمع قام على  
نظام الامومة ، فقد كان المصريون القدماء ينتسبون الى امهاتهم ، وكانت النسب  
الوارثة المفضلة لأملاك والديها ، فكانت تترك المنزل والأثاث والأراضي الزراعية  
وما عليها ، ولهذا السبب كان الاخوة يزوجون بأخواتهم حتى يحصروا الميراث  
في الأسرة ، ولهذا السبب كان الزوج يعتبر شريكا دائما في منزل الزوجة •

(٢) مجمل القصة أن زوجة لأحد رؤساء المرتلين لأحد فراعنة الدولة  
القديمة أحببت أحد الفتيان فارتسملت اليه خادمتها بهدية فاخرة وتبعوه  
ليقابلها في حديقة بيتها ، فلبى دعوتها ، وكان يرافيقها في الحديقة ، ويظللان  
بحرمان حتى الغيب ، وكان الفتى يسبح في البحيرة التي في الحديقة ، فراه  
حارسها فأخبر سيده بما يجري ، ولما علم الزوج بذلك ، وكان ساحرا ماهرا  
صنع من الشمع ما على هيئة تمساح ، وأعطاه للحارس الأمين ، وقال له :  
خذ هذا منك الى الحديقة وحين ترى الفتى يسبح في البحيرة ، الق التمساح

كرامتها مع أجنبي في الحديقة بالموت حرقاً من غير أن يكون في ذلك العهد الواقع في القدم نص على ذلك العقاب في قانون منبع آنذاك ، على الرغم من أن الموت حرقاً كان عقاباً للخيانة الزوجية فيما تلاه من عهود .

ويستخلص من الأقوال المأثورة في عهد الأسرة الخامسة أن العرف كان يسمح أن يتصل رب الأسرة اتصالاً غير شرعي بأية امرأة من نساء الأسرة ، من غير أن يسيء ذلك إلى سمعتها ، ولا يحط من قدرها بين الناس .

على الرغم من أن النص الكهنوتي لقائمة التبرء من الخطايا

---

في الماء وهره بأن يبيض عليه ويمكث به في قاع البحيرة - وفعل الحارس ما أمر به - وانقلب التمساح الصغير من الشمع تمسكاً بشعماً قوياً عض على فخذه المعنى بتواجذه وجره إلى قاع البحيرة .  
ودهب الزوج إلى فرعون وقال له : هل أدلك على عجيب من العجائب أيامك السعيدة !

قال الملك : نعم

تسار الزوج نفسه الملك في ركب حافل باتباعه حتى وصلوا إلى البحيرة ، ونادى الزوج على التمساح فخرج وبين فكه الفتى فأمره أن يتركه ، فعاد كعادته حتى حال التمساح الهائل لعبة صغيرة على هيئة تمساح من الشمع ووقف الفتى كاسف البال مطرقاً من الخجل .

وسأل الملك الزوج عن خطيب الفتى ، فقص عليه قصته مع زوجته !

فقص الملك على الفتى بأن يلتصقه التمساح . قال في الماء وألقى وراء التمساح ، وكان ذلك آخر عهده بالدنيا ، ولقى على الزوجة الخائنة بأن تحرق حية ، فحرقته حراء وفاقاً لخيانتها زوجها .

الذى يرجع تدوينه الى العصور الأخيرة فيه ذكر لفانون الزواج ، وتأكيده لحقوق الزوج على زوجته ؛ على الرغم من ذلك فقد كانت الذرية تسبب الى الأم ، كما سبق أن ذكرنا ، وكان للخصال منزلة هامة في الأسرة تفوق منزلة العم . كما كانت جميع العقارات الثابتة ملكا للزوجة ! وكان الزوج اذا ورث منزلاً مثلاً من أخ له أو اشتراه من ماله الخاص ، يسجله فور ايلولته اليه باسم زوجته ، على أن يؤول الى أولادها في الوقت الذى تراه .

على أن النظام الأبوى أى النظام الذى يكون بمقتضاه الأب رب البيت ، والمهيمن على شئونه والمالك للثروة ، واليه ترجع أموره ، واليه ينسب البنين والبنات ! ان ذلك النظام أخذ يظهر وينتشر ويخضع له الناس ويتبعونه في عهد الدولة الحديثة ، وفي عهد الأسرة التاسعة بخاصة ، نتيجة للتأثيرات السامية ! ولكن تملك المرأة لمعظم ثروة الأسرة استمر متبهاً الى ما بعد ذلك العصر بزمان طويل ، ولا يزال باقياً في بعض جهات مصر حتى وقتنا هذا ! ففي صحراء سيناء لا تزال المرأة هناك تملك الحيمة (١) وقطعان الغنم ، وتعلق ثروة الأسرة التقليدية في برقعها !

ولقد كانت الهيئة الحاكمة في مصر القديمة تشعر شعوراً قوياً بضرورة حماية المحكومين ورعايتهم والسهر على مصالحهم ومعاملتهم

---

(١) يذكر المؤلف أن الرجال من بدو سيناء ينامون تحت ظلال الصخور ، ولا ينامون في الخيام أبداً .

بالعدل والاحسان • وكان الوازع لهم فى ذلك متانة أخلاقهم •

وكثيرا ما كان الحكام يدونون فى مقابرهم ما كانوا يقومون به  
من أعمال البر والاحسان الى رعاياهم ، راجين من الآلهة تقديرها ،  
ومثوبتهم عليها •

ومن أمثال ذلك قول أحدهم :

لقد أعطت الخبز للجائع ، والكساء للعارى ، وأفسحت مكانا  
فى زورقى لأولئك الذين لا يستطيعون العبور لأمر من الأمور •  
ولقد كنت أبا لكل يتيم ، وزوجاً لكل أرملة ، وحمى من الريح  
الصرصر للمقرودين ، وجار اللاجئين ، وأماناً للخائفين ••  
وكنت أنكمم بالخير ، •• ولقد جمعت مالى بالطرق المشروعة  
العادلة •

ومن أقوال آخر :

عندما ظل النيل منخفضاً خمسة وعشرين عاماً ، ولم تكن  
مياهه تفى برى أراضى الأقليم الذى كنت أحكمه ، استوددت لأهله  
الحنطة من الجنوب فى أثناء تلك السنين العجاف ، فلم يحل لذلك  
بربوعه جوع ولا يؤس ولا شسقاء حتى جاءت السنون الخضراء فى  
أثر فيضانات النيل الغامرة •• ولقد كنت أطعم الأطفال بيدي ،  
وأواسى الأراامل ، ولم أترك فى عهدي فقيراً بائساً محروماً • ولقد

عملت جاهدا على كسب محبة الناس بالحق ، ليعلمو بينهم ذكرى ،  
وينوهون بشأني ، وأجازي على أعمالي الخيرة في الآخرة ..  
وهذا يدل على أن الوازع الديني لارضاء الآلهة كان السبب  
المترقب به .. للقيام بعمل الخير .

ولقد كان الشعور بالعدالة بين الناس قويا عند المصريين  
القدماء ، وإن كلمة « معات » (١) لم يكن معناها العدالة المعنوية  
فحسب ، ولكن كانت تدل على العدالة العملية . ولم يكن يكتفى ..  
بمعرفة الحق واتباعه ، ولكن كان ينتظر ممن يعينهم الأمر اظهار  
المودة والعطف على من يستحقونهما .

ومن أقوالهم في ذلك :

إذا كنت قاضيا فرحب بالاستماع الى من يتقدم اليك بظلامة ،  
وشسجعه على أن يفضي اليك بما عنده ، ودعه يفصح لك عما في  
قلبه ، وإن بشك في وجهه واظهار المظف عليه يحملانه على  
قول الصدق والاعتراف بالحق ولو كان في غير مصلحته ! .. وإن  
من سمو الأخلاق وحسن التربية الأصفاء له في حلم وسماحة  
وعطف .

---

(١) كانت العلامة العدالة على هذه الكلمة «معات» معناها الصدق ، كما سبق  
أن ذكرنا ، وكانت توضع في مكان بارز في دور القضاء ، ودور الحكم ، وفي المنازل  
وفي المقابر ! وهذا دليل قاطع على تمسك المصريين القدماء بالصدق والعدل .



ولم يكن ثمة أدعى لحسن نية المصريين القدماء في كل العصور ، وطاعتهم لأولى الأمر منهم ، والعمل بنصائح حكماهم من الحكم بينهم بالعدل والقسطاس ، واعطاء كل ذي حق حقه .

ولقد كان من نصائح ملوك الأسرة الثامنة عشرة لوزرائهم حين ما كانوا يتولون مهام مناصبهم التزام العدل المطلق بين الناس جميعاً ! لا فرق بين غنى وفقير ومالك ومملوك ! وألا يماثلوا الأغنياء ، لأن الناس اذا ما اختصموا سواسية وان المسبل الى أحد المتخاصمين رجس عند الآلهة .

ولقد كان التفاني في التمسك بالصدق شعار اخناتون العاهل المتالى (١) ، الذى أضاف الى القابه ، الجملة الآتية « الذى يحا فى الصدق والصدق » .

(١) اخناتون هو أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، حكم مصر دعى فى قبه عزها وأوج مجدها وقد ورث ملكا مريضا مؤثلا ، ولكنه انصرف عنه الى التفكير فى الكون وموجبه ، فامتدى الى أن هناك الها واحدا يسيطر على هذا الكون ، وأنه خالق كل شيء ! وتتمثل قوته أكثر ما تتمثل فى الشمس أقوى الكائنات فى اعتقاده ، لذلك اتخذ قرصها رمزا لاله الواحد القهار وسماه «آتون» . وألقى عبادة جميع الأرباب والآلهة التى كان يعبدها المصريون القدماء وغيرهم من الأمم الأخرى ، وعلى رأسهم الإله آمون رع أقوى تلك المبودات ، وبذلك أثار سخط أقوى طوائف الشعب المصرى ، الا وهى طائفة الكهنة ، وأخذوا يكيّدون له ، فلما ضاق بهم ذروعا شيد عاصمة جديدة له فى مكان قرية نل الصارئة الحالية ، وانتقل اليها هو ووزرائه ومحبه والتحمسون لدينه الجديد ، تاركا طيبة عاصمة الامبراطورية ومقر عبادة آمون رع ! وسما عاصمته الجديدة اخيت آتون أى افق آتون . وكان دين اخناتون يتمثل فى حقيقتين .

ولقد ظل شمار المحاكم المصرية التمسك بالعدل المطلق بين  
الناس حتى آخر عصر البطالة . وفي ذلك يقول المؤرخ المعروف  
ديودورس الصقلي :

لقد كان البطالة يولون المحاكم اهتماماً خاصاً ، ويعنون بها  
عناية فائقة لاعتقادهم أن اللوائح والأحكام التي تصدرها ذات أثر  
فعال في أخلاق الأفراد وسلوك الجماعات ، وذات أهمية بالغة  
للمصالح العام .

ولقد كانوا يعتقدون أن خير وسيلة لتقويم الناس توقيع  
العقاب في الوقت المناسب على المسيئين والمذنبين ، ورفع الحيف  
والظلم عن وقع عليهم أحدهما أو كلاهما . . الى أن يقول :

(١) الوجدانية

(٢) الحقيقة

ولقد بلغ من تمسكه بدينه الجديد وإيمانه به ، والتعصب له أنه محا  
أسماء آلهة المصريين جميعهم وآمون بخاسة ، والمنقوشة على آثار الملوك الذين  
جاءوا قبله ، من معابد وقصور ، وكان يمحو كلمة آلهة من النصوص لأنه - في  
اعتقاده ومثله - لا يوجد إلا إله واحد .

وبعد وفاة اخناتون عاد خليفته وزوج ابنته توت عنخ آتون الى طيبة تحت  
ضغط كهنة آمون ، والى عبادة آتون ، واستبدل اسم توت عنخ آمون باسم  
توت عنخ آتون .

وقد تعقب كهنة آمون اتباع دين اخناتون ، وقضوا عليهم ، فهجرت قل  
العبادة أو أخيت آتون ، وعفا عليها الزمن .

وهكذا انتهت تلك الفترة القصيرة الالامعة في تاريخ مصر ، وضاعت في غمار  
التعصب والرجعية ارقى مرحلة في التفكير الديني وأسمائها الا وهي الوجدانية

ان البطالة كانوا يرون بنافذ بصيرتهم أنه اذا قدر للأحكام  
التي يصدرها القضاة على المخالفين للقانون أن ترفع بالرشوة ، أو  
بالخطوة أو المودة فلن يكون هناك سوى الفوضى والاضطراب في  
المعاملات وفي النظم البشرية كافة .

ولا يوجد بين أيدينا لسوء الحظ الا نصوص قوانين كانت  
مطبقة في مصر القديمة في عهود تاريخها الطويل المتأخرة .  
ويشير كلمنت (١) الى ثمانية كتب للقانون لم يعد لها وجود  
الآن .

ويتبين من منظر لاحدى محاكم العدل في الأسرة الثامنة  
عشرة وجود أربع اخوته وضع على كل منها عشرة ملفات (٢) .  
ويبدو من ذلك أن القانون كان قد تمسقى ورتب أحسن ترتيب  
من قبل .

وتنسب القوانين الخاصة بالملكية الى الفرعون يوكوريس (٣) .

---

(١) كلمنت مؤرخ اسكندري عاش في اواخر القرن الثاني الميلادي .

(٢) قراطيس من البردي .

(٣) يوكوريس هو الاسم اليوناني للفرعون «بك» - ان - رن - اف - الذي  
حكم حوالي سنة ٧٢٠ ق . م . وهو أحد ملوك الأسرة الرابعة والعشرين . وقد  
ذاعت شهرته بسبب القوانين التي سنّها ، وفي أثناء حكمه قرا الاثيوبيون مصر  
واستولوا على الوجه القبلي ، وقد تصدى لهم يوكوريس ولكنهم هزموه ، وقبضوا  
عليه وحكموا عليه بالموت حرقا ، وبولائه سقطت مصر كلها في أيدي الاثيوبيين .

ومما جاء فيها أن الدائن الذي لا يستطيع أن يبرز سنداً مكتوباً تسقط كافة حقوقه في المطالبة بدينه ، وأن التسلف بفائدة يعقد مبرم بين الدائن والمدين لا ينبغي أن تربو فيه الفائدة على جملة المبلغ المقرض ، مهما طالت مدته .

وأنة يجوز للدائن أن يستصدر حكماً بالحجز على المدين وفاء لدينه ، ولكن لا يجوز بحال حبس المدين لعدم سداد ما عليه من دين . ولكن كانت عقوبة التأخير في سداد الدين في مواعده شديدة ، فقد كان منزل المدين يرهن ضماناً لقرض قدره ست أوقسات من الفضة فإذا لم يرد القرض كاملاً بعد حلول الموعد المحدد بشهر على الأكثر كانت تفرض على المدين غرامة تساوى المبلغ كله أو المتبقى منه بعد سداد بعضه مرة ونصف المرة .

وفي عهد أخثاتون كان يوجد قانون دولي للملكية ! وآية ذلك أن ملك ألشيا (١) طالب بمصر بأموال وممتلكات أحد رعاياه الذي جاء مصر ومات فيها ، لأسرته في ألشيا . وقد اصدر الملك أمازيس (٢) قانوناً يحتم على كل شخص أن يقدم اقراراً في كل سنة ميتا كسب عمله ووسائله . وإذا لم يتم بإعداد هذا الأقرار

---

(١) ألشيا هي جزيرة قبرص . وهي تسمية آشورية لها .

(٢) أمازيس : الاسم اليوناني للفرعون أحمر الثاني أحد سلاطين الأسرة السادسة والعشرين .

بأمانة عرض نفسه للحكم عليه بالأعدام • وكان ذلك القانون ينص على كافة التزامات الشخص ، ويفصلها بدقة •

وفي عهد الأسرة السادسة والعشرين وهي الأسرة التي ينتمى إليها الملك أمازيس كان الشخص إذا انقلته الديون نتيجة لما انفق في أتساء مرضه أو في غير ذلك من الأزمات التي يتعرض لها ، - كان عليه أن يبرم عقدا مع الدائن يصبح بمقتضاه هو وأولاده الموجودون آنذاك ، والذين سيوف يولدون بعد ذلك أرقاء له يسلمون تحت امرته حتى يوفون دينه ، على أنه لم يأت ذكر لزوجته •

وترجع أقدم وصية عرفت في تاريخ مصر القديمة الى عهد الأسرة الثانية عشرة (١) • ومن الواضح أنها كانت موضوعة تبعاً لنظام مستقر موطن ، يفرض تسجيل كل وصية تسجيلاً رسمياً • وسوف نبحث موضوع الوصايا بالتفصيل في الفصل الخاص

---

(١) لم تعد وصية الأسرة الثانية عشرة هي أقدم وصية ، فقد عثر في الحفائر الحديثة على عدة وصايا ترجع لمصر القديمة نبيها فيما يلي :

( أ ) وصيتان ترجعان الى عهد الأسرة الرابعة : ففي الوصية الأولى يوصي الوزير نيكادورع بأمواله الى أفراد أسرته • وفي الثانية يوصي نثنى بمال قد آل اليه من والده الى زوجته وأخيه •

(ب) وصيتان ترجعان الى عهد الأسرة الخامسة احداهما صادرة من تكمين وخيما يوصي بضيافته الى زوجته وأولاده • والثانية صادرة من «وب - ام - نفرت» الى ابنه «إيبى» وهذه الأخيرة ذات أهمية بالغة لدقة تسجيلها ووضوحها ، وقد كشفها العلامة الأستاذ سليم حسن في الجزيرة ونشرها في كتابه :

Excavations of Giza, Vol. II, p. 190.

« بالحياة العائلية » ، وبلى ذلك فترة طويلة لم نمر فيها على أية وصية حتى العصر الاغريقى ، وفيه نجد وصايا تركها بعض كبار المحاربين الاغريق فى عهد بطليموس الثالث : وكانت العادة المتبعة عند تحرير تلك الوصايا أن يعين الملك منفذا لها أو بمعنى آخر محكمة القضاء الملكية . . وكانت أوصاف الموصى تذكر بالتفصيل ؛ ففي احداها دون ما يأتى :

انه ( أى الموصى ) يتمتع بعقل سليم وفهم جيد ، وأنه يبلغ حوالى الثمانين من عمره ، وأنه قصير القامة ، له أنف أفتى وعينان براقتان ، وأنه أصلع الرأس ، وذو أذنين طويلتين ، كما كانت تذكر أوصاف أربعة ممن شهدوا تحرير الوصية واليك نص احدى الوصايا :

لقد أوصى (١) ( فلان ) بكل ما ملكت يده الى « اكسيوزيا » ابنة « ديزولوس » وهى سيدة من اقليم ثراقيا باليونان . وختم وصيته بقوله :

ولا أترك شيئاً لمخلوق آخر . ولم يذكر فى الوصية عما اذا كانت زوجته أو قريبة له .

---

(١) توجد وصية أخرى من عهد الأسرة الثانية والعشرين . وفيها يوصى المتاعس الاكبر «بيوديث» لابنة «خا - ان - وايت» . ولابن ابنته من بعده بخمسمائة وستة وخمسين درهما من الاراضى الزراعية وباعليها من ابقار وانعام أخرى وأبار واشجار .

وقد وصفت القوانين الخاصة بالأراضي الزراعية في عصر مبكر . وقد دعا الى ذلك تلك التقاليد التي كان يتمسك بها المزارعون البدائيون لضرورتها لهم . فكان رئيس القبيلة ( ولعله يقصد شيخ القرية ) هو مالك الأرض . وكان عليه أن يمنح الأرض لمن يعمل فيها ، على أن تعود الى حوزته في حالة وفاة الشخص بدون وريثة ، ولا يوجد ما يشير الى استرجاع الأرض بطريق القهر أو الاجبار .

ويذكر متس ( Meten ) وكان موظفاً عظيم الشأن في الأسرة الثالثة - ثمانية أنواع للملكية الأرض الزراعية ، حصل عليها بوسائل مختلفة نذكرها فيما يلي :

١ - هبة ملكية - وكان للملك الحق في استردادها !

٢ - منحة من الأب الى ابنه .

٣ - التملك بمقتضى وثيقة رسمية ، ويبدو أن التملك في هذه الحالة كان وراثيسا وكانت الأرض قابلة للانتقال من يد الى أخرى .

٤ - عطاء ملكي ، شأنها شأن رقم ١ .

٥ - تملك بحق استغلال الأرض بشروط ملزمة .

٦ - منحة من الأم .

٧ - حجة وقف من الأم للأبناء .

٨ - منحة من الأب الى أبنائه .

وهذه كلها يمكن ارجاعها الى أربعة أنواع من التملك .

وكان من الضروري كى يمتلك شخص أرضاً بطريق الهبة أو الوراثة أو الشراء أن يتقدم لاثبات شخصيته فى مكتب تسجيل الأراضى ، ثم يدفع رسوم نقل الملكية اليه ، وهذا الأجراء هو الدليل القانونى للتملك ، وبغيره لا تثبت ملكيته للأرض . على أن هبة ابريز (١) الى بتاح (٢) جميع الأراضى الساحلية المطلة على النيل عند منف تير التساؤل ، الذى كثيراً ما رددته الناس فى الأزمان الحالية عن المعنى المقصود من تلك الهبة ! اذ لا يعقل ، كما هو المعروف ، أن كل شخص كان يمين على تلك الرقعة الواسعة من الأرض الممنوحة لبتاح قد أصبح رقيقاً تابعاً للأرض تتقل ملكيته بانتقالها من مالك الى مالك آخر ! الأمر الذى يحملنا على الظن أن تلك الهبة لم تكن الا تـساوـلاً من الملك عن ايجار تلك الرقعة ، أو الضريبة عليها لسدنة الاله بتساح ! وكانت كلتاها من حق الملك !

---

(١) ابريز هو الاسم اليونانى للفرعون « جمع - ايب - رع » (٥٨٨ ق.م - ٥٦٦ ق.م وهو أحد فراعنة الأسرة السادسة والعشرين .

(٢) بتاح اله منف ، وقد سبق الكلام عنه فى الفصل الاول .



وقد ذكر بما لا يدع مجالا للشك في نصوص الهبات أن  
السكان لن يبعدوا عن الأرض الموهوبة . . وعلى ذلك فإن  
المستأجرين لها والمقيمين عليها لن يضاروا .

وتوجد عقود للإيجار مدونة على ورق البردى يرجع  
تاريخها إلى العهد الروماني ، ومنها يتبين أن هناك نوعين من  
الإيجار :

الأول مقابل قيمة محددة .

الثاني بطريقة المشاركة في غلة الأرض .

ولقد كانت قيمة الإيجار المحددة تراوح بين بوشل (١)  
واحد وسبعة بشات ونصف البوشل للفدان ، وتبلغ في المتوسط  
٣٨٨ بوشل .

أما الإيجار بطريق المشاركة فكان يتراوح بين نصف  
المحصول وأربعة أخماسه ، ويبلغ في المتوسط ثلثي المحصول .  
وبما أن الفدان في إنجلترا يقل في المتوسط ٣٠ بوشلا فلا  
يجوز أن نفرض أن الفدان في مصر مع جودة أرضها يقل عن هذا  
المقدار ، لذلك يكون متوسط الإيجار المحدد لم يبلغ سوى ثمن  
ما يحصل عليه مالك الأرض بطريقة الإيجار بالمشاركة .

---

(١) البوشل مكيال الإنجليزي يقدر بنحو ٣٦.٣٥ من اللتر ، والأردب يساوي  
حوالي ٥ بوشل .

وفي بعض الجهات كان يوجد نظام المزارع الجماعية بين أهل القرية الواحدة ، وكان الإيجار الذي كانوا يؤدونه بالمشاركة عن الأرض التي يستغلونها يكفي لتسديد كافة الضرائب والالتزامات الأخرى المربوطة عليها ، سواء أكانت ضرائب عامة أميرية أم التزامات خاصة بمالك الأرض .

وكانت نظم الجهاز الرسمي للبلاد تلتزم أصولاً معلومة مرعية من الرسميات ومن أمثلة ذلك ما ورد في قصة سنوحى (١) من أن جوقة من الأميرات قامت بائسناد قصيدة في مدح الملك سنوسرت الأول ، وتمجيد شعوره الطيب لعفوه عن سنوحى الهارب .

ولقد كانت للقصر تقاليد تراعى بدقة عندما يسمح لرجال الحاشية بدخول القصر للمثول بين يدي الملك ! .. وكان الحرص على التزام هذه التقاليد يزداد كثيراً عندما كان يؤذن لعامة الشعب

---

(١) سنوحى ، وصحبتها سنوحى ، كان أميراً من أمراء الأسرة المالكة في عهد الملك أمنمحات الأول (حوالي ٢٠٠٠ ق.م) أول ملوك الأسرة الثانية عشرة . وعندما توفي هذا الملك كان سنوحى يقود حملة ضد الليبيين ، فلما تلقى خبر وفاة الملك موقع الخبر من الملك البحري سنوسرت الأول ، لخلافه كان قد شجر بينهما في أثناء ولاية الملك الراحل ، ففر إلى الشام حيث تزوج ابنة أحد رؤساء القبائل هناك ، وعاش في تلك البلاد ، ثم عاوده الحنين إلى وطنه العزيز مصر ، فأرسل يستعطف الملك سنوسرت الأول لرد عليه يستدعيه إلى مصر ، فحضر سنوحى ومثل بين يديه لعفا عنه ، وشرب مفعها مما بدر منه في حقته ، وأعطى سنوحى بقية عمره في مصر .

والأجانب بالدخول للشول بين يديه .. وكان مما يفخر به كبير أمناء القصر الفرعوني قدرته الفائقة على ترتيب الأمراء كل وفق منزله . على أن أخصائون العظيم ، وكان كما نعلم يحمل لقب « الذى يجي في الصدق » قضى على كثير من تلك الرسميات ، فلم يكن على الناس ، على اختلاف طبقاتهم ، حرج عنه أن يسعوا إليه ، ويجمعوا في ساحة قصره فيهللون ويرقصون ، فيطل عليهم — هو وزوجه وبناته — من شرفة القصر ، ويثر عليهم الزهور تحية لهم .

وظلت التقاليد مرعية حتى جاء الرومان !

وفى عهدهم أخذ الموظفون الرومانيون سلطات لم تكن لأمتائهم من قبل ، وابتدعوا لأنفسهم اختصاصات جديدة . وفى عام ٤٧ م أذاع حاكم مصر العام ( كابيتو ) قرارا شديد اللهجة يندد بذلك ! فقد بلغه أن الموظفين الرومان فى ليبيا قد اغتصبوا أملاك الناس تحت ستار الضرورة الضاغطة والمنفعة العامة ، ولم يكن مثل هذا الاجراء مصرحاً به مهما كانت الظروف للداعية له ، ولذلك فقد أصدر أمره لجميع الموظفين على اختلاف درجاتهم بالامتناع عن أخذ شئ من الأهالى الا بتصريح خاص منه ، وأن ليس لهم الا حق المبيت فى دورهم عندما يزورون قراهم لأعمال رسمية ! وأن الموظف الذى يفرض أى مبلغ من المال على أحد الأهالى مقابل خدمة عامة يؤديها له ، فانه ( أى الحاكم العام ) سيوقع عليه غرامة قدرها عشرة أمثال

ذلك المبلغ ، ويمنع المجنى عليه الذي يتقدم اليها بالبلاغ عن هذا الأمر الفاضح مكافأة تعادل أربعة أمثال المبلغ المذكور .

وكان المسجلون المليون يقومون بتسجيل كافة مصروفات المقاطعة وإيراداتها ، وكل عجز فيها يعاقب الموظف المتسبب فيه بأن يدفع ما يساويه ستين ضعفاً .

أما العقوبات الأخرى التي كانت ترفع في مصر القديمة على الأهلين لذنوب خسوها أو مخالفات ارتكبوها فقد كانت تتسم بالاعتدال ، إذا ما قرنت بالعقوبات التي كانت ترفع على سكان الأقطار الأخرى . على أن عقوبة بعض الذنوب في بعض العصور كانت نهاية في الشدة والقسوة ، فقد حكم على زانية في عهد الأسرة الخامسة بالحرق أمام بعض السجون ، والقضاء الرماد المتخلف من حرقها في النيل ! غير أننا لم نشر في العصور التالية على مثال واحد من هذا النوع الصارم من العقاب حتى العصر الروماني ، عندما كثرت عقوبة الحرق بسبب الاختلاف في المذاهب المسيحية . وقد حفظت لنا من حسن الحظ قصة عزل أحد حكام المقاطعات في عهد الدولة الوسطى : وكانت جريمته أنه تستر على بعض أعداء الملك باخفائهم في المبد . ويبدو أنهم كانوا عملاء أسرة منافسة للأسرة الحاكمة . وكانت العقوبة التي وقعت عليه حرمانه من الهبات الملكية التي وهبت له ، وحرق جميع الوثائق والمستندات الخاصة

بأَملاكه .. وعزله من منصبه من غير أن يوقع عليه عقوبات  
بدنية .

وفي الأسرة الثامنة عشرة نرى المنحجب بن حابي (١) يعلن  
أولئك الذين ينتهكون حرمة القانون ؟ وينزل بهم عقاباً صارماً  
جزاءً وفقاً ؟ على أنه يبدو من قوله أنها عقوبات أدبية وليست  
بدنية .

وفي عهد الأسرة العشرين دبرت إحدى زوجات (٢) أحد  
فراعتها مؤامرة لاغتياله ولما كشفت قدم المشتركون فيها  
للمحاكمة ، وكان الحكم ارغامهم على الانتحار ، أما الذين ثبت

---

(١) حابي أحد الحكماء المفكرين ، عاش في أواخر الأسرة الثامنة عشرة .

(٢) لقد قامت بتدبير هذه المؤامرة . هي زوجة الفرعون العظيم رمسيس  
الثالث لاغتياله ليخلوا مكانه فيتولاها ابن لها منه بدلاً من ابن خريتها ولد  
العهد ومالك الحق الثمر في خلية العرش بعد موت أبيه . وقد اشتركت  
معها في هذه المؤامرة بعض كبار رجال البلاط الملكي وبعض ضباط الحرس  
وزوجاتهم ، ولما استمد التآمرون لتنفيذ جريمتهم كشف أمرهم ، وقبض  
عليهم ، وعلى الرغم من أن المؤامرة موجهة لشخص الملك ، ولقنته ، لقد  
ضابت عدالته أن يترك الأمر للقضاء فأمر بتشكيل محكمة خاصة لمحاكمة  
المتهمين بما فيهم زوجته ، وشدد على المحققين وانقضاء .. أن يتبعوا العدل ،  
فلا يدينون شخصاً بريئاً ، ويبرلون شخصاً مذنباً ، وبعد هذا مثالا رائباً  
لعدالة ذلك الفرعون العظيم ، على الرغم من أنه .. كما أحيانا .. كان الهدف  
النشور من هذه المؤامرة الفادحة .

عليهم أنهم كانوا يعلمون بها ولم يبلغوا عنها فقد حكم عليهم  
بجدة أنوفهم وقطع آذانهم (١) .

وقد امتاز حكم الاتوبيين (٢) بروح الاعتدال ، فلقد قامت  
ثورة ضد يمتخي ، فلما أخمدتها وسلم اليه المؤتمرون لم يحكم على  
أحدهم بالقتل (٣) .

ويروى هيرودوت أن شباكا لم (٤) يأمر بقتل أحد من المصريين  
لأية جريمة ارتكبها كاتبة ما كانت ، وإنما كان الفضاة في أيلته

---

(١) يروى أنه في أثناء التحقيق في هذه المؤامرة تمكنت بعض النسوة  
المنتميات من اغراء بعض رجال الشرطة المكلفين بحراستهن بالنوجه في سجنهن  
الى منازل بعض القضاة المتوط بهم التحقيق حيث افروهن ببعض الخربات  
لكي يحكوا لصالح المتهمين ، ولكن الكشف أسرهن وقبض عليهن وعلى القضاة  
والحراس وحكم عليهم جميعا بجدة أنوفهم وقطع آذانهم جزاء وفاقا على ما ارتكبوه .

(٢) المقصود بالاتيوبيين هنا النوبيون ، وقد سبق شرح ذلك في مناسبة سابقة .

(٣) لم تكن هذه ثورة بمعناها المعروف ، لأن يمتخي كان قائما لما يتم له  
فتح مصر كلها ، وكانت مصر آنذاك أقساما ، وكان كل قسم منها يحكمه ملك  
صغير أو أمير ، وكان معظم أولئك الملوك أو الأمراء لبيبين أو سوريين ، وكان  
الصراع بينهم على أشده ، ولذلك سهل على يمتخي فتح مصر . وكان أشد  
أولئك الملوك الصغار بأسا الأمير نفخت ، أمير صالحجر الذي ضم أقسام  
مصر السفلى تحت لوائه ، لم ترغم حركة المقاومة ضد يمتخي ، ولكنه هزم  
بعد تضال بامل ، فلم يسلم وأدى إلى المستنقعات الشمالية ورفع راية  
العصيان غير أن اعراف أحواله عنه وتغادلهم اضطره آخر الأمر إلى الخضوع  
ليمتخي ١ .

(٤) شباكا هو خليفة يمتخي .

يحكمون على مرتكب جريمة القتل بالاشغال الشاقة غاملا في  
السود \*

ويقول ديودورس أن الفرعون بوكوريس استبدل عقوبة  
الاعدام الأشغال الشاقة في حفر الترع مع وضع القيود الحديدية في  
أرجل المحكوم عليهم بذلك \*

أما في أيام الرومان فقد كانت أقصى عقوبة أن يساق المجرمون  
زمرأ للعمل في مناجم الذهب في الصحراء الشرفية ، اذ كان من  
المستحيل عليهم الهرب لندرة الماء فيها ! ومع ذلك فقد كان المحكوم  
عليهم توضع في أرجلهم الأغلال ، ويساقون سوق الأغنام بالضرب  
بالعصى والسياط ليعملوا في المناجم ليلاً ونهاراً ، ولا يريحونهم حتى  
يخلصهم الموت من ذلك العذاب الأليم \*

أما العقوبات التي كانت توقع على مخالفى دين الدولة  
أو مذهبها ، فقد كانت من جنس العقوبات التي كانت توقع على  
أمتالهم في أنحاء الامبراطورية الرومانية الأخرى !

ويبدو أن اجراءات المحاكمة في مختلف عصور التاريخ  
المصرى لم تختلف كثيراً في عصر عنها في عصر آخر ! اذ ليس

لدينا معلومات دقيقة كافية تمكثنا من الموازنة بينها في المصنوع  
المختلفة !

ولعل خير ما فعله هو أن نستعرض في ايجاز ما نعرفه عنها في  
كل عصر .

١ - ففي الدولة القديمة كان هناك محكمتان : محكمة الشمال  
ذات الدوائر الست . ومحكمة الجنوب ذات الثلاثين عضوا (١) .

ولم يحدث الا في حالة واحدة ، وجد فيها قاض يعمل في  
المحكمتين معاً .

ومما يدل على أن هاتين المحكمتين كانتا منفصلتين ، تلك  
الألقاب التي كان يحملها موظفو كل منهما . وقد عرفت ألقاب  
تسعة رؤساء لحاكم الشمال الست الفرعية ، وألقاب خمسة وعشرين  
من القضاة العظام في محكمة الجنوب وذلك بالإضافة الى بعض  
ألقاب الشرف .

---

(١) يقول ديودورس أن هذه المحكمة كانت تتكون من ثلاثين عضواً بشتادورس  
من قضاة هليوبوليس ومنف وطيبة يعمل عشرة قضاة من كل مدينة ، وجميع  
هؤلاء وينتخبون من بينهم رئيساً لهم ، وترسل المدينة التي ينتخب عفسو  
من أعضائها رئيس المحكمة عضواً آخر ليحل محله .



محكمة الشمال  
اللقب.

٥	٨	وزير وقاضي قضاء
١٣	٣	الأول بعد الملك (١)
٨	١	كاتب أسرار الملك
١٣	١	قاضي « عزمير » (٢)
١٠	١	آن موتيك

وكان الوزير يرأس محكمة الدوائر الست بصفة تكاد تكون دائمة ، على حين كان نائب الملك رئيسا لمحكمة الجنوب !

وفي عهد الأسرة الثالثة وفي المهود التالية كان الوزير (٣) يجمع بين وظيفته كوزير ووظيفة قاضي القضاء « سبختي » . وكان

(١) كان هذا اللقب يطلق على حاكم المقاطعة منذ عهد الملك ستفرو . الأمر الذي يدل على أنه كان تحت نفوذ الملك المباشر .

(٢) «عزمير» معناها المشرف على حجر الترع ، وكانت تطلق في الأصل على حاكم المقاطعة دلالة على أن أهم عمل له هو الإشراف على الري والصرف في مقاطعته ، وفي عهد الأسرة الرابعة أطلق عليه لقب قاضي ، وأصبحت له سلطة قضائية على السكان الذين يحكمهم .

(٣) يلاحظ أن وظيفة الوزير بمعناها المعروف لم تعرف إلا في عهد الأسرة الرابعة كما سبق أن أشرنا ، إذ كان كل ملك قبل الأسرة الرابعة يختار أحد الأعظماء المقربين له كمستشار له ، يقوم بما كان يقوم به الوزير بعد ذلك . مثال ذلك الحكيم والمهندس العظيم أمحتب في عهد الملك زوسر أحد ملوك الأسرة الثالثة .

ينتمى دائما الى احدى الأسر القنية ذات الجاء والنفوذ ، ان لم يكن من الأسرة المالكة نفسها ، على أن يكون قد سبق له أن شغل أحد المناصب الهامة ، ومنصب رئيس الكهنة بخاصة . كان مقر عمله بهو « خا » العظيم ، وهو بهو ذو واجهة مكشوفة ، وعلى جانبيه صفان من الأعمدة . وكان يسمى « البهو الطلييل » . وقد عثرنا فى قبر « ر خمارع » ( الأسرة الثامنة عشرة ) على ما يزيدنا علما ومعرفة من هذه الناحية ، فقد كان بهو « الخا » هو المكان الذى تحفظ فيه السجلات الخاصة بملكية الأراضى الزراعية والعقارات ، لكى يرجع اليها عندما تتطلب احدى القضايا ذلك . وكانت جميع الوصايا تعد لها ملفات مرتبة هناك . وكذلك الشأن فيما يختص بسجلات الحدود وتقديرات الضرائب ، وكافة أنواع المستندات الرسمية الأخرى .

وكانت العادة أن تقدم المقاليم والمتمسكات التى تتطلب حكما ضائيا الى محكمة الوزير ومن ثم تحال الى القاضى المختص . ومن الطبع أن هذا القدر الكبير من الأوراق والمستندات لابد أن تتكاثر

---

(١) «خا» كلمة هيرغليفية معناها بهو .

(٢) «رخمارع» وزير مشهور فى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، عاصر الملك العظيم تحتمس الثالث وقد كشفت مقبرته ضمن مقابر الاشراف فى القرنة بالاقصر .

ولهذه المقبرة أهمية قصوى تفوق غيرها من مقابر الاشراف الآخرين لانه احتوت عليه من النقوش والكتابات والرسوم التى تشرح بالتفصيل مهام الوزير فى مصر الفرعونية .

وتتراكم سريعاً • ومن أجلس ذلك فصلت مستندات الجنوب من  
مستندات الشمال •

ويبدو أن قضايا الأقاليم كانت تحال الى محاكمها الخاصة بها ،  
ماعدا القضايا الهامة فقد كانت محكمة خا مختصة بالحكم فيها •

وفي الدولة الحديثة كانت القضايا المحلية يعهد بها الى محكمة  
تتألف من هيئة من الموظفين المحليين ، وهم « رجال المدينة العظام »  
الذين كانوا يمثلون المحكمة العليا ، وعند نظر القضايا المتعلقة  
بملكية الأراضي الزراعية ، كان يرسل مندوب يمثل المحكمة العليا  
ليشارك مع هيئة المحكمة المحلية في الفصل فيها • أما المحكمة العليا ،  
أو كما كانت تسمى « البيت الكبير » فقد كانت هيئة دائمة تتألف من  
كبار الموظفين ، وهي تشبه مجلس الوزراء في الوقت الحاضر • ولقد  
كان تأليف الهيئة القضائية في محكمة « تاو » يختلف تبعاً لنوع  
القضية ، كما تختلف هيئة المحلفين في بريطانيا في الوقت الحاضر  
تبعاً لذلك • وكان كاتب المحكمة المحلية يشغل وظيفة ثابتة ، وكان  
عمله الاشراف على تنظيم الاجراءات التي تتبع في عرض القضايا  
ونظرها والحكم فيها !

ويبدو أن الدعاوى التي كانت ترفع الى تلك المحكمة لم تكن  
تقدم مكتوبة ، كما هو الحال الآن ، وانما كان القضاة يستمعون الى  
دعوى المدعى ، ورد المدعى عليه ! وعند اصدار الحكم في صالح أحد  
المتخاصمين ، كان الطرف المحكوم له يطالب خصمه بقيمة أتعاب

المحكمة (١) . وكان المتقاضون ، كما أشرنا ، يتولون الدفاع عن وجهه نظرهم ، ونقض التهم الموجهة اليهم أمام المحكمة . ولم نضر في أية قضية على وجود وكلاء أو محامين عن المدعين والمدعى عليهم قبل العهد الروماني والذين كان يطلق عليهم في ذلك العهد « الظهير أو النصير » .

ولقد كان لأعضاء هيئة المحكمة وظائف أخرى ، ولم يكونوا من رجال القضاة المحترفين مهنة القضاء ، ذلك لأن المصريين المثقفين كانت لهم دراية كافية بالقانون تمكنهم من تطبيقه ! وقد كان كاتب المحكمة يقوم بمهمة التوجيه فيما يتعلق بسود القانون التي تنطبق على القضايا المختلفة التي تعرض عليهم ، وكان لمرکز من الأهمية ما لمرکز سكرتير المحكمة في الوقت الحاضر .

وفي عهد الأسرة العشرين لم يكن آنذاك غضاظه عند المصريين في أن يتقلد الأجانب مناصب القضاء . ولقد كان في المحكمة التي نظرت إحدى القضايا في ذلك العهد أربعة من القضاة الأجانب ضمن هيئتها التي كانت تتكون من أربعة عشر قاضيا . ويرجع ذلك الى كثرة الأرقاء الأجانب في ذلك العهد ، والذين تحرر كثير منهم وقفز بعضهم الى مناصب ذات سلطان ، كما فعل المماليك بعد ذلك !

---

(١) يقصد رسوم القضاة

وأوفى قضية وصلت إليها محاكمة لصوص المقابر (١) في عهد الأسرة العشرين ، ويطلب على القن أنها كانت تهمة لفقها حاكم بر طيبة الشرقي لحاكم برها الغربي للكيد له لما كان بينهما من عداوة ، ولقد سارع إلى تحقيقها الوزير ومعه الكاتب الملكي ، فثبت لهما أن ما جاء بالبلاغ صالح ، إذ وضح بعد فحص المقابر أنها كلها سليمة لم تمسسها يد عدا واحدة فقط (٢) !

(١) يرجع هذه المحاكمة إلى عصر الفرعون رمسيس التاسع ( حوالي ١١٠٠ ق.م ) وهي تفضي ضوءا ساطعا على حالة الدولة المصرية في ذلك العهد وما بلغت من ضعف واحتلال أدباً إلى تراخي مسئولها على شؤون الأمن والنظام ، وإلى إهمال حراس المقابر في البر الغربي نظيره مما أمرى اللصوص سرقتها . وقد تم القبض على بعضهم ، وأخضعوا وحكم عليهم بالاعدام .

(٢) كانت طيبة يحكمها آنذاك أميران تحت سلطة الوزير ، وكان أحدهما يحمل لقب أمير المدينة وكان يختص بالجزء الشرقي أي مدينة الأحيساء ، ويحمل الآخر لقب أمير الغرب ، ورئيس شرطة مدينة الأمواب ، وكان يختص بالجزء الغربي من المدينة .

وكان أمير المدينة يدعى «ياسره» ، وأمير الغرب يدعى «بويرو» وكان بين الأميرين عداوة دفينّة بسبب منافسة أحدهما للآخر ، وكان كل منهما يشجع مرموسى خصمه على فعل أخبار القوضى والاضطراب في إدارة رئيسهم ، وقد انتهر ياسر فرصة سرقة إحدى مقابر البر الغربي فسارع إلى تقديم بلاغ عنها للمحاكمة العليا ، وكانت - كما أشرنا - تكون من الوزير وموظفين كبيرين ، فأرسلته المحكمة لجنة تحقيق إلى «الجبانة» للبحث والتحرى ، فقامت هذه اللجنة بمهمتها بحر قيام ، وحضمت مخطوئتين عشر مقابر حامت الشبهات حول سرقتها ، فثبت لها أن مقبرة واحدة هي التي امتدت إليها أيدي اللصوص ...

ويبدو أن نتيجة الفحص لم تصيب ياسر ، الذي أمر على أن يلاصق مسجج وأن يهدد المقابر التي امتدت إليها يد اللصوص عشرة ٧ واحدة . وعدد =

ولقد أدى غلبة النفوذ الدينى على النفوذ السياسى ، الذى تميزت به الأسرة الحادية والعشرين الى طريقة الاستشارة أى الاستشارة الالهية ، فكان كبير الكهنة يأتى بلوحتين ويكتب عليهما حكمين متضادين ، ويضعهما أمام تمثال الاله آمون ، ثم يدعو أن يختار احدى اللوحتين ، فيشير الاله الى الحكم المختار ، وكان ذلك الاجراء بكرر مرتين . ولا تعرف على وجه اليقين عن كيفية هذه الاشارة . . . ولقد ذهب ماسيرو الى أن تمثال الاله آمون كانت له ذراعان قابلتان للحركة يقوم الكهنة بتحريك احدهما خفية تبعاً لأهوائهم . وكانت هناك وسيلة أخرى لاستشارة الآلهة عند حدوث نزاع على ملكية مساحة من الأرض ، فقد كان الكهنة يحملون قارب الاله على اكتافهم ، وعندما يشعرون بتقل وزن القارب ، يكون ذلك اشارة من الاله الى اصدار حكمه ، وكان ذلك يحدث وفقاً لأهواء الكهنة . وكانت تلك العقيدة سائدة فى اسبرطة .

بإبلاغ الأمير للملك راساً على حين تقدم بوزيد ان يلتزم من الوزير النظر فى عقاب ياسر على بلاغه الكاتب . فعقد الوزير جلسة حضرها أعضاء المحكمة العليا وبحثت تقرير اللجنة ، فأصدر حكمها بعدم صحة الاتهامات التى تقدم بها ياسر ، كما حكمت بإدانته .

وللاسف الشديد لم تثبت البردية التى سجلت عليها هذه القصة الطريفة وهى بردية «ابوت المشهورة» تطور هذا النزاع بين الأميرين ونهايته . . . ولكن يبدو أن المحكمة العليا لم تثبت عدم صحة اتهامات ياسر كلها ، لأنه وإن كانت قد ثبت أن مقبرة ملكية واحدة فقط قد سرقت ، شر أنه قد ثبت لها فعلاً أن عدداً من مقابر الأمراء والمقابر الأخرى قد سرقت فعلاً مما يدل على أن بلاغ ياسر كان قاصراً على سرقة عشر مقابر ملكية ١ .

ولقد لجأ الكهنة الى طريقة الوحي أى استشارة الآلهة لتوطيد مركزهم ، حتى أن الوصايا ونقل الملكية كانت تصدر بناء عن وحي الهى ، وتمد أحكاما سماوية لاتقبل النقص أو الإبرام .

ولم يكن الحاكم العام لمصر فى العصر الرومانى يتمتع بسلطات الوزير القضائية ، لأن تلك السلطات كانت تمنح الى الوكيل القضائى (١) (Dikaidates) ، الذى كان يصحب الحاكم العام فى تنقلاته التفتيشية على المحاكم ، ويقوم بعمل القاضى فى القضايا الكبرى ، التى كان القضاة المحليون يقومون بأعدادها له . وكان يصدر مرسوم امبرطورية بتعيينه ، ويتم اختياره عادة من بين الفرسان الرومانيين . وبهذه الوسيلة توزعت سلطة الوزير القديمة .

وكان فى الاسكندرية فى العصر الاغريقى مندوب قضائى للحاكم العام (Archidikastes) وكانت سلطته تمتد الى جهات أخرى غير الاسكندرية ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالقضايا التى تحفظ سجلاتها فى الادارة العامة للسجلات التى كان مركزها بالاسكندرية (٢) .

---

(١) كان الديكاديتس هو الوكيل المباشر للحاكم العام ، فيما يختص بالمسائل القضائية وكانت السلطة القضائية العليا فى مصر من اختصاصه ، ولا كان لايشترط فى الحاكم العام ان يكون ملما بالقانون ، كان ثراما عليه ان يستعمل بالديكاديتس فى المسائل القضائية .

(٢) فى تلك الادارة كانت تحفظ الوثائق القانونية لكافة المفاصل .

وقد نشأت هذه الوظيفة في عهد البطالة ... ويبدو أن اختيار المتقاضين تحويل قضاياهم اليه من جهات أخرى بالبلاد انما يرجع الى أنه كان المختص بالنظر في قضايا الاغريق أينما وجدوا ، كما كان الشأن في المحاكم القنصلية التي كانت تنظر في قضايا الأجانب في مصر قبل إلغاء الامتيازات الأجنبية .

أما في الأقليم فقد كان حكام المقاطعات مختصين بالنظر في القضايا البسيطة واصدار الحكم فيها . وكان لرؤساء البوليس الحربي ( Centurion ) سلطات مماثلة ، فوق ما كان لهم من اصدار الأمر بالسجن المؤقت على الخارجين على القانون .

وكانت اذا وقعت حالات سطو واغتصاب للمال أو اساءة استعمال الموظفين للسلطة ، تقدم لمثل القصر للنظر فيها ، فاذا ثبتت صحتها بعد فحصها ، اتخذ الاجراءات الرادعة لاعادة الأمور الى نصابها .

ويعد المؤرخ ديودورس خير من كتب عن القانون الجنائي المصري ، وسجل نصوصه . ومن هذه النصوص الحكم بالاعدام على شاهد الزور ، ومنها الحكم بالجلد بالسياط والحرمان من الطعام ثلاثة أيام سويا على من يهمل في مد يد المساعدة لامسان تعرضت حياته لخطر الموت ، وعلى من أهمل في الارشاد عن لصوص رآهم يسرقون ، ومنها أن من اتهم شخصا زورا ، وقعت عليه العقوبة التي يحكم بها عادة على ذلك المتهم البريء . الجريمة لم يرتكبها ، ومنها



الحكم بالاعدام على من قتل نفساً ، سواء أكانت نفس حرة أو عبد .  
ومنها أن الآباء والأمهات الذين يقتلون أبناءهم أو بناتهم يحكم  
عليهم بأن يعرضون أمام ملاء من الناس وقد علفت برقابهم جثث  
أبنائهم أو بناتهم ، ثلاث مرات (١) . أما قتل الوالدين أحدهما  
أو كليهما فكان عقابه التمثيل بجسم الابن القاتل (٢) ثم حرقه حياً  
بعد وضعه على الأشواك . وكانت النساء الحوامل يؤجل تنفيذ الحكم  
فيهن الى ما بعد الوضع (٣) . ومنها أن من ينقل أخبارا الى الأعداء  
يستفيدون منها يقطع لسانه . ومنها أن من يطفئ الميزان أو الكيل ،  
أو يزيّف الأختام أو التقوّد ، أو يفسد الدين يعاملهم ، أو يغير في

(١) يفسر ديودورس حكمه المصري في تلك العقوبة بقوله : « لم ير  
المصريون » انه من العدل أن يقتلوا الذين منوا بالحياة على أولادهم ، بل  
كانوا يرون أن العدل أن يصرّفهم عن مثل هذه الأجرالم بتوقيع عقوبة تعمر  
قلوبهم عصراً . وتبحث في نفوسهم الألم والعذاب الذين لا يفارقانها إلا أن  
يلتقوا بهم ، ويحملانهم على التوبة والندم على ما اقترفت أيديهم . انظر  
وهيب كامل ديودورس السقلي في مصر ص ٧ .

(٢) ومن أمثلة التمثيل انه كانت تقطع من احسامهم قطع صغيرة لاصحاب  
حجم الأصبع .

(٣) يعلق ديودورس على هذه العقوبة بقوله « لقد رأى المصريون انه من  
الظلم أن يشارك الجنين البريء امه المذنبة في جريمتها » وأن يقتل من الذين  
لو قد لم يرتكبوا الا واحد منهما . وأهم الاعتبارات كلها انه من غير المعقول أن  
يقضى بالوت على الجنين وهو لا ينتمى الى الأم وحدها ، وإنما يشاركها فيه  
الأب الذي لم يرتكب جرماً .

وقد نقل الاغريق هذا القانون : وهيب كامل ديودورس السقلي في مصر  
ص . ٧٥٣ .

نصوص السجلات العامة بمحو أو زيادة ، كان عقابه قطع كتفا يديه (١) •

ومن تلك النصوص أن الاغتصاب عقوبته قطع عضو التناسل ؛ أما عقوبة الزنا من غير اكراه الزانية فكانت ألف جلدة للزاني ، وجدع أنف الزانية •

ولقد أدى الارتقاء المطرد لتنظيم الزواج على مر السنين في مصر الى سمو المثل العليا للأخلاق ، وبالتالي الى حرص الفتيان المصريين الذين يبلغون سن الزواج على الأقبال على الزواج ممن يتوفر فيهن سمو الأخلاق وحسن السلوك من الفتيات وترتب على ذلك بقاء عدد كبير من الفتيات ممن كان سلوكهن دون المستوى المطلوب عائسات •

وبينا نجد أن مصر قد بلغت ذلك الرقي منذ آلاف السنين ، فإن أوروبا لم تعرف الزواج المنظم الا منذ ألف سنة على التقريب • وفيما عدا ذلك فقد كان هناك بعض المسائل التي لاتخضع عادة لأحكام القانون أو الاجبار الأدبي ، ولكنها كانت مع ذلك على جانب كبير من الأهمية لأنها تبين عن الاتجاهات العقلية للمصري القديم • وفيما يلي نورد لك أمثلة على ذلك :

---

(١) وجهة نظر المصريين في ذلك ، كما اثبتته ديودورس ان العقاب يتول بالعضو الذي استخدمه المجرم في ارتكابه جريمته جرحا لايندمل الى يوم ماته ، فيكون في رؤيته علة للآخرين ، يصرفهم عن اقتتاف أمثال هذه الجرائم ، «المصدر السابق ص ٧٨» •

ففى الأسرة الخامسة كانت حب الناس واکرامهم والترحيب  
بالبريب الطارق من الأمور المرغوب فيها لدى المصريين القدماء حتى  
لناكرى الجميل !

وفى ذلك يقول أحد حکمائهم :

إذا كنت كريما مع أحد الناس ، وصنعت معروفًا له ، كأن أنلته  
حقًا من حقوقه ، فمن الخير أن تتناسى هذه المكرمه ، ولا تذكره بها  
ما لم يذكرها لك هو .

ولقد كان النبلاء والحكام يباهون بنشر لواء الأمن والعلمانية ،  
والعدل والاحسان بين الناس فى كافة أنحاء الأقاليم التى يحكمونها  
فى سنوات القحط وسنى الرخاء على السواء :

ولنستمع الى أحدهم وهو يقول :

« لم يوجد فى عهدى فقراء ، ولم يحدث أن جاع أحد فى  
أيام ولايتى . »

وفى أثناء المعركة البحرية العظيمة (١) التى خاضت الأسرة  
العشرون غمارها دفاعًا عن مصر ضد الغزو الأجنبى ، نرى المصريين

---

(١) وقعت هذه المعركة فى البحر المتوسط شمال غرب مصر بين الملك  
ومسيس الثالث ، ثانى ملوك الأسرة العشرين وبين حلف قوى مكون من  
الليبيين وسكان جزائر صقلية وسردينيا وكريت وغيرهم وكان أولئك الغزاة قد  
عزموا على مهاجمة شمال غرب الدلتا بحرا وبرًا ، وحشدوا لذلك عسكرة  
عظيمة من السفن ودارت معركة بحرية هائلة بينهم وبين مصر ، هزم فيها  
الغزاة وحطم الأسطول المصرى معظم سفن أساطيلهم المجمعة ، وبلغت  
فخائياهم ١٢٥٠٠ بين قتل وغرق ، وكما أسر منهم ألف أسير ، وقد سجل  
ومسيس الثالث انصار هذه المعركة على جدران معبد بمدينة هايو .

فى المعركة المنفوشة على حيطان معبد هابو (١) وهم يقدون الاء  
من احدى سفن الغزو التى بدأت تفوص فى الماء •

وفى الاسرة الخامسة والعشرين نرى بضخى الفاتح النوبى  
وقد استاء أشد الاستياء من الأهمال الذى تسبب عنه هلاك بعض الخ  
جوعا فى طيبة • وكان يرجو الحاميات المصرية فى المدن بالتس  
كلما أوغل فى البلاد حقنا للدماء • ومن أقواله الماثورة انه يود  
يرى أهل منف فى أمان مطمئنين سالمين ، وأن لا يتسبب عن الحر  
التي يخوضها بكاء الأطفال الأبرياء ••• وما يروى عنه أنه لم يق  
أحد من المصريين الا فى ساحات القتال •

ويقول ديودورس : ان المصريين هم أكثر شمسعوب اله  
تقديرا للمعروف ، الذى يسدى اليهم ••••

ولقد احتل الشعور بمحامية النفس حيزا فى عقل المصر  
وتفكيره فى عهد الدولة الحديثة ، وفى أواخر عصرها بخاصة ، وله  
ذلك راجعا الى ظهور عبادة آتون (٢) ، التى تحت الناس على السلو  
المثالى ، فترى المصرى فى ذلك العصر الزاهر يتوسل الى ال  
آلا يذببه على ذنوبه الكثيرة ••••• حتى يصيح جديرا بسسك  
دار التميم •

---

(١) هابو هى التسمية القبطية للمنطقة التى يوجد بها معبد الملك رمسيس  
الثالث فى البر الغربى للاقصر • ومازال حسدا المعبد ياقب الى اليوم الى ح  
حسنة نسييا •  
(٢) آتون هو الإله الذى عبده اخناتون ، ولشر عبادته ومعناه قهر  
الشمس •

الفصل الرابع

---

الحياة الخاصة

---

## الظروف المناخية في مصر وأثرها في شكل المساكن

إن مناخ مصر قد جعل المأوى في ربوعها أقل أهمية عند سكان مصر عنه عند كثير من سكان الأقطار الأخرى ، والأقطار الباردة بخاصة ! ولهذا نرى أن بعض البدو من سكان مصر لا يزالون يأوون إلى الخيام ، وأن بعض سكان قراها يأوون في بعض أشهر السنة إلى عرائش من البوص لتقيهم وطأة الحر وعصف الرياح في أثنائها ، وأنه حتى في المنازل التي يبنونها بالطين أو الحجارة فإن البهسو المكتسوف مسرح طبيعي لحياتهم المنزلية .

ولقد كان الإنسان البدائي في الأزمنة الغابرة يقنع أينما حل في بقاع الأرض المختلفة بوسائل من الوقاية أقل كفاية منها في الوقت الحاضر ، سواء أكان ذلك في الملبس أم في المأوى ، ولذلك راض نفسه على أن يقرش الأرض ، كما يفعل سكان أقطار أوروبا .

الشرقية ( - سرقى أوروبا ) الى اليوم : ولقد كان عندما يجلس على مقعد عال ويدلى قدميه ، يندفع الدم اليهما ويزداد ضغطه فيهما ، يجد نفسه مدفوعا الى رفعهما ووضعهما على مقعد آخر .

وكان المصريون القدماء يفرشون الأرض في أثناء تناولهم الطعام ، ويرفعون احدى ركبتيهم الى أعلى ! ولم يعرف عنهم أنهم كانوا عندما يجلسون يسندون ظهورهم الى متكأ ، كما كان يفعل الاغريق والرومان عند تناولهم الطعام !

ولا ريب أن الأوضاع المختلفة التي كان المصريون القدماء يتخذونها في جلوسهم ترجع الى عصر ما قبل التاريخ ! ويمكن اجمالها فيما يلي :

(١) لقد كانوا يضمون الركبتين عند جلوسهم على الأرض مع توجيه القدمين الى جهة واحدة ، نستين ذلك من الرسوم البدائية التي ترجع الى العصر الحجري القديم . وقد استمر النساء دون الرجال يتبعن ذلك الوضع الى عهد الأسرة الثانية عشرة .

(٢) وقد كانوا يفرشون الأرض مع خفض احدى الركبتين ، ورفع الأخرى !

وهذا ما نشاهد في صورة الالهة ايزيس وهي تحمل ابنتها .

حورس ، التي ترجع من غير ريب لعصر ما قبل التاريخ !

(٣) وكان الوضع السائد بين الكتبة هو جلوسهم مع جعل الساقين متقاطعتين ووضع القدمين تحت الركبتين (١) .

(٤) أما الصناع فقد كانوا يجلسون راكعين بينما تكون القدمان ممدودتين الى الخلف ، كذلك كان يفعل الضيوف .

(٥) وعند تقديم القرابين كانوا يركعون مع ارتكاز القدمين على الأصابع في وضع رأسي .

(٦) ويبدو أن جلوس القرفصاء مع اتجاه الركبتين الى أعلى قد بدأ في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وهو وضع يستلزم أن يكون الفخذ أطول من فصية الرجل ، وهذا الأسلوب في الجلوس شائع بين المصريين في الوقت الحاضر (٢) .

(٧) وفي حالات نادرة تتطلبها طبيعة بعض الأعمال كانوا يقترشون الأرض مع جعل الركبتين الى أعلى بينما تكون الساقان ممدودتين الى الأمام . وعندما كانوا يريدون التعبير عن الخضوع أو الخضوع ، فقد كانوا يضمون اليدين متقاطعتين على الكتفين .

وكان المتبع عند الدفن في عصور ما قبل التاريخ وضع الجثة

---

(١) وهي التي نسمي الآن الجلوس القرفصاء

(٢) انه شائع بين سكان القرى غير المحملين ، وقد اخضعني إلى الملاحظتين ١



بحيث تتخذ شكل القرفصاء ، مع سحب الركبتين نوعاً ما الى أعلى ،  
وهو الوضع الطبيعي الذي تتبعه في يومنا في الوقت الحاضر . أما  
دفن الجثة مع جعلها ممدودة ، فقد بدأ اتباعه في عهد الأسره الثانيه ،  
ولا يزال هو الوضع الذي يتبعه المصريون اليوم في أثناء تومهم .

وكان الرجال والنساء ، اذا ما دعوا الى الولائم ؛ ساولون  
الطعام معاً وهم جلوس على الحصر ، ذلك على الرغم من أن منازلهم  
كانت تحتوي على أجنحة للرجال وأخرى للنساء !

ولقد كانت الدور الكبيره في عهد الاسره الثانيه عشرة  
تشتمل على ممرين ، بمتدان من الباب الخارجى الى الداخل . وكان  
أحدهما يؤدي الى الأبهاء وحجرات سيد القصر والى المطابخ ،  
أما الآخر فكان يؤدي الى الجناح الخاص بالسيدات !

وسوف نصف تخطيط المنازل ورسومها وابنتها في الفصل  
الأخير من هذا الكتاب تحت عنوان المباني !

أما الأثاث كما يبدو من السادج الخاصه بالأسرات الباسه  
والعاشرة والحادية عشره ، فكان يتكون من أريكة طويلة ، مقاعد في  
الطابق العلوى من المنزل ، ليجلس عليها أهله للتمتع بالنسيم البارد  
المتش ، وعلى حامل تصف عليه جرار الماء وأكوابه ، ورجاة لظحن  
الغلال كانت توضع على قاعدة في أسفل السلم ، وفي حجرة النوم  
مقعد يستخدم للراحة والاستجمام ، يرتكز على شخص ذي شعبه ،

ثبت في إحدى حوائط الحجرة (١) .

المدافئ : وكانت مدافئ المنازل المستعملة في عهد الأسرة الأولى من الفخار ، وكانت حافاتها مرتفعة لمنع الرماد من التبثر ، وكان لبعضها حافة مصنوعة على هيئة أفعى ملتوية حول نار موقدة ، كما تفعل الثعابين التي تأوى إلى المنازل ، وكان المصريون لا ينالونها بأذى لاعتقادهم أنها تقوم بحراسة المنازل من الفيران التي كانوا يعتقدون أنها تحمل عدوى الطاعون ! (٢) .

وفي عهد الأسرة الثانية عشرة كان المصريون يضعون موقدا كبيرا من الفخار في وسط البهو لتدفئته !

### تمسك المصريين بالنظافة

ولقد كان المصريون يتمسكون بالنظافة تمسكا شديدا ، وكانت ملابسهم ، وملابس الكهنة بوجه خاص تصنع من الكتان ( التيل ) لأن الملابس الصوفية كانت في ملتهم واعتقادهم مرتعا خصيبا محيا للهوام والحشرات ، وكانوا يحرصون على غسل ملابسهم في قنرات قصيرة وبمياه خاصة .

---

(١) هرودوت الجزء الثاني ص ٢٥ .

(٢) كان المصريون يعتقدون أن الفيران ينزل من الآلهة الجاثوميين الذي يحرص على طرد الفيران من المنزل منعا من انتشار الطاعون الذي كانت تحمل عدواه .

كانوا يغتسلون بالماء البارد أربع مرات كل يوم مرتين في  
النهار ومرتين في الليل ، كما كانوا يحلقون رؤوسهم وأذنانهم ،  
لا بل وأجسامهم مرة كل ثلاثة أيام ! وكان مما يثير سخطهم  
وسخريتهم أن يروا الثعور المرسلة الكثيرة في صور الرعاة أو بعض  
الأجانب ، وكانوا يصورون الرجل الريفى وقد طال شعر رأسه ،  
كما صوروا شعور بعض الثوار وقد طالت حتى تدلت على أكتافهم .  
ولقد كان غسل الملابس من الأعمال المنزلية التي استحقت في  
نظر المصريين القدماء تصويرها بالتفصيل على جدران المقابر ،  
ويتضح من هيئة الحلل الرسمية أن النشا كان يستخدم دائما في  
تثبيت طبائنها .

ولقد كان المصري شديد العناية بأداب المائدة (١) . فقد ورد  
في سفر التكوين من التوراة أنه كان لسكل من كسار الموظفين  
المصريين ، وعامة الشعب المصري والمهاجرين السوريين طريقتهم  
الخاصة في تناول الطعام ! .

---

(١) يتبين ذلك من مصانح الحكيم بنجاح حنب لابنه اذ يقول له : اذا كنت  
من بين الرجال سخي على مائدة من هو اكبر منك مقاماً ، فخذ ما يقدم لك ، ولا تأكل  
الا مما يوضع امامك ، ولا تطيل النظر الى ما وضع - من طعام امام غيرك ، لان  
ذلك مما تشتمز منه النفوس !

وانظر بسحياك الى اسفل الى أن يحبيك الخفيف .

انظر الادب المصري القديم جزء (١) من ١٧٩ ، تأليف الاستاذ الكبير سليم

حسن .

ويقول هيرودوت : ان المصريين القدماء لم يكونوا يستعملون  
السكين ، أو السفود أو أى وعاء خاص بانغريقى ، أو يتناولون  
لحما قطعتة سكين أحدهم ، ويرجع ذلك الى عقيدة المصرى بأن  
معدن الحديد نجس ، وكانوا يؤمنون بأن عظام الاله ست الشرير  
مكونة منه (١) . وكانوا لذلك يصنعون مداهم من البرونز .

وكان المصريون يجلسون فى أثناء تناولهم الطعام على

(١) لانعلم علم اليقين سبب ربط المصريين بين الاله ست والحديد ، ولعل  
سبب ذلك أنهم كانوا يعتبرون الحديد معدنا (أسويا) ، اذ أنه أول من استخدمه  
فى صنع آلات الحرب هم الحيثيون اعداء المصريين ، وكانوا كما تعلم من  
سكان غربى آسيا كما أن الهكسوس الذين غزوا مصر ، وعاشوا فيها قسادا قد  
(جاءوا) من غربى آسيا أيضا فوق أنهم عبدوا الاله ست دون غيره من آلهة المصريين  
الأخيار ، ولهذا كله ربط المصريون بين كراهيتهم للهكسوس الآسيويى الأصل  
وبين المعدن الذى كان يستخرج من بعض بقاع آسيا الغربية وبين الاله ست  
الذى عبدوه .

هذا هو السبب البادى ، أما السبب الحقيقى فى عدم ذبوع استعمال  
الآلات الحديدية رغم انتشار استعمالها فى غربى آسيا ، فهو أن تكاليف نقله  
من مناجمه التى كشفها المصريون منذ عصور أسره الأولى ، كانت باهظة  
لبعدها عن الدلتا ووادى النيل ، على حين أن السحاس الذى نجح المصريون فى  
تحويله الى برونز ، كانت مناجمه قريبة .

على أن الحديد ، كما سبق أن لاحظنا ، قد وجد منذ العصور الأولى ،  
ولانجزم بنجاح المصريين فى صنع آلات قبل عهد الأسرة الثالثة عشرة ، اذ وجد  
فى مقبرة الملك توت عنخ آمون خنجر من الحديد . ثم أخذت الآلات الحديدية  
يعثر عليها فى قبور من خلفاء من الفراعنة ، ثم كثر استخدامها فى عهد الأسرة  
العاشرية والعشرين ، وقد عثر فى بلدة تفرطيس على أقران لصهر الحديد ،  
ترجع لعصر الأسرة السادسة والعشرين .

الحصر (١) ، وكانوا يستخدمون السكين اذا اقتضى الأمر ذلك ! ولم تكن الشوك معروفة لهم آنذاك ! أما الملاعق فقد استعملوها فى عصر ما قبل التاريخ ( أى قبل عصر الأسرة الأولى ) ولكن أحجامها كانت صغيرة ، ومصنوعة من العاج ! وقد وجدت ملاعق صغيرة الحجم مصنوعة من البرونز كانوا يستخدمونها للدهون العطرية فى عصر الأسرة الثانية عشرة ! .

كما كانوا يستعملون ملاعق مصنوعة من البرونز أيضا على هيا المجرفة ( الكريك ) فى عصر الأسرة التاسعة عشرة ، وقد ادخل الاغريق المغرفة التى كانت ولا تزال تستخدم فى نقل السوائل من آنية الى أخرى ! .

ولقد كان المصريون يحسنون بعض السوائل بقطع البوص ( القاب ) أو الانابيب المرنة كأعضاء الحيوانات ؟ .

وان استعمال المصريين لأكواب النحاس ، والتى ذكرها هيرودت فى تناولهم الشراب لمن الأمور المألوفة اليوم فى شوارع القاهرة

---

(١) يقول العالم أرمين أن الحصر استخدم للمجلوس عليه قبل عصر الدولة القديمة ، ولكن منذ أوائل هذه الدولة استبدلت المائدة القليلة الارتفاع والتى يتكون جزءها العلوى من حجر مستدير بها ، فاستخدمها النبلاء والاعشياء باديء ذى بدء ، ثم استخدمها بعد ذلك الناس جميعا ، واستبدل بها الأمراء والأثرياء مائدة طويلة (مرتفعة) . انظر مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة : تأليف دراتكه : ترجمة الاستاذين عبد المنعم أبو بكر وحسرم كمال : ص ٢٠٤ .

وغيرها من المدن المصرية (١) .

ولقد استعمل المصريون قرب الماء منذ عصر ما قبل التاريخ ،  
وقد وجدت بعض السدادات المصنوعة من العاج أو الحجر لسد  
فوهاتها .

ولقد بدأ ظهور المدى النحاسية التي كانت تستعمل لسلخ  
جلود الحيوانات خلال الحضارة الثانية من حضارات ما قبل  
التاريخ ! .

وانك لتشاهد شكل قرية الماء ، وقد ربطت من طرفيها بحبل  
من جلد تحمل به ، في الرسومات التي ترجع لعصر الدولة القديمة،  
وهي شبيهة بالقسربة التي يستعملها السقاويون في الوقت الحاضر .

---

(١) كان المصريون يمرحون كثيرا في الحفلات ، وكانوا يكتفون من شرب  
الخمور التي كانت تقدمهم اترانهم ليزبطون ويصخبون ! وكانت بعض نساءهم  
يشاركنهم في ذلك في كثير من الاحيان ! وهناك في احدى مقابر طيبة صورة على  
أحد جدرانها تمثل سيدة أفرطت في شرب الخمر فبدأت تترنح لتسارع اليها  
أحدى خادماتها لتقدم لها كأسا به سائل ، كان مصروفا لديهم إذ ذاك من  
خصائصه المساعدة على النوم ، فتفرغ مافي جوفها !

ولكن الى جانب ذلك كان عقلاء تلك العصور وحكماؤها ، وحفظتها على  
الإخلاص الكريمة لا يوافقون على تلك الحياة المايطة الماجنة ، فيقول الحكيم اثنى  
في نصائحه الى ابنه خونسو حنث :

لا تعط في شرب البجعة ، لأن لشاربها قلتات لسان ، يستقبح مسدورها  
منه ، من يفتق ويعود اليه رشده ، وهو دائما متبول معتقر من الناس حتى  
من أمثاله الذين يشاركونه في تعاطيها !

ومن نصائحه أيضا « لا تدخل بيت السكر ، ولو كان دخولك يعود  
عليك بالخير !

وفد وجدت في أقدم السجلات التي دونها المصريون القدماء ،  
ما يشير الى شربهم للبيجة والخمر . . . . . ولقد كانت  
الخمر تقدم في الحفلات والولائم ، ولم يك ثمة لوم أو تريب على  
شاربيها ، والسكاري منهم بخاصة حتى عهد الأسرة التاسعة عشرة !  
ففي عهد الأسرة السابعة عشرة ، كان الخدم يقدمون لضيوف أسيادهم  
كؤوس الخمر ليشربوها حتى الثمالة لتدخل عليهم السرور ويقضوا  
وقتا سعيدا ! وفي ذلك تقول سيدة من أهل ذلك العصر للمساقف  
« اعطني ثمانية عشرة كأسا من الخمر لأنني أحبها حبا جما ! ويظهر  
أن تباهيها بحب الخمر لم يكن آنذاك مدعاة لتوجيه النقد أو اللوم  
اليها أكثر من الذهاب لمشاهدة حلبة ملاكمة أو مصارعة في وقتنا  
هذا ! »

وفي عصرى الفرس والبطالة أدى انهيار أسس الحياة العومية  
المصرية الأصيلة بتأثير عاداتهما وتقاليدهما وسلوكهما التي كانت  
تختلف جد الاختلاف عن عادات وتقاليد وسلوك المصريين الى  
التردى في حمأة الترف والاستهتار والانغماس في تعاطي الخمر  
وغيرها من المسكرات ! »

### وسائل المحافظة على الممتلكات

لقد كانت الأختام تستخدم منذ ما قبل الأسرة الأولى في ختم  
الوثائق التي تثبت تملك الناس للمعارات والممتلكات الأخرى على

اختلاف أنواعها ، محافظة عليها من ادعاء المدعين ! •

ولقد استقيننا علمنا بمصنوع الأسرات المصرية الأولى من بصمات الاختتام الرسمية على الأواني والجرار الملكية •

ولقد استمر استعمال تلك الاختتام الى عصر الأسرة السادسة والعشرين ! فكانت الصناديق والحقائب والرسائل ، وكذلك الجرار الكبيرة والأبواب تربط بالحبال ، ويوضع قدر من الصلصال على المقعدة ، ثم تختم بالخاتم • وكانت تلك الاختتام على هيئة اسطوانات تمرر على الصلصال ؟ وكان ذلك في عصر الدولة القديمة ! وما جاء جاء عصر الأسرة الثانية عشرة حتى كانت تلك الاختتام الاسطوانية قد استبدل بها أخرى مستوية ! •

ويبدو أن ذلك حدث في عهد الأسرة الثامنة وكان أقدمها اختتام الملك تلولو (١) •

ولقد استعملت الأقفال لأول مرة في العصر الروماني ! وكان القفل آنذاك يتكون من مزلاج تثبته عندما يراد قفل الباب مقاطعات اسطوانية صغيرة من الخشب ، ويرفعها مفتاح اذا أريد فتحه ! •

---

(١) هو الفرعون نفركارح تلولو ، حكم في الدلتا في عهد الأسرة الثامنة اى في فترة الاضطهاد والنسيب والفوضى ، التي أعقبت سقوط الدولة القديمة، ويدل اسمه على انه من أصل سامي ولذلك لا يستبعد ان يكون من احد الفئات الاقوياء الذين هجروا الدلتا من الشرق .



وقد أصبح القفل في أواخر العصر الروماني على هيئة مزلاج  
ذى ثقب تثبت فيه أسنان من الخشب تسقط في تلك الثقوب ، وكان  
المفتاح يستعمل لرفع هذه الأسنان من الثقوب ، ويؤدي في الوقت  
نفسه عمل القبض للمزلاج ! وهذا ما يشاهد في ريف مصر في  
الوقت الحاضر •

### بعض العادات والتقاليد

من التقاليد التي كانت متبعة في العصور الأخيرة أنه كان إذا  
أخطأ رجل أو امرأة خطأ بسيطاً أمرت المرأة أن تمر كع على  
ركبتها ، ثم تضرب على كتفها بعصا قصيرة ! أما الرجل فكان يطرح  
أرضاً منكبا على وجهه بعد أن توثق بداء ورجلاه من خلاف وينهال  
عليه ضرباً وجيعاً ! •

ومن العادات المرعية أن الرجل إذا مثل أمام أحد العظماء  
ينحني وتلمس يده ركبته ! وكان ذلك هو الشأن في أيام هيرودوت  
الذي روى أن تلك الطريقة كانت هي الأسلوب السائد لتحية  
العامة للعظماء ! •

أما إذا مثل أحد أفراد العامة أو أحد صغار الموظفين أمام  
الملك فكان يخر على الأرض ساجدا وتلمس جبهته الأرض ، كما  
يفعل المسلمون في سجدتهم في أثناء الصلاة ! أما كبار الموظفين  
فكانوا يكتفون ظهورهم ، وبخاصة في عصر الاسرة الثامنة عشرة •

وكان اذا جاء ضيف منزل رجل لزيارته ، وكان متغيبا ،  
سارعت ابنته الرشيدة لاستقباله وهى باشه ، طليقة المحيا ، مبدية  
الود والسرور بمقدمه .

أما سلوك المصريين عامه ، وفى عهد الأسرة النابه خاصه ،  
فاننا نستشفه من أقوال آتف ! فاستمع قوله :

انى ممن يحترمون الناس ، ويذللون لهم الصعاب التى  
تعرضهم ، ويكتنهم ما فى قلوب الناس ، انى حازم وليق اذا ما  
عزمت على أن أحول دون حدوث ما يصيب الناس بالضرر ، أو  
أسوى أمرا عسيرا ، انى طيب القلب ، ولست سريع الغضب  
والانفعال ، ولست ممن يسكون بتلايب الناس ويطرحونهم  
أرضا ، مهما كانت الأسباب الداعية الى ذلك ، انى ممن يواسون  
الحرانى ، بأن ألقى فى مسامهم بالفاظ عذبة تسبهم أحزانهم . !

ويقول أنى وهو من أشهر حكماء الأسرة التاسعة عشرة :

اذا أردت أن تصلح بين المتخاصمين ، فأحسن انتقاء الألفاظ  
التي تلقىها على مسامهم ، فان الخطاب الجيد يميل قلوب الناس  
إليه فيقبلونه قبولا حسنا ويعملون به ، واذا طهر الصديق قلبه  
من الشرور ، حسنت أعماله ، واتفع بها أصدقاؤه ، وأصبح بذلك  
بمأمن من تقدمهم إياها ، فحذار من فقد صداقة الخلان .

ولقد كان المجلس المحلى للسراة مدرسة لأداب السلوك ! وفى

ذلك يقول الحكيم : اذا كنت رجلا ناجحا وعضوا في المجلس فاحصر  
ذهنك فيما يبشر بالنجاح وان صمتك أجدى عليك من القاء الأقوال  
جذافا من غير تبصر !.

ولقد كان من التقاليد المتبعة تقديم القرابين وصلوات الشكر  
قبل إقامة الولائم . ولقد ذكر يوسف اليهودي (١) المؤرخ أنه  
عندما استقبله بطليموس الثاني ( فيلا دلفوس ) أبعد المنادين  
(Heralds) المقدسين وأولئك الذين يقومون بذبيح الضحايا ، والذين  
كانوا يتلون صلاة الشكر ، ولكنه استدعى القس اليزار (١) وطلب  
منه أن يتلو صلاة الشكر ، فوقف بينهم ودعا في صلاته للملك  
ورعيته بالهناء والسعادة .

وكان من التقاليد المرعية آنذاك أنه اذا دعى بعض سرات  
المصريين الى وليمة جاءوا منزل الداعي في عربات يحف بها الخدم  
ذات اليمين وذات الشمال ، وذلك اذا كانت منازلهم تبعد عن بيت  
الداعي بعض البعد ، أما اذا كانت قريبة منه ، جاءوا مشيا على

---

(١) كان يميث يوسف اليهودي في الامم سكندرية في اوائل القرن الاول  
الميلادي ، وقد ألف كتابا للرد على مظالم العالم السكندري ابيون ضد اليهود ،  
وقد نقل عن المؤرخ المصري هانيقون جزءا من كتابه الذي افرجه للمصنفات عن  
الهكسوس ، وكان هدف يوسف من ذلك أن يثبت أن يهود مصر من تسلسل  
ملوك الهكسوس الذين غزوا مصر وتربعوا على عرشها حقبة طويلة من الزمن ،  
وقد تلاعب بالانفاظ كشأن أفراد قومه لتحقيق غرضه ، ولقد خدم يوسف  
تاريخ مصر من غير قصد ولا رغبة منه ، لأنه نقل لنا جزءا من كتاب مانيقون القيم  
الذي فقدناه !

الآقدام ! وكان خدم الداعى يقفون فى حديقة منزله مصطفىين لاستقبالهم ، وليقدموا لهم الشراب والفاكهة من أوان مرصوصه أمام باب المنزل ! ثم يرشدونهم الى مكان الوليمة ! \*

فإذا ما جاءوه قدم لهم الخدم أوانى مملوءة بالماء لغسل أيديهم ! وكانت أوان الماء الذى كان الضيوف ينسلون به أيديهم فى الولايم الملكية من الفضة الخالصة ! وكانت تقدم للضيوف بعناية حتى لا ينسكب منها قطرة ماء على الطنافس ، فإذا ما اتخذ الضيوف مجالسهم ، طافت عليهم غادات حسناوات ليضعن أكاليل الزهور حول أعناقهم ،

---

= (١) هو الكاهن الأكبر لعبد اليهود فى اورشليم آنذاك ! ويشير المؤلف الى مذكره يوسف اليهودى عن الترجمة السبعينية للتوراة ومؤداها أن الملك بطليموس الثانى أراد أن يترجم التوراة الى اللغة اليونانية خدمة ليهود الاسكندرية الذين كانوا يؤلفون جالية كبيرة كانت تسكن حى دلتا (ومكانه حى الشاطىء العالى) فأرسل الى الميزار كبير الكهنة بأورشليم ، رسالة يطلب فيها سبعين عالما ويقول يوسف أن هؤلاء عكفوا على ترجمة التوراة ، منزلين بعضهم عن بعض ، ولا أتوها بعد سبعين يوما ، فودعت تراجمهم بعضها ببعض فوجدت أنها تطابق بعضها بعضا ! ويذهب دكتور ابراهيم تميم الى أن « الشواهد التاريخية تدل على أن هذه القصة مخترعة لأن ترجمة التوراة امتدت طوال القرون الثلاثة السابقة ليلاد المسيح ( انظر تاريخ مصر فى عهد البطالة ، ج ١ ص ٢٧٠ ) » .

أما بيهان فيذكر أن التوراة لم تتم ترجمتها كلها ، كما ورد فى رواية يوسف اليهودى ، ولكن ما ترجم منها كان كتب القوانين الخمسة فقط ( انظر Bevan : The Ptolemaic Dynasty, p. 112) ولعل السبب فى ذلك يرجع نسيان يهود الاسكندرية آنذاك لغتهم العبرية وتفاهيمهم باللغة اليونانية الامر الذى دماهم الى طلب ترجمة القوانين الخمسة ، لانهم كانوا يحاكمون وفقا لقانون موسى .

ويضمن الدهون في هيئة أقماع مخروطية الشكل على رؤوسهم  
العارية أى على شعورهم المصفقة ، التي كانت تمتص الدهون  
وكانها قطع من الاسفنج سكب عليها بعض الماء ! كما كن يضمن  
في يد كل ضيف زهرة من زهور اللوتس ! ثم تدار بعد ذلك  
ككؤوس الشراب عليهم ! \*

وكانت الراقصات الهياوات وعازفات الموسيقى والمغنيات  
بشرح برقصهن وموسيقاهن وأغانيهن صدورهم ، ويضيفن على  
الحاضرين جميعا جوا من المرح والسرور ! فإذا ما انتهت الوليمة ،  
عرض المضيف على ضيوفه وهم سكارى نموذجاً لومياء في قابوت  
طوله ذراع أو أكثر قليلا .

وكان بلوتارك (١) يرى أنه كان يقصد بذلك حث الضيوف  
على التمتع بمباهج الحياة الدنيا قبل أن يصيروا ان أجلا أو عاجلا  
كهذه المومياء ! \*

على أن هذا العمل كان يمثل ناحية من نواحي التفكير المنظم  
الذى اتصف به العمل المصرى منذ القدم ، كما يتبين ذلك من  
الأغنية التي كانت تغنى في أحفالهم ! \*

---

(١) بلوتارك مؤرخ يونانى عاش في أوائل القرن الثانى الميلادى ، جاء مصر  
واقام فيها وكتب كتاباً عن العقائد والتقاليد والمعادن المصرية القديمة . وأهم  
ما جاء في كتابه ما ذكره عن قصة ايزيس وأوزيريس .

صنع نصب عينيك التمتع بالموسيقى والغناء  
واطرح جانبا أسباب الأسى والألم  
ولا تذكر إلا المرح والسرور  
حتى يحين يوم الرحيل

الى المكان (١) الذى يخيم عليه الصمت !

وهناك لون آخر من ذلك المزيج من الفرح والحزن والمرح  
والأسى ، يمثل فى أغنية مانيروس (٢) ، وهو الابن الوحيد لأول  
ملك من ملوك مصر القديمة ، وقد خطفته المنون وهو غض الاهاب !  
ولقد خلد المصريون ذكراه فى هذه المراثية الحزينة التى أطلق عليها  
بعد ذلك : لحن أدونيس لفناء الكون ! .

هذا وتمثل الرسوم الموجودة على بعض الآثار المصرية  
الضيوف وهم جلوس وليس أمامهم موائد (٣) ، بينما يقدم لهم  
الخدم صحاف الطعام الواحدة تلو الأخرى ، ويذكر اثنايوس أنه لم

---

(١) يقصد القبر !

(٢) هذا هو تفسير هيرودوت لهذا النشيد ، ويضيف على ذلك انه كان  
ينشد فى فيثقية وقبرص وغيرها من الاقطار المجاورة لمصر ، وأنه يشبه لانتسيد  
الذى كان ينشده الاغريق باسم لينوس ! ويطلق الاستاذ وهيب كامل على ذلك  
بقوله : ان كلمة مانيروس يبدو أنها حوت من العبارة المصرية « ما - ان -  
هرا » ومعناها جنبنا للنية . (انظر كتاب هيرودوت فى مصر ققرة ٧٩) .

(٣) يلاحظ ما سبق أن للفناء عن أرماني بهذا الخصوص راجع حاشية سنة

١٩٢ ( ص ٥ ) .

تكن توضع للضيوف موائد على الاطلاق ، وانما كانت تقسّم لهم صحاف الطعام ، وهو تقليد كان يتبعه سكان أقطار البحر المتوسط ، وأنه لا يزال متبعا في أسبانيا (١) حتى اليوم .

ولقد كان العشاء عند المصريين أفخر من العشاء عند الفرس !

ولقد كان في المدن المصرية في العصر الروماني حدائق عامة تقام فيها الولائم ، ويؤمها الرجال والنساء والأطفال للمرح والترفيه عن النفس ! وخير مثال لها حدائق اليوسس (Eleusis) (٢) وحدائق كانوبس (Canopus) (٣) بضواحي الاسكندرية ! وفيها كان روادها ينغمسون في حياة بوهيمية إباحية صاخبة ، فكنت ترى جموعا من الرجال والنساء آداء الليل وأطراف النهار ، يستقلون الزوارق ، وقد أطلقوا لأنفسهم العنان في القناء والرقص ، مع

---

(١) استرابون : الكتاب الثالث .

(٢) مكانها الآن المنطقة التي تشغلها أحياء الإبراهيمية وأسيبورتنج والحضرة وحدقة النزهة ، وكان قسمها الشمالي يعرف باليوسس الحمامات .

(٣) وهي ضاحية أبو قير الحالية ، التي كانت مزدهرة في العصرين لاغريفي والروماني ، وسميت بذلك لأن فرع النيل المسمى الكالوي كان يصب في البحر على مقربة منها ! وكان بها معبد الإله سيرابيس ذاعت شهرته في هذين العصرين وكان يقصده المرضى طلبا للشفاء ! وقد سكنها بعض القديسين في العهد المسيحي ومنهم القديس الأنبا كير الذي اختلعت من اسمه اسم الضاحية أبو قير . هذا وقد أخذت المدينة تفسحل عندما انسد الفرع الكانوبي ، وتحول إلى فرع رشيد !

التحرر التام من كافة حدود السلوك القويم والتقاليد المرعية (١) !  
ولقد كانت تقام فى الجبانات ولائم جنائزية ، ومازلنا الى  
اليوم نرى بعض الأسر تزور مقابر أمواتها احياء لذكراهم ، وتقضى  
بعض الوقت فى غرف خاصة ملحقة بها !

### تعداد السكان

لقد حفظت لنا الآثار المصرية عددا كبيرا من القوائم الخاصة  
بتعداد بعض الأسرات فى عصر الأسرة الثانية عشرة ! ومن ذلك على  
سبيل المثال لا الحصر بيان بأسماء أفراد أسرة هيرا ابن الجندى نحتوي  
بالفرقة الثانية من الفرق النظامية المسلحة بمدينة « وعسرت »  
الشيمالية (٢) . ومن بين أولئك الأفراد زوجته شبنست ابنة سات  
سيدو ، وابنه سنفرو ، ووالدته حار أختى (Harakhni) وأخواته  
كات سنوت ولكتن وايزيس ورودت وسات سنفرو !

ولقد عثر على قائمة بأفراد أسرة سنفرو بن هيرا يرجع تاريخها  
الى السنة الثالثة من حكم الملك سخم كارع ، ذكر فيها اسم أمه ،  
واسم جدته ، واسماء عماته !

---

(١) كان أهل الاسكندرية يستلوثون القوارب بعد ترويضها بمختلف المرسات ،  
ويتجهون بها شرقا نحو مدينة كانوب مسالكن قضاء كانت تصل بينها وبين  
الاسكندرية ، وسط مظاهر الفرح والبهجة والسرور وكان كثير من القوارب  
ترتكب فى تلك القوارب حتى ذاعت شهرة هذه الملاهي الماجنة ، حتى أطلق على  
جميع أنواع الملاهي الماجنة آنذاك اسم ملاهي كانوب الفاجرة .  
(٢) مكانها بلدة سان الحجر الحالية جنوب بحيرة المنزلة .



وقد أدى أفراد تلك الأسرة يمين الولاء والطاعة للملك في  
حضرة الوزير وأحد العظماء العشرة الموجه القبلى وكان يدعى  
متومحات وثلاثة آخرين ، تم سجلت أسماؤهم فى سجل خاص !  
وكانت أفراد كل أسرة تسجل مرة أخرى فى العام التالى لوفاة ربها ،  
باعتبار أن ابنه أصبح ربها وعائلها ! وبعد مرور عامين على وفاة  
العائل الأول كان أفرادها يؤدون يمين الولاء أمام الوزير نائباً عن  
الملك ! وبحضور أحد أعضاء مجلس الثلاثين ، وثلاثة من المسجلين  
الرسميين كشهود ! \*

وهذا يبين مدى الدقة التى وصل اليها نظام التسجيل فى مصر  
القديمة ، حتى فى حالة عدم وجود ثروة أو ممتلكات لعائل الأسرة  
المتوفى !

وكان التسجيل قد شمل جميع أفراد الأسرة بما فيهم الأطفال  
وهم فى مهودهم ! \*

ولقد كان أساس الأسرة المصرية يرتكز على نظام الأمومة  
فقد كان الزوج سواء أكان موظفاً أو تاجراً أو زارعاً ، يتبوأ مركزاً  
ثانوياً فيها ، وكانت الزوجة تتبوأ مركز الرئاسة فى تدبير شئونها ،  
كما كان البيت أمثاله وريائسه ملكاً لها ، وإذا ماتت ورثها بناتها  
لا أبناءها ! ولهذا كان زواج الأقارب محبباً ! ولا يزال حتى  
وقتنا هذا زواج بنات الأعمام بابناء أعمامهم مفضلاً على زواجهم من  
الغريباء ! ولعل علة هذا حرص الأسر على ألا تتوزع ممتلكاتها بين

الغريباء ! فتفصم عراها ! وفى ذلك يقول ديودورس المؤرخ المشهور:  
لقد كان القانون فى مصر خلافا لتقاليد التسحوب الأخرى كافة  
يجيز ان يتزوج الاخوة من أخواتهم(١) ! وقد ورد فى قصة  
ستا (Setna) ما يأتى : ليس لى الا هذين الطفلين فمن الصواب  
أن يتزوج أحدهما الآخر . ولقد قال روماني : انك فى أثينا تستطيع  
أن تتزوج أختك من أمك أو أبك ، ولكن فى الاسكندرية تستطيع  
أن تتزوج من شقيقتك ! وينبغى لنا أن نذكر فيما يختص بعادة  
زواج الأخ من أخته عند قدماء المصريين أن تلك العادة لم تكن  
مقصودة عليهم بل كانت سائدة فى أقطار كثيرة من فارس الى  
بريطانيا ! على أن موانع الزواج من الأقارب التى نظمها المرف  
ثم القانون لم تنشأ الا فى المصور التاريخية المتأخرة . وتعتبر نظم  
الزواج من أحدث نظم الحياة التى خضعت لسلطان القانون ، ولقد  
أدى نظام الأمموة القوي المتين فى مصر القديمة الى أن تأول الثروة  
المقارية كما قدمنا الى النساء دون الرجال ! وكان ذلك من  
الحوافز القوية التى أغرت الأخوة بالزواج من أخواتهم لى

---

(١) قد يبدو من الغرابة بمكان زواج الملك منفرو ورسيس (الثانى من  
ابنتيهما ، ولكن كما يقول المؤلف : ان هاتين العاليتين كانتا الوحيدتين لهذا  
النوع من الزواج فى التاريخ المصرى القديم كله ، وبذلك يكون ذلك استثناء  
لا قاعدة وعلى ذلك لا ينبغى أن يقال ان المصريين القدماء كانوا يتزوجون  
بناتهم !

ولا نعلم حتى الآن علم اليقين السبب الذى حدا بهما الى هذا  
الزواج !

يحتفظون بالميراث ، اذ كان الزواج من الأخت يؤدي الى الجمع بين ممتلكات الأم وميراث الأب ، أما فيما يتعلق بزواج الأب من ابنته فليس لدينا أمثلة لذلك في حياة عامة الناس ، ولكن لدينا مثلين مؤكدين في حالاتي ملكين من عظماء الملوك الأولهما سنمرو ورمسيس الثاني فقد تزوج كل منهما ابنته ! .

وقد يكون وراثته العرش مقصوده على فرع الأمهات في عصر ما قبل التاريخ ! ولكن في عصر الأسرة الأولى كانت الوراثة محصورة في الأبناء . أما في عصر الأسرة الثانية فقد اعترف بحق النساء في تولي الحكم نتيجة لسيطرة اتباع الاله ست على سياسة الدولة (١) ، وبذلك استرد البنات حقهن في عصر وراثته العرش عليهن دون الأبناء . ولم يتول سنمرو أول ملوك الأسرة الرابعة العظام الا لأنه تزوج بابنة آخر ملك من ملوك الأسرة الثالثة (٢) . ولكن لم تلبث أن أصبحت وراثته العرش قاصرة على الأبناء ، وفي عصور الاسرات الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة بخاصة ! ولكنها عادت فصارت حقا للنساء ، في عصور

---

(١) يرى بعض المؤرخين ان اتباع الاله ست الشرير كانوا يستقون هذا المبدأ تشبهاً بالهيم ست الذي زوج اخته نفتيس ! ومع ذلك فلم يكن هوريس أن يتزوج ست من أخته فقد تزوج الاله أوزيريس الغير من أخته ايزيس كما جاء جاء في قصة ايزيس وأوزيريس وست المشهورة .

(٢) لقد تزوج سنمرو من حبيبته حرس ابنة ملقه الملك حو واعقب منها الملك خوفو العظيم .

(٣) يرى البعض أن النساء ظلمن يتمتعن بذلك الحق في عهد الاسرات الثانية والعشرين والثالثة والعشرين .

الأسرات الثمينة عشرة والتاسعة والعشرين والواحد والعشرين (١) وما كان تولى ملوكها العرش مرهونا بالزواج من وريثاته الشرعيات . وقد ابتدعت الأسرة الخامسة والعشرين قانونا يقضى بمشاركه الأخوات اخوتهن في وراثه العرش حتى ولو كن كاهنات ! ولقد كان يتبع هذا النظام نظريا في عهد الأسرة السادسة والعشرين ! فقد كان الملوك يتزوجون زواجا صوريا من وارثات العرش ، قبل توليه ! وقد كان الملك يقيم في مقر الملك في الشمال بينما تقيم الملكة شريكته في الملك في طية متربعة في منصب كاهنة عظمى ! ولم يكن آنذاك مانع قانوني بحول دون الملك وزواجه من أخرى ! وكثيرا ما كانت أولئك الملكات الكاهنات تتبين فتيات اذا لم يكن لهن نوات ! .

ويمرى بعض المؤرخين أن قمبيز ملك الفرس عندما طلب القربى من ملك مصر اماريس (٢) بالزواج من أحد بناته كان يهدف الى أن يصير لأبنائه منها الحق في تولى عرش مصر . ولما فتح قمبيز مصر كان عزاء المصريين أنه تمت الى ملوكهم بصلة النسب (٣) .

---

(١) يرى البعض أن النساء ظلمن يتمتعن بذلك الحق في الاسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين أيضا .

(٢) هو الملك أحمنس الثاني من ملوك الأسرة السادسة والعشرين ! وقد كان أحد كبار الموظفين في بلاط سلفه الملك ايمريس فتأمر عليه ولجحت المؤامرة . فتمتد وخلفه على عرش مصر .

(٣) يقول هيرودوت أن قمبيز أراد أن يتقرب من الملك اماريس ( هكذا ينطق الاغريق لفظ أحمنس المصري ) فأرسل اليه يطلب يد ابنته ، فأرسل اليه الأميرة ليختتم ابنه الملك المغلوع ايمريس بدلا من ابنته ، وأن قمبيز كشف خديته . فحلف قمبيز أن يعاقبه عقابا صارما .

ولما تولى البطالة حكم مصر اتبع ملوكهم نظام الزواج من أخواتهم ، فتزوج بطليموس فيلادلفوس أخته أرسينوى على الرغم من استنكار مواطنيه المقدونيين ذلك ! واستمر اتباعهم لذلك التقليد طوال عهد حكمهم لمصر ، فكان العرش والحال هذه كملكات الأسرة الأخرى يتوارثه عمليا أو نظريا فرد من أفراد فرع الأم ! وكان يتزوج الاخوة أخواتهم الشقيقات أو غير الشقيقات الوارثات الشرعيات للعرش ، ليصبحوا ملوكا ممثلين الاله رع أو الاله آمون على الأرض ! فلقد كان معنى اسم الملك توت عنخ آمون ، الصورة الحية لآمون ! ولما ادعى الكهنة المصريون أن الوحي نزل عليهم وانبأهم بأن الإسكندر هو ابن الاله آمون صدقهم المصريون فتوطدت دعائم سلطان ذلك القائد المقدوني المظفر على عرش مصر .

وكل ما سبق ذكره يتعلق بالناحية السياسية المبحثة الخاصة بوراثة العرش ! ولا علاقة له بمن يتخذهم الملوك زوجات لهم من نساء مصر ، أو من بنات الأمراء أو الملوك الأجانب اللاتي يتزوجوهن زواجا سياسيا . ومن أشهرهن الفجر ابنة ملك الحثيين التي أضفى عليها لقب « الزوجة الملكية العظمى » سيدة الأرضين معات نفور رع ، (Moat-nefro-Ra) ابنة عاهل خيتا (١) العظيم .

---

(١) خيتا هي التسمية المصرية القديمة للحيثيين .

ولقد صوّرت حياة الحرّيم على آثار نيل العمارنة ، فترى في الصورة  
الفتيات الحسنات يرقصن بعضهن ، ويعزفن على الآلات الموسيقية  
بعضهن ، ويصفق بعضهن سمورهن ، وتناول بعضهن الآخر الطعام !  
كما ترى بعض غرف المنازل وقد صفت فيها المقاعد وزينت بالمرايا !  
ووضعت في جوانبها الصناديق !

ولقد كان تعدد الزوجات متبعاً بين ملوك مصر كما كان متبعاً  
بين معظم ملوك الأقطار الأخرى !

ولقد برهنت الحوادث ومجريات الأمور في عصور كثيرة على  
أهمية زواج الملوك المصريين بأميرات أجنبيات كرابطة من أقوى  
الروابط وأفضلها ، التي من شأنها أن تدعم المحالف السياسي بين  
مصر والأقطار الأخرى .

وقل أن رى أطمعاً من زوجتين أو أكثر لأسر الطبقات العالية  
التي تركت آثار ممتلئة في عدد من التماثيل ، غير أن أكبر مجموعة  
من تلك التماثيل الأثرية ، تمثل زوجة رب الأسرة الأولى ، وكانت  
عاقراً ، وبجانبها خمس زوجات أخريات لهن كلهن أطفال ، وكان  
عددهم اثني عشر ، خمسة بنين وسبع بنات . ويبدو أن الزوجة  
الأولى تزوجها رب الأسرة على الرغم من أنها لم تكن آنذاك في  
مقتبل العمر لأسباب اجتماعية ، إذ أنها كانت إحدى المزيّنات  
الملكيّات ، على أن تعدد الزوجات لم يقف عقبة في مصير الأبناء ،

فقد كانوا يعتبرون جميعا أبناء شرعيين ، مهما كانت منزلة الأم التي أنجبتهن ! على أن الكهنة أو القساوسة كانوا يتزوجون بواحدة ! وكذلك كان الشأن بالنسبة لعامة الشعب !

ولقد كانت حقوق الوراثة الشرعيين تحاط بعناية كبيرة فقد كانت تحدد لها وتبينها وثائق ومستندات رسمية ! ولقد عثر الباحثون على وصية لأحد أبناء خفرع أحد ملوك الأسرة الرابعة ويأني الهرم الثاني ، يوصي فيها لابنته بصيغتين ، ولما توفيت وهو على قيد الحياة ، أوصى بها لزوجته ، أما ممتلكاته الأخرى في أربع عشرة قرية من قرى الريف ، فقد أوصى بها لزوجته وأبنائه موضحا فيها نصيب كل منهم ! \*

ولدينا بعض الوصايا والوثائق في حال جيدة ترجع الى عصر الأسرة الثانية عشرة ، منها وثيقة يرجع تاريخها الى السنة التاسعة والعشرين من حكم الملك أمنمحات الثالث تتضمن شراء آحى سنپ ابن شپست امرأتين اسويتين من قبيلة العامو وطفليهما ، وقد وجدت مسجلة في مقبرة الوزير خيتي . \*

وبعد ذلك بخمسة عشرة عاما أي في السنة الرابعة والأربعين من حكم ذلك الملك نفسه ، نجد وثيقة تملك ، أو وصية ، أوصى فيها آحى سنپ والشهير بمنخ رن بجميع ضياعه وممتلكاته الأخرى من منازل وعقارات أخرى وما ملكه يداه لأخيه ورفقاء حياته المخلصين . \*

ويبد وأن آحى سنب صاحب الوصية قد توفي بعد كتابه وصيه  
 بوقت قصير ، ويشين ذلك من تسجيلها بعد مضي أربعة أشهر في  
 مصلحة السجلات ، ومن تسجيل أخيه واح وصية يوصى فيها بجميع  
 ما أوصى له به أخوه لزوجه شـفتوتيتا (Sheftu-Teta)  
 وذلك بعد مضي خمسة أيام فقط من تاريخ تسجيل وصية آحى  
 سنب ! ومما ذكره واح في وصيته لزوجه انها حرة في أن تهب ذلك  
 الميراث حال حياتها أو توصى به بعد موتها لمن تشاء من أبنائها الذين  
 انحدروا من صلبى ! ومنها انى أوصى لها بالاربع الاماء الاسيويات  
 من قبيلة العامو اللاتى ورتهن من أخى ، عتخ دن ، وهما الرقيقتان  
 وابنتاهما اللاتى سبق ذكرهن ، ولا بد أن تكون الابتان قد بلغتا آنذاك  
 (السابعة عشرة) •

ثم يوصى بأن يدفن في مقبرته الخاصة ، ومعه زوجته دون  
 سواها ! •

وقد عين صديقا له يدعى جيو وصيا على ابنه ، وبأتى بعد  
 ذلك أسماء الشهود الثلاثة على ما جاء بهذه الوصية ! •  
 وهذا يلقي بعض الضوء على نظام الرق في مصر القديمة (١)

---

(١) لقد انتشر نظام الرق في مصر في عصرى الدولتين الوسطى والحديثة ،  
 لانهما كانتا مصرى الفتوحات المصرية العظيمة التى شملت ربوما كثيرة من الشرقين  
 الأدنى والاولى وقد عادت الجيوش المصرية الظافرة بعد استيلائها على اقطار  
 كثيرة بعدد كبير من الاسرى - رجالا ونساء وأطفالا - فكانوا يباعون ويؤجرون ،  
 شائعهم شأن السلع والبضائع • وكان الملك الغازى يتحركهم لمن اسرههم قارة ،  
 وقارة يوزعهم جميعا على الجنود الغازين جميعا •



ذلك أنه كان لكل من هاتين المرأتين الرقيقتين من العامو طفلة واحدة  
وفت شرائها ، وبعد مضي خمسة عشر عاما ظل عددهن في الوصية  
الثانية أربعاً ولم يذكر معهن أطفال آخرون ! وهذا دليل قاطع على  
أنهما لم يتزوجا ، ولم يتسرى بهما أحد .

وان أقدم وثيقة لعقد الزواج المصرى عثر عليها الأثريون يرجع  
تاريخه الى سنة ٥٩٠ ق.م وبما أن نصه يتفق تماما مع نص عقد آخر  
عثر عليه ويرجع تاريخه الى سنة ٥٥٠ ق.م ، فانا نرجح أنهما كانا  
نموذجاً ظل متبعاً حقبة طويلة . وفي هذا العقد نص على أن « ا » قد  
حضر الى منزل « ب » ليعطى يد ابنته ( ج ) ، على أن يقسم  
(ب) ٦ أوقيات من الفضة وخسين مكبا لا من الحنطة كدوطة لابنته  
«ج» ، وأن يتعهد (٣) بأنه اذا هجر زوجته ( ج ) كارها أياها ،  
أو بسبب رغبته فى الزواج بأخرى ، يقوم برد الدوطة ، ويستثنى من  
ذلك هجره أياها لارتكابها جريمة الزنا ! ويأن يورث من تنجيه له  
من الأطفال نصيبا يذكر مما تركه له والداه .

ولقد كانت تلك « الدوطة » تقدر بحوالى عشرين جنيهها  
مصريا (١) .

ولقد قدرت دوطة أخرى بنحو ثلاثين جنيهها ! .

---

(١) مقدرة بما يساويه الجنيه المصرى وقت تاليف الكتاب أى فى سنة ١٩٢٣م

وقد تسلمت إحدى البنات عند زواجها ، من أبيها دوطه  
فدوت بكات واحد أى بحوالى جنيه واحد ! وقد تمهدت بدفع  
نصف مقدار الدوطة فوق الدوطة نفسها لزواجها اذا هجرته ! .

ولقد كانت صيغة الطلاق المصرى كالآتى : لقد هجرتك  
كزوجة لى ، واننى أفارقتك وليس لى مطلب على الاطلاق ! كما  
أبلغك أنه يحل لك أن تتخذى لنفسك زوجا آخر متى شئت ، وفى  
عقد زواج ليهودى من اليهود الذين كانوا يسكنون الفنتين (١)  
يرجع تاريخه الى ٤٤٢ ق . م ما يأتى .

آشور يتزوج مفتاحيا ابنة محسيا . ويمطى محسيا الزوج  
خسة شاكل (٢) « ويعلق على ذلك بقوله له » لقد تقبلت هذه الهبة  
وأطمأن قلبك الى ذلك ، ويقدم محسيا لابنته الملابس وأدوات الزينة ،  
كما يقدم للزوج هدايا محددة أثمانها فى العقد ، فإذا مات آشور  
من غير أن ينجب من مفتاحيا فسوف يؤول اليها كل أملاكه ! والأمر  
بالمكس ! .

---

(١) هى جزيرة واقعة أمام مدينة أسوان ، وقد سماها الأفريق بهذا الاسم  
وهو تعريف للاسم المصرى القديم أبو أى جزيرة القبول ، وقد يكون السبب فى  
ذلك كثرة سن القيل بها فى عهدهم ! ولأن يقطنها جالية يهودية كبيرة فى العصر  
الفارسى .

(٢) الشاكل عملة بابلية تساوى نصف أوقية من الفضة تتراوح قيمتها  
بين ريالين ونصف الريال وخمسة ريالات وكانت هذه العملة منتشرة فى فلسطين  
والشام . ويبدو أن سكان قبيلة اليهود وقد جاءوها مطرودين من بلادهم بسبب  
أن دمرها ملوك بابل وآشور ، قد احتفظوا بالتعامل بتلك العملة البابلية .

وإذا متلت الزوجة أمام القضاء وقالت : انى أطلق آشور زوجى  
فإن عليها آنذاك أن ترد له الشاقلات الخمسة ، كما تدفع له كلما  
أعطاه لها من نقود وتعيد له ما قدمه من هدايا ! وعندئذ تكون حرة  
طليقة تذهب الى حيث تشاء ! والأمر بالعكس •

أما اذا طرد آشور مفتاحيا من بيته من غير أن يطلقها حق  
عليه أن يدفع لها مبلغا وقدره عشرون كيهز (Kebhes)

ويقر آشور في العقد أنه لا يحق له أن يصرح بأن له زوجة  
أخرى غير محسبا ولا بتين غير بنيه منها ! وإذا ما صرحت بذلك فإنه  
يجب على أن أدفع لها خمسة عشر ضعف ما لها :

ثم يلى ذلك توقيع أربعة شهود :

كما وجد عقد زواج آخر يرجع تاريخه الى عصر البطالة ،  
تشابه شروطه العقد السابق ! ففيه قدم الزوج الى الزوجة  
مهر مقدار خمسة جنيهات (١) ، وتعهد أن يسطيها راتبا شهريا مقداره  
عشرة شللات ثمنا لأدوات زينتها ، ومثله لنفقاتها الشخصية ! وفيه  
يقول للزوجة : ان ابنتك البكر منى سوف يرث كل ما أملك من  
عتار فى الحاضر والمستقبل وانى أقر واعترف أنك زوجتى ، فإذا  
أعملتك أو اتخذت لنفسى زوجة أخرى غيرك فسأدفع لك ما يساوى

---

(١) مقدار القيمة بالجنيه المصرى وقت صدور هذا الكتاب سنة ١٩٢٣ •

مائة من الجنيات (١) ، كما أقر أن عقود التملك الخاصة بنصف  
ممتلكاتي التي ورثتها عن أبي ، وكذلك عقود الممتلكات التي ورثتها  
من أمي سوف تؤول اليك .

ولم يرد في العقد شيء خاص بالطلاق ! ولكن جاء ذكر غرامة  
يدفعها الزوج في حالة فسخ عقد الزواج ! وفي عقد آخر كان المهر  
سبعة جنيهات وغرامة هجر الزوجة ثلاثين جنيها (٢) وقد عثر على  
وثيقة زواج يرجع تاريخها الى العصر القبطي وكانت لابن أحد  
القساوسة ، جاء فيها :

بما أن مشيئة الله قد اقتضت أن يرتبط أحدهما بالآخر برباط  
الزواج المقدس الصحيح وفقا لتقاليد الرجل الحر والمرأة الفاضلة ،  
فاني أعطيك مهرا مقداره ستة عشر شلنا (٣) ذهبا ، لكي تصبي الى  
بיתי كأمرأة حرة ، على أنني أقدرك كأنك قطعة مني ، فلا أقلل من  
شأنك ولا أملكك ، ولا أهجررك الا اذا اضطررتي سبب شرعي هام (٤)  
فاذا حدث ذلك فسأقوم بدفع سبعين شلنا لقاء ذلك ! وبالعكس .

وهذه المبالغ مقدرة قيمتها بالعملة الحالية تساوي ثمانية جنيهات  
للمهر ، وثلاثين جنيها للطلاق .

وكما نجد عقدا يرجع تاريخه الى القرن الثاني عشر ، ينص

---

(١) ١ . ٢ . ٣) بالعملة المصرية في سنة صدور الكتاب وهي سنة ١٩٢٣ .

(٤) لعله يشير الى رهينة الزواج .

على أن المهر مائة سوليدى أى خمسمائة جنيه ، على أن يدفع خمسها  
فورا ، ويدفع الباقي فى خلال خمس سنوات •

وهناك عقد يرجع تاريخه الى سنة ١٢٨٠ م ، وشروطه مطابقة  
لشروط العقد السابق !

من هذا نرى أن المصريين كانوا يعتقدون فى جميع عصور  
تاريخهم المختلفة حتى العهد المسيحى ! أن وثيقة الزواج لم تكن  
الا عقداً كبيره من عقود الصفقات التجارية الأخرى خسارة فادحة  
للطرف الذى يقوم بفسخه !

وكثيرا ما كان ينص فى العقد على إعادة قيمة ما دفع من المهر  
والهدايا فقط من غير جزاء على فسخه ! ولكن ما جاء القرن الرابع  
للميلاد حتى كثر النص فى العقود على غرامات كبيرة لمن يقوم  
بفسخها ! ولعل ذلك التغير يرجع الى التأثير الاغريقى !

وليس فى كل عصور التاريخ المصرى حتى فى العصر المسيحى ،  
أثر ما لزواج دائم أبدا ، لاتنقسم عراه ، كما أنه لم تستدل على  
ما يشير الى إقامة أحفال دينية خاصة بالزواج ، أو الى وجود نوع  
من الطقوس خاصة به ! وربما كان هناك أحدهما أو كلاهما ، ولكن  
لم يسجل عنهما شئ مطلقا لا فى عصور مصر الفرعونية ولا فى  
عصر البطالة الذين كانوا يتنون بعناية كبيرة بالحفلات المختلفة !

ويقول ديودورس :

لقد كانت عقود الزواج في مصر تنص على منح الزوجه السلطة على زوجها ، وكان الأزواج آنذاك يتعهدون بالطاعة لزوجاتهم في كل ما يؤمرون به . \*

على أننا لم نثر على أى أثر يدل على ذلك في العقود التي نعرفها ، ويحتمل أن يكون منشأها مبالغة لاحدى الزوجات الوارثات بادعائها حق القيام بإدارة ممتلكاتها بدون معارضة أحد من أقارب زوجها . \*

وعلى الآثار المصرية نرى الزوجة المصرية على قدم المساواة مع زوجها ! وقد كانت الزوجة في اعتقاد المصريين ضرورية لزوجها في الحياة الآخرة ! وقد كان يوضع في قبور الرجال تماثيل أو رسوم لزوجاتهم ، وإذا عز ذلك كان يستبدل بها نماذج من الفخار عليها صورة الزوجة ! \*

ولقد منح القانون للمرأة المصرية حرية التعامل اذا كانت تعرف القراءة والكتابة ... واليك مثل لذلك أورليانيسوس (Aurelia Thalsous) وشهرتها لوليانا ، ابنة أحد كتبة الأسواق المتقاعدين ، تذكر في طلب لها لجهة من جهات الاختصاص أنها قادرة على الكتابة بسهولة تامة ، ولهذا فإن من حقها أن تتصرف في شئونها بنفسها . وبعد مضي أربعة أعوام ، وكان ذلك في سنة ٢٦٧ ق م تجدها قد قامت بشراء منزلين وقطعة من الأرض . \*

ولما كان الزوج مسئولاً عن الوفاء بديون زوجته ، فقد كان السبيل آنذاك الى التخلص من الأفلاس أن يقوم بطلاق زوجته ، بعد أخذه لما دفعه لها من مهر ، ثم تعلن إفلاسها فيما يختص بممتلكاتها (١) ، ثم يعود فيتزوجها ثانية ، على أن يحرر وثيقة ، قبل اتمام عقد الزواج الثاني تخوله حق الحجز على ممتلكاتها بحيث اذا حدث طلاق جدى بينهما فيما بعد لا يفقد الزوج حقه فى المطالبة بقيمة الصداق الذى دفعه للزوجة • على أن الحقوق الشرعية لذريتهما كانت تلقى كل رعاية خلال تلك التطورات •

وكان فرع الأم يوضع موضع الاعتبار الأهم فيما يختص بالنسب ! فقد كان اسم الأم يذكر دائماً ، أما اسم الأب فكثيراً ما يغفل ذكره ! وكان الأبناء اذا اتسبوا يذكرون أسماء أسلاف أمهاتهم ، لا أسلاف آبائهم ! ولم يكن الأب الا حامل لقب ، أما الام فكانت واسطة عقد الأسرة ! ويستثنى من ذلك شافلى بعض الوظائف التى يرثها الأبناء بحكم القانون عن آبائهم أباً عن جد ! فانهم كانوا ينسبون الى الآباء لا الأمهات وكانت الممتلكات العقارية يرثها الابنساء عن الأمهات سيدات البيت !

---

(١) فى ذلك العهد كانت مركة الاب تنتقل بعد موته الى أولاده وأولاد أولاده ، ولم يكن هناك قانون يمنع توريث الحفيد اذا مات أبوه ، كما كانت المركة تؤول اذا لم يكن للمورث أولاد ولا احفاد الى الاخوة والاختوات كما كانت انصبة الأولاد فى الميراث متساوية ، ولم يكن هناك تمييز بين الذكور والاناث •

ولقد كانت مكانة الحبال ووالد الأم تسمو مكانة العم ووالد الأب .

ولقد رأينا في الفصل الأول أن توارث مختلف الصناعات والحرف لم يتقيد قط بنظام الطبقات ، بيد أن العرف كان يقف أمام كل شخص حاجلا إذا أراد الخروج عن نطاق مهنة والده ...

ولقد كانت الوظائف الدينية بخاصة يرثها الأبناء عن الآباء بسبب ما تتطلبه إقامة الطقوس والشعائر الدينية من تدريب دقيق فضلا عن أنها كانت دائما موضع التبجيل والاحترام ومصدر هبات ومنح لمقلديها ! ولقد كان أهم استثناء لهذه القاعدة تنصيب الملك أحد أبنائه في منصب من المناصب الدينية الرفيعة كمنصب الكاهن الأكبر لمنف أو هليوبوليس ! .. ويحدثنا أحد الكهنة في عصر الأسرة التاسعة عشرة بقوله :

لقد تعطف الملك وقرر بعدما تبين له أن أبنائي قد انحدروا من صلبى أن يعينهم كهنة يعملون تحت رعايته السامية . اننى الكاهن الأكبر للاله آمون ، فأصبح ابنى كاهنا ثانيا لى فوق وظيفته كمدير مساعد للمعصر الملكى ! وسوف يمنح حفيدى منه ألقاب الكاهن الرابع لآمون والأب المقدس ، والقس .

ولقد شاهد هيرودوت في منف مجموعة من التماثيل الخشبية



يبلغ عددها ٣٤٥ تمثالا ! وقد أخبره مرشده أنها لكبار كهنة الاله  
بتاح ، الذين توارثوا هذه الوظيفة ابنا عن أب ! .

و قد كان منصب الكاهن الأكبر لبتاح في العصر الروماني  
مفصولا على الابن الأكبر وكان الابناء الآخرون يعدون خارجين على  
القانون ان هم أحدهم يتولى ذلك المركز .

ولما كانت وراثه العقارات الثابتة تنحدر عن طريق الأم ، كان  
من الطبيعي أن يقع واجب كفالة الوالدين احدهما أو كليهما على  
عائق بناتهما دون أبنائهما ! .

ولقد كان هذا الأمر من الأمور التي أثارت دهشة الاغريق  
الذين كانوا يزورن مصر .

ولقد سبق ذكر قصة ابن الملك خفرع (١) وما ورثه من  
ممتلكات عقارية وهناك حالة لاحقة لذلك التاريخ تختص بكاهن يسمى  
« نكمنخ » (٢) الذي كان له الحق في أن يوصى بما يشاء من أملاكه !  
لقد أراد نكمنخ هذا أن يوصى بضيعتين مملكتهما لأولاده من بعده

---

(١) كان كاهن الاله حانحور في عهد الاسرة الخامسة ، وقد اشتهر بتلك  
الوصية التي سجلها على احد جدران مقبرته ! وقد ذكر فيها ان ملكيته لهذه  
الأراضي يرجع الى عهد الملك منقرع ! رآه عين كاهن في عهد الملك أوسركاف .  
(٢) ورث عن جده وكان يدعى خنوخا احدي هذه الضياع ! وتقدر مساحتها  
بنحو ٤٠ فدانا أما الضيعة الأخرى وكانت مساحتها نحو ٤٠ فدانا أيضا وحيث  
له كبريت من الدولة مقابل قيامه بأعباء وظيفه كاهن الاله حانحور .

على أن يقسمان بينهم بالتساوى ، كما أوصى أن يقوم كل منهم  
بوظيفة كاهن التي يشغلها لمدة شهر بالتناوب (١) ! وإلى جانب ذلك  
وضع شروطا للتصرف في أملاكه الخاصة (٢) .

وفي عصر الأسرة الثانية عشرة كان العرف يفرق بين الضياع  
التي يرثها الأشراف عن آبائهم التي كان يحق لهم أن يوصوا بها  
لأبنائهم ، وبين الضياع الحكومية التي كانت يمنحها لهم الملك طول  
حياتهم جزاء لهم على إخلاصهم وولائهم له ! .

وكثيرا ما كان الأب المورث ينص في وصيته عدم تصرف  
الورثة فيما تركه لهم من ممتلكات بالبيع أو التجزئة كما لو كانت  
موقوفه ! وكان يذكر في بعض عقود التوريث « انها موروثة  
لشخص واحد ، ولا تورث الا لشخص واحد » وكان أحيانا يعين  
الشخص الثاني بأن ينص على أنه « الحفيد » أو الحفيدة ! .

---

(١) وصح تمنح في وصيته التزامات وظيفته بوصفه كاهنا أعظم للالهة  
خاتمور في يد جماعة من أسرته تحت إشراف ابنه الأكبر ، وبذلك أصبح جميع  
أولاده يستفيدون من وظيفته ، على أن يقوم بالعمل بأعباء وظيفة الكاهن الأعظم  
للالهة خاتمور ، كما وزع بينهم القيام بالشعائر الدينية التي يوجب ثوابها  
لجسد خفوكا الذي ورث عنه الخيمة الأولى .

(٢) كان تمنح بذلك عشرين فدانا ، ومعها على أن يصرف ريعها على إقامة  
شعائر دينية يوجب ثوابها له بعد وفاته ، ووكّل مهمة القيام بها لاربعة من أولاده  
لم يذكروا في الوصيتين السابقتين ، ويبدو أنهم من أم غير أم ابنائه الذين  
ذكروا في الوصيتين .

وكان من أهم واجبات الأبناء تقديم القرابين الى أرواح آبائهم  
وأجدادهم كما هو الشأن الآن فى الصين والهند . وكان الابن الأكبر  
يلقب بمائل أمه ( ايون - موت - اف ) وكان يلبس جلد النمر  
عندما يقوم بتقديم القرابين الجنائزية لروح والده ! .

وفى ذلك يقول الأمير زاو الثانى (١) :

لقد احتفلت بدفن والدى الأمير زاو فى موكب ضخم فوق كل  
مواكب الأحفال التى أقيمت لأقرانه من أمراء الجنوب ! فلقد توسلت  
فى ذلة وخضوع السائل الى صاحب الجلالة ملكى نهر كارغ ، عاهل  
الوجهين القبلى والبحرى أن يأمر بصرف تابوت وأقمشة ، وفدر من  
العلطور من الخزانة الملكية من أجل والدى زاو المتوفى زد على ذلك  
أنى هيات كل شىء بحيث يجمعنى وأبى زاو مقبرة واحدة حرصا  
منى على البقاء دائما الى جواره . ولم يمنعنى من بناء مقبرتين  
أحدهما له والأخرى لى ، نقص فى مواردى المالية ، وإنما دفعنى الى  
بناء مقبرة واحدة رغبتى فى التمتع برؤيته كل يوم .

ولقد منح زاو الثانى كل ما طلبه من ملكه فى سهولة ويسر ،  
ولعل السبب فى ذلك أن أباه زاو الأول كان أخا لزوجتى الملك  
ببى الأول .

ولقد كان حقا على الأبناء عند تشييع جنازة آبائهم أن يطرحوا

---

(١) عاش ذلك الأمير فى عهد الملك ببى الثانى .

الثيران أرضاً تم يقوموا بحرها ، وانك تشاهد صور هؤلاء الابناء وهم يفعلون ذلك ! واسماؤهم منقوشة على جدران مقابر آبائهم ! وكانوا يقومون عدا ذلك بصيد الطيور وتقديمها قرابين لهم ! وهذا ما فعله الملك رمسيس الثانى لأبيه الملك سيني الأول ! كما هو مصور على جدران معبد أبيدوس .

وكان المصريون القدماء ينظرون الى تعليم الابناء كأنه واجب تعليمه عليهم محبتهم لهم ! .

ولقد قال أحد حكماء الأسرة الخامسة :

إذا كنت رجلاً ناجحاً فى عملك ، ووهب لك الإله ولداً من فضله وكرمه ، فإذا سلك هذا الولد سراطاً مستقيماً واقتفى فى الحياة أثرى ، وسهر على رعاية مصالحك . . فمليك أن تمنحه كل ما تستطيع من بر وعطف ورعاية ، ولا بدع فاته ولدك الذى سوف يخلفك فى حمل شعلة روحك المقدسة ، وهى روح الآباء والأجداد التى حملتها قبله ، ولا تدع قلبك ينصرف عن محبته مهما كانت الأسباب التى قد تدعوك الى ذلك .

ولقد كان الأطفال يلقون فى لفافات من الأقمشة منذ نعومة أظفارهم وتحملهم الأخوات الكبريات أو الأمهات وراء ظهورهم تارة وعلى صدرهم تارة أخرى ، وكان من أحب وسائل التسلية الى نفوسهم عندما يشبون عن الطوق صنع لعب من الصلصال على

هيات مختلفة ، وهم يمرحون ويلعبون على جوانب الترع والقنوات  
القريبة من فراهم الريفية ، كما يفعل اليوم أبناء بعض القبائل  
الافريقية ! وكانوا يحملون أحسن ما يصنعونه من اللعب الى بيوتهم  
للتسلية بها في أثناء وجودهم فيها .

وإذا اتبعت لك فرصة وشاهدت صور بعض منازل قدماء  
المصريين على جدران معابدهم ، لرأيت في داخل بعضها صور لعب  
أطفال على هيئة تماثيل وخنازير وأغنام ورجال وقوارب وتوايت  
وموميات .

وان صنع نماذج للأشخاص أو للأشياء لم يحرمه الاسلام  
تحريما قاطعا ، فقد شاهدت منظراً لصبي يجر كتلة من الصلصال  
ثبت عليها أربعة عصي ، نشرت فوقها قطعة من القماش ، وهو يفسر  
ما تعنيه تلك اللعبة لأخته ، قائلا : هذا هو هودج العروس .  
وكان يوجد غيرها يصنعه الأطفال من لعب لأنفسهم أنواع أخرى  
من اللعب يصنعها الكبار لهم من الخشب من بينها دمي تتحرك ، يد  
أن تلك اللعب لم تكن تثير اهتمام الأطفال كذلك التي يصنعونها  
بأيديهم !

وكان الأطفال المصريون يلعبون بالدواة (١) وبكرات الجلد

---

(١) يقصد ما يسمى المارة بالنحلة .

المحشوة ، وبكرات من الخشب \* وأخرى من الجوارب القديمة  
المحشوة \*

ولقد كانت تلك اللعب يستخدمها الأطفال المصريون في ألعابهم  
الى عهد قريب \*

وكان الطفل في مصر الفرعونية يبدأ حياته المدرسية في سن  
مبكرة ، كما هو الحال في مصر الآن ! ولا يمكن أن يكون لهذا  
النوع من الحياة المدرسية آنذاك أثر فعال في نشأة التلميذ لأنها لم  
تكن تؤهله الى استيعاب موضوعات دراسية عميقة ، اد كان هذا  
النوع من التعليم مجرد مران رتيب للذاكرة ، كما هو الآن ، دون  
محاولة لفهم المعاني وإدراكها . ولقد كانت بعض المدارس تلحق  
بدواوين الحكومة المختلفة لاعداد طائفة من الموظفين للتفويض  
بالأعمال الحكومية \*

ولقد كان يوكل الى الكهنة القيام بتدريس الموضوعات التي  
تتطلب بحثا عميقا كالكتابة الهيروغليفية والحساب والهندسة والفلسفة  
وعلم الأخلاق \*

وأقدم كتاب من الكتب التي كانت مقررة دراستها في حوزتنا  
الآن هو الجزء الخامس بالتبرؤ من الخطايا والذنوب من كتاب الموتى  
المشهور ، وهو يتألف من فصول ، يشمل كل فصل منها على  
خمسة بنود . وهي طريقة ابتدعها المصريون القدماء لتساعد الذاكرة

على الحفظ عن طريق العدد بالأصابع ، ويبدو أنه يرجع تاريخ تأليفه الى عصر ما قبل الأسرات ، وآية ذلك أنه خال من ذكر أى نبي ، يتعلق بواجبات الأفراد في الأسرة .

ولقد كانت ألواح الفخار أداة استعمالها التلمية المصرى للكتابة على الكتابة ، وما لبث أن استعمل لهذا الغرض تلك الألواح الفخارية بعد طليها بطبقة رقيقة من الجص لمنع تسرب الجير الى مسامها . كما ساعد طلابها على سهولة مسح الكتابة لاستعمالها مرة أخرى ! . والواقع أن جزءا كبير من إنتاج المصريين القدماء الأدبي حفظته لنا تلك الألواح الفخارية التي عثر عليها في بعض مقابرهم .

ولقد ورد في قصة وقعت أحداثها في عصر الأسرة الخامسة أن آية امرأة من نساء الطبقة الراقية تستطيع قراءة الهيروغليفية (١) الخاصة بذلك العصر ، غير أن الكتابة بها لا ينقصها الا « كاتب قدير وعالم جليل » .

ولهذا كان يدرب من كان يريد الكتابة تدريجا دقيقا مضمنا لاحتوائها على مئات الرموز ! وآية ذلك أنه قد عثر علماء الآثار المصرية على كتابات ملأى بالأغلاط وغير واضحة المعنى ! الأمر الذي يدل على أنها صادرة من أشخاص غير محترفين للكتابة ! .

---

(١) تتألف حروف هذه اللغة من حروف اللغة الهيروغليفية بعد اختصارها وحذف بعضها ليسهل على الكتابة استعمالها ، وكانت سالدة بين الكهنة ولذلك اُخترت عليها الاغريق هذا الاسم ومعناه الخط الكهنوتي .

ولقد كان فى استطاعة العداد (١) المصرى فى عصور مصر الأولى أن يحصى السفن القادمة والراحلة وحمولاتها ، ويردون أسماء ما تحمل من بضائع وغيرها ! •

ولقد عثرنا على بعض الرسائل التى يرجع تاريخها الى العصر الرومانى فام بتحريرها الفلاحون تحتوى على أخطاء كثيرة ، كما عثرنا على كتابات فى الموضوعات المختلفة غير الرسمية تحتوى أيضا على أخطاء كثيرة على الرغم من صدورها من شخصيات كبيرة ! •

ومن الغريب أن ابنة كاتب لأحد الأسواق زعمت انها تستطيع الكتابة فى سهولة ويسر ، ذلك على الرغم من أن ابها وغيره من الكتاب المحترفين لم يكونوا معصومين من الأخطاء فى عمليات الاحصاء التى كانوا مكلفين بها ، كما كانوا يخطئون أحيانا فى العمليات الحسابية من جمع وطرح ! •

ولقد كان أطفال الطبقات الراقية يذهبون الى مدرسة الحضامة التى كانت ملحقة بالقصر الملكى ، حيث كانوا يختلطون فيها بأبناء سيدات القصر وبالرهبان من أبناء أمراء سوريا ! •

وكان يشرف على تربيتهم هيئة كبيرة العدد من الوصيفات والاتباع ، وقد خصص للكبار من هؤلاء الأطفال معلمون كان يطلق

---

(١) الذى يقوم بعملية التعداد بجميع أنواعه من احصاء للسكان ، واحصاء حمولة السفن القادمة والراحلة : والمعاصيل المختلفة .



عليهم • الآباء المربون • الدين كان لهم حق الاشراف على تعليمهم وتنشئتهم • وقد سجلت لأولئك المعلمين فى مقابرهم رسوم وقد جلس على ركبتي كل منهم أحد الأمراء الصغار ! ولقد كانوا يمتازون بالقدره العلميه الممتازه ، ولم يكونوا دائما من ذوى الحسب الرفيع ! • ولقد كان سموت ذا مكانة رفيعة فى الدوائر الرسميه ، كما أشرف على تربية الأميرة نمرودع (١) ، ورثه العرش ، على الرغم من عدم ورود ذكر لآبيه وأجداده فى السجلات الرسميه ! •

ولقد كانت تنشئة الابناء فى القصر الملكى موضع فخر واعتزاز من جانب النبلاء ، وقد كانوا بشيرون اليها عند تدوين تاريخ حياتهم ! فيقولون انهم كانوا ممن أشرفوا على تربية أبناء الملك •

ولقد جرى العرف فى عصر الأسرة التاسعة عشرة على أن جميع الأطفال الذين يولدون فى يوم ميلاد ولى العهد لهم الحق فى تنشئتهم معه فى القصر الملكى ! وقد يكون علته هذا أنهم يشاطرونه نفس الطالع ، فيحق لهم أن يشاطروه نفس المصير ! •

وقد عثرنا على أحصاء لهؤلاء الأطفال يبلغون فيه ١٧٠٠ طفل ، ويبدو أن هذا الرقم صحيح ! فإذا علمنا أن نسبة المواليد كانت تبلغ فى مصر القديمة ٦٠ فى الألف كما هو الآن ، وأن ربع هذا العدد

---

(١) ابنة الملكة حاتشيبوت •

(٢) أى فى تاريخ صدور الكتاب ! •

يموت قبل بلوغ سن الالتحاق بالمدارس ، فإنه ينحتم أن يكون عدد سكان مصر آنذاك ١٤ مليوناً \* وهذا يؤكد دقة المصادر التي كان يعتمد عليها المؤرخ المشهور ديودورس \*

وان السيل الذي كان يسلكه أى موظف مصرى منذ ولادته حتى يوافيه أجله يتمثل خير تمثيل فى تاريخ حياة باكن خنسو (Bakenkhonsu) فقد ولد قبيل عام ١٣٢٠ ق م وبعد أن سلخ أربع سنوات من عمره فى دور الطفولة ، وأتى عشر سنة فى دور الصبا تقلد منصب أحد كهنة آمون فى سن السادس عشرة ، واستمر متربعا فيه حتى سن العشرين ، ثم تقلد بعد ذلك منصب الأب المقدس لآمون ، لمدة اثنى عشرة سنة ، ثم منصب الكاهن الثالث لآمون من الثانية والثلاثين الى السابعة والأربعين ، ثم منصب الكاهن الثانى لآمون من السابعة والأربعين الى التاسعة والخمسين ، ثم منصب الكاهن الأكبر لآمون من التاسعة والخمسين الى السادسة والثمانين ، وكان تقلده هذا المنصب الأخير فى عهد رمسيس الثانى ، ولقد ظل يشغل ذلك المنصب الى عهد رمسيس الثالث ، الذى تولى عرش مصر فى (١) سنة ١٢٠٢ ق م \* وعلى ذلك يكون هذا الموظف قد عاش ١١٨ سنة على الأقل أى من سنة ١٣٢٠ ق م الى سنة ١٢٠٢ ق م \*

---

(١) لأنه ولد قبل عام ١٢٢٠ ق م ، وعاد يكون مولده قبل ذلك بضع سنين ، كما أنه حضر عهد رمسيس الثالث ولقد يكون قد عاش فى ذلك العهد بضع سنين أخرى \*

هذا ولم يتدهور التعليم في مصر في العهد الفارسي ، اذ أنه يؤثر أن دارا ملك الفرس أمر باعداد كافة الأدوات والآلات والأجهزة اللازمة لتدريب الشبان المصريين على شئون الطب والجراحة .

أما في العهد الاغريقي فقد كان نظام التعليم يقضى بتنقل طالبي العلم المصريين من مختلف المدن لزيارة مشاهير العلماء لتلقي العلم على أيديهم ، ولكنه لم يلبث أن انهيار بسبب الحروب والاضطرابات التي حدثت بين الدول التي قامت عقب موت الاسكندر وانقسام امبراطوريته .

ولقد عانت مدينة الاسكندرية التي كانت عاصمة مصر آنذاك بسبب كثرة المدايع وأوامر النفي والتشريد التي حدثت في عهده بطليموس البطيخ حوالي سنة ١٤٠ ق.م وقد ترقب على ذلك انفراط عقد مدرسة الفكر العظيمة التي كانت قد ازدهرت في مدينسة الاسكندرية ، فلاذ أساتذتها وعلمائها بالفرار الى مدن اليونان وجزرها ! وهناك أسسوا نهضة علمية جديدة في مناطق كان يسودها التخلف الفكري في عهد حكم الرومان لها ! .

ان استعمال سكان أقطار البحر المتوسط للملابس أول مرة

---

(٢) هو بطليموس التاسع ، وقد اطلق عليه الاسكندريون لقب البطيخ من باب التهكم والسخرية لشرامته .

اتقاء للبرد القارس والحر اللافتح لم يعم الا فى العصور الكلاسيكية ،  
أى فى عهدى دولتى الاغريق والرومان ! أى أنهم لم يرتدوها فى  
عصور ما قبل التاريخ ! •

أما فى مصر فقد بدأ استعمال الملابس فى عصور ما قبل التاريخ •  
وقد بدأ الرجل المصرى بالتحاف جلود الماعز ، ثم لم يلبث أن  
شد على وسطه حزاما (٣) • أما المرأة المصرية فقد كان أول رداء  
لبسته ثوبا ذا أهداب ، ومن الغريب أن ذلك الثوب ذى الأهداب  
لا يزال يستعمله بعض نساء بلاد النوبة حتى الآن ! ثم أخذ  
المصريون يرتدون ملابس مصنوعة من أقمشة منسوجة من ألياف  
الكتان ! •

ولقد كانت المرأة المصرية فى عصر ما قبل التاريخ وفى أواخر  
ذلك العصر بخاصة ترتدى أحيانا ازارا مصنوعة من خيوط الكتان  
البيضاء ، وكان ضيقا حتى ليكاد يلتصق بجسمها ، ومتدللا الى ركبتيها •

أما فى عهد الأسرة الأولى فقد كان المصريون يرتدون العباءات  
لوقايتهم من البرد ! وكانت تلك العباءات مبطنه أحيانا ! ولقد كان الملك  
والأمراء والنبلاء يلبسون تحت العباءات صدرات وقمصان قصيرة  
زيادة فى الوقاية من البرد ! أما العمال فقد كانوا يكتفون بقطعة

---

(٣) لقد كان يرتبط بهذا الحزام من الأمام ما يشبه الجعبة أو الكيس لسر  
المودة ، كما تدل رسوم الرجال على لوحة تالمر المشهورة •

من القماش تلف حول الأرداف ويربط طرفاها فوق البطن ! وقد ظل ذلك شأن عمال الزراعة حتى عهد الأسرة الثانية عشرة !  
وفي عهد الأسرة الرابعة ابتكر صنع الثنيات (١) في أثواب الطبقة الراقية آ لتساعدهم على التحرك في سهولة ويسر ! ثم تطور شكل الرداء منذ ذلك العصر حتى عصر الأسرة التاسعة عشرة ، حتى أصبح يثبت بحمالة ترتكز على الكتفين أو يعتد من الخلف فوق الظهر ، ثم يثبت الى الصدر بحمالتين ترتكز على الكتفين . وقد استعملت الحمالات المتقاطعة في بعض الملابس التي كان يرتديها المصريون في عصر الأسرة الثانية عشرة وما بعدها ! بيد أن تصوير ذلك الزي المبتدع على جدران المقابر وعلى الآثار القديمة الأخرى لم يساير ذلك التطور الكبير الذي حدث في حياكة الملابس وتفصيلها . وما جاء عصر الأسرة الخامسة حتى بدأت النسوة يرتدين فساتين ضيقة جدا ، وطويلة بحيث تصل الى الكعفين ، ولها أكمام ضيقة ولها فتحتان عند العنق ، واحدة من الأمام والأخرى من الخلف ، تسهلان لهن ارتداده ، وكان لكل من هاتين الفتحتين شريط يستعمل في ضم حرقها عند الحاجة !

ولقد كان المصريون منذ العصور الأولى وبخاصة الذين كانوا

---

(١) يخالف أرمات ذلك إذ يقول في كتابه مصر والحياة المصرية ص ٢١٦ إن التجديد الذي أدخل على الرداء في الأسرة الرابعة هو زيادة طوله واتساعه ، أما الثنيات فلم تصنع إلا في أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة .

يزاولون حرقاً يتعرضون في أداؤها لرطوبة الماء وبرد الهواء ، كانوا يلفون أجسامهم برداء يقيهم منها ! بيد أن هذا الرداء كان قصيراً الى درجة أن أطرافه السفلى لا تصل الى الأرداف ، وكان لذلك يقصد به وقاية الجسم من البرد لاستره .

ولقد أدخلت في المصور التالية زيادات وتغييرات في الملابس جريا وراء ستر الأجسام وحجب المظهر ! ولقد كان الزي الرسمي للموظفين يختلف جد الاختلاف عن ملابسهم العادية . وكان الوزراء يرتدون دثاراً سميكاً طويلاً ، يتدلى الى الكمين .

وكان من عادة المصريين منذ عصور ما قبل التاريخ أن يحلقوا شعر رموسهم ويضعون شعوراً مستعارة عند تعرضهم لحرارة الشمس .

ومهما يكن متشأ هذه العادة ، فقد استمر اتباعهم لها في أثناء عصور تاريخهم الطويل . ولعل سبب ذلك حرصهم على نظافة رموسهم !

وكانت النساء المصريات يقصرن شعور رموسهن ويضعن فوقها شعراً مستعاراً (١) . ولقد كانت الفتيات والسيدات المصريات وفي عهدى الاسرتين الثانية عشرة والثامنة عشرة بخاصة ، يصفقن شعور رموسهن ويصنعن منها ثلاث جدائل اثنتان يتدليان من الأمام ، وواحدة تتدلى من الخلف ، وفي حالات نادرة كان يحلق شعر الرأس الأمامى للخدمات ولا يترك منه الا خصلة واحدة على قمة الرأس !

## القصل الخامس

---

موارد البلاد المختلفة  
وتجارقتها الخارجية

---

## موارد البلاد المختلفة وتجاريتها الخارجية

نكتب في هذا الفصل عن الموارد الطبيعية للغذاء والكساء في مصر الفرعونية ، أي عن منتجات أرضها ووسائل توزيعها فنقول :

لقد كانت فصول السنة في مصر القديمة أساسا لتنظيم أعمال سكانها ، ولا تقتصر أثر هذه الظاهرة الطبيعية على شئون الزراعة فحسب ولكنها كانت تشمل المظاهر المختلفة للنشاط البشري \* ويرجع ذلك الى أنه كان يوجد آنذاك فترة جفاف شديد وجذب يشمل البلاد من أقصاها الى أقصاها ، تتبعها فترة بفيض فيها ماء النيل ، يعقبها نماء ومحصول وفير \* ولقد عرف المصري القديم من تجاربه الطويلة المواعيد الآتية :

وهي أن مياه النيل تنخفض الى أدنى مستوى لها في شهر يونيه ،



ثم تأخذ في الارتفاع في مستهل شهر يوليه ، وتستمر في الزيادة خلال هذا الشهر ، ثم تبلغ مداها في الثالث والعشرين من شهر أغسطس فيحتفل المصريون بوقاء النيل ، ويقومون بفتح التسرع والقنوات لرى أراضيهم ، وقد يستمر مستوى الفيضان عاليا الى أواخر شهر أكتوبر ، ثم يأخذ مستوى مياه النيل في الانخفاض حتى لا يبقى على سطح الأراضي الزراعية قطرة ماء .

ويترك ماء الفيضان وراءه بعد انسلاخه عن الأرض طبقة من الغرين المخصب عليها ، وعندما تأخذ تلك الأراضي في الجفاف وتحمل ثقل الانسان ، يخرج كل فلاح الى أرضه ، ويذر فيها الحب ، وينطيه بألة ابتدعها يطلق عليها أهل الصعيد الآن اسم اللوح ، ولا يمضي أكثر من اسبوعين حتى يأخذ الثبت الصغير في الظهور ، وتبدو الأرض مخضرة الجنبات ، وكانت هذه الظاهرة تعتبر تبشير الفصل الأول من فصول السنة ، وهو فصل النماء أو الاثبات (١) .

---

(١) كان المصري يقسم السنة الزراعية لثلاثة أعوام متساوية ، تقابل ثلاث مراحل مختلفة في زراعة الأرض ، فالفصل الأول الأشهر : دس يندس من أواسط أكتوبر الى أول فبراير ، فيه تانت بعد الحبوب في الأرض بعد انسلاخ ماء الفيضان عنها وكان يسمى (برت) أي الخروج أي ظهور الأرض من تحت ماء الفيضان ، والفصل الثاني من أول فبراير الى يوليه وهو فصل الحصاد وكان يسميه المصريون «شمو» أي انسلاخ الماء عن الأرض ، والفصل الثالث فصل الفيضان وكان يسمى «أخت» من منتصف يونيو الى منتصف أكتوبر . وكان كل فصل أربعة شهور ، وكل شهر ثلاثون يوما ، وتتم السنة بإضافة أيام الشو الخمسة ، ولم يكن المصريون يسمون الشهور بأسماء خاصة بل كانوا يطلقون عليها عندما مضوا الى فصلها ، فيقولون الشهر

## وفى أثنائه يخرج الزراع من قراهم بمواشيهم ، وقيمون فى حقولهم

= الأول من فصل الحصاد ، والشهر الثالث من فصل الفيضان وهكذا ، ولم تسم بأسمائها المعروفة لنا الآن إلا فى القرن السادس ، وهى التسميات معيودات مصرية قديمة : فنوت اسم المهود نحوت ، وهو طائر أبو منجل الذى كان يظهر آنذاك فى الحقول ويقضى على الديدان وآفات المرومات الأخرى ، وقد جعله المصريون رمزاً للعلم لما كان يوحى به مظهره فى أثناء بحثه عن الديدان بالتأمل والتفكير ، وبأبه نسبة إلى «أبيه» أى طيبة ، وهاتور نسبة إلى الإله هاتور أو حاتور وكيهك نسبة إلى أحد الأعياد المصرية ، وطوبة بمعنى الحنطة ، وأمشير أو مشير أى عفتت الزواج ، وبرمهاث نسبة إلى الملك أمنمحب الذى آلهه المصريون بعد وفاته ، وبرمودة نسبة إلى إله الحصاد ، وشنس نسبة إلى الإله شنس ، ويؤونه وأصلها « بى آت » أى عيد وادى الملوك الحجرى ، ومازال هذا الشهر يسمى إلى اليوم يؤونه الحجر وأبيب عيد الإله « أبيب » .  
ومسرى ، وأصلها مس - رع أى ولادة الشمس .

أما أيام النسوة الخمسة فكان المصريون يسمونها الخمسة الأيام التى فوق السنة .

هذا ومازال الفلاح المصرى إلى اليوم يستخدم هذه الشهور فى تقويمه الزراعى ويقرن اسم كل شهر منها بما يتعلق منه فى حالة المناخ أو الزراعة أو نوع المحصول كما يلى :

- (١) فوت مات الانتوت (كثرة البلج) .
- (٢) بأبه زرعه يغلب النهاية (لولرة المحصول) .
- (٣) هاتور أبو الذهب المتور (القمح) .
- (٤) كياك صباحك مساءك (دلالة على قصر النهار) .
- (٥) طوبة أبو البرد والرطوبة التى يطفى المجوز كركوبة .
- (٦) مشير يقول للرياح سير (دلالة على شدة العواصف) .
- (٧) برمهاث درج الفيط رهاث (فيه ينضج المحصول) .
- (٨) برمودة دق بالمأمودة (موسم القمح) .
- (٩) شمنس بكنس الفيط كنس (الحصاد) .
- (١٠) يؤونه الحجر (شدة الحر) .
- (١١) أبيب طباخ العنب والزبيب .
- (١٢) مسرى تحرى فيها كل مرة عشرة (بداية الفيضان) .

أَكُواخًا من عيدان البوص ، وبخاصة في حقول البرسيم ، وكانوا  
يربطون ما شيتهم في أثناء النهار بحبال متصلة باوتاد لتأكل من نبات  
البرسيم من غير أن تطلع بأقدامها فتهلكه .

ولقد كان سرادق المصريين في عصر الأسرة الأولى ينقلون بيوتهم  
الخشبية من حافة الهضبة وقيمونها في الوادي وسهل الدلتا ! وكانت  
الثلاث الزراعية من قمح وفول وشعير وحلبة وترمس تنضج في ذلك  
العهد ، كما هو الشأن اليوم في غضون شهر أبريل ثم تحصد ،  
وعندئذ تصبح الأرض قفراء جرداء لا نبات فيها ولا ماء ، ذات تربة  
طينية سوداء صلبة تتخللها شقوق عميقة ! وعند ذلك كان الزراع  
لا يجدون عملا يفهمون به إلاّ رعاية مواشيهم ! ولقد دفع ذلك الفراغ  
بعضهم الى القيام بزراعة مساحات محدودة من الأرض العالية التي  
تخف بالترع والقنوات ، ويرفعون الماء لسقيها بالشواذيف . وفي الوقت  
الذي تبلغ فيه درجة الحرارة في مصر أقصاها ، وينخفض ماء النيل  
الى أقصى حد له ، يبدأ ماؤه في الزيادة فتبدأ تبشير حياة جديدة ،  
ولا يزال الماء يملو حتى يصل الى مستوى الأرض الجسافة ذات  
الشقوق العميقة ، فيغمرها ! وعندئذ يبدأ فصل الفيضان ! وتبدو  
القرى المصرية كما يقول هيرودوت كأنها جزائر بحرايجة ! وكان  
المصريون آنذاك لا يجدون عملا مجديا يقومون به ، فيخلدون  
للكسل . ولقد فكر بعض الفراعنة من ذوى العقول الياجحة ،  
فقدروا ما يصيب العطل رعاياهم من تعود على القعود والكسل ،

فكلفوهم بإقامة تلك المنشآت العظيمة مثل الأهرام والمعابد ، التي تعد بحق من المفخر الخالدة لتلك البلاد (١) .

وان منهاج العمل في مصر القديمة مسجل تسجيلا دقيقا في أوراق من البردى يرجع تاريخها الى العصر الروماني ، ومنها نعلم أن العمل خلال شهرى سبتمبر و اكتوبر كان قاصرا على حراسة الجسور التي كانت تقسم الأراضي الزراعية الى حياض ، لوقايتها من الانهيار بفعل مياه الفيضان ، ويسقى المساحات القليلة من الأراضي الصالحة للزراعة التي لا يصلها ماء الفيضان لارتفاعها وقد سبق الاشارة اليها ! .

وكانت تبذر الحبوب في شهر نوفمبر كما ذكرنا ، وفي أثناء فترة نمو المزروعات المختلفة ، كانت تشذب أشجار الكروم والتخيل وفي شهرى أبريل ومايو ، كانت تحصد المحاصيل ثم تجمع وتدرس

---

(١) لا يرى معظم المؤرخين مابراه بعضهم في بناء الهرم الاكبر المصري للتصديق من جياها المظلمين ، ولا السيطرة ترتفع في ايدي اليونانية القساسة لم تهرى على ظهور العاملين الناصبين ، ولكنهم يرون فيه حكمة المراسى المسائل من رعيته ، البصر بأمورها .. وخلاصة رأيهم أن خوفو .. رأى الملاحين لا يشتغلون في الأرض الا أياما معدودات في أثناء بذر الحب وحرث الأرض وفي أيام الحصاد وجمع المحصول ، ويفعلون فيما بين ذلك في دورهم يتخادون يعملون شيئا محديا ، رأى الملك الحكيم ذلك انقراع التطويل فاشبعى عليهم أن يعودوا للعمل ، ويتاحل منهم الخمول ، فامر حكام الافنديم أن يختاروا من سكانها من يصلحون للاضطلاع باعباء اقامة ذلك البناء الضخم المشمشر ، على أن يؤجروا على عملهم ، ويقدم لهم الغذاء (مصر الخالدة للمؤلف الاول من ص ٢١ - ٢٢) .

ثم تحمل الغلال المستخلصة الى المخازن المعدة لها .

ولقد كانت مناسيب مياه الفيضان تختلف في جهات الوادي المختلفة ! وفي ذلك يقول بلوتارك \* كانت مياه الفيضان عند مفاوز جزيرة الفنتين تصل الى ٢٨ ذراعا ( ٤٨ قدما ) على حين أنها كانت أمام منف نصل الى ١٤ ذراعا فقط ( ٢٤ قدما ) كما كانت تصل قبل مصب أحد فراع النيل في البحر المتوسط بقليل نحو ٦ أذرع فقط ( ١٠ أقدام ) .

كما يقول المؤرخ بليني \* ان الفيضان اذا بلغ عند منف ١٢ ذراعا فقط حدث جذب مروع ، أما اذا بلغ ١٣ ذراعا أمنت البلاد شر الجذب ، واذا بلغ ١٤ ذراعا ، كان الفيضان متوسطا واذا بلغ ١٥ ذراعا كفى متطلبات الزراعة ، فإذا ما بلغ ١٦ ذراعا كان بهجة للنفوس .

وقد حدث أعلى فيضان في التاريخ في عهد الامبراطور كلوديوس ( ١ ) ، اذ بلغ ١٨ ذراعا . أما أقل فيضان سجله التاريخ فقد حدث في عام ٤٨ ق.م اذ بلغ ٥ أذرع فقط ! وقد ذكر استرابون أن مياه فيضان النيل انخفضت انخفاضاً شديداً عام ٤٠ ق.م ، ولكنه لم يذكر مقدارها ! .

ولتقدير ارتفاع مياه فيضان النيل أقيمت مقاييس في أماكن

---

(١) حوالي عام ٢٦٩ م .

عدة ، أشسهرها فى جزيرة الفنتين وطيه ومف • ويرجح بعض المؤرخين أن هذه المقاييس أقيمت فى أوائل عصر الاسرة الاولى ، كما يدل على ذلك تسجيلات ارتفاعات مياه الفيضان فى حوليات الملوك (١) وهذه الارتفاعات مسجلة بدقة تصل الى ١٦/١ من البوصة ، ولا بد أنها كانت ترصد فى أماكن فيها المياه ساكنة لا يهيجها تيار ، ويبدو أن فيضان النيل فى ذلك الزمن الغابر كان أقل تذبذباً بدليل أنه لم يتجاوز الفرق بين النهايات الصغرى والنهايات الكبرى فى مدى ٤٩ سنة سبعة أذرع على حين وصل ذلك الفرق فى العصر الرومانى ثلاثة عشر ذراعاً ، كما لم يبلغ متوسط الاختلاف عن المعدل السنوى أكثر من ذراع واحد وكف واحد أى قدمين اثنتين • ولعل سبب ذلك كان يرجع الى أن النيل كان فى ذلك العصر ينصرف الى مياه الأمطار التى كانت تسقط فى مساحات أوسع من المساحات التى تنصرف مياهها الى الآن بما فيها البحيرات الاستوائية ، كما أن وسائل الرى الصناعى آنذاك كانت بسيطة ، ولعل أبسطها كان الشادوف (٢) وطمبور ارشيميدس ، أما الساقية التى لا يزال الفلاحون

(١) وجدت هذه التسجيلات منقوشة على الأثر العروف بحجر يلرمو •  
 (٢) يرى بعض العلماء أن المصريين عرفوا الشادوف فى عصور ما قبل عصر الاسرة الاولى ، ولقد نقل كوبيل  
 (Quibell and Green : Herakopolis 1902, p. II, pl. 74-75).  
 رسم الشادوف كان منحوتاً على جدران مقبرة هيراكبوليس بالقرب من ادفو ،  
 ترجع الى ذلك العصر الغابر •

فى مصر يستخدمونها بكثرة فى رى أراضيمها فأنها لم تستخدم قبل  
العصر الرومانى •

وفىما يلى أهم أنواع المحاصيل فى مصر القديمة وطرق زراعة  
كل منها

الحنطة ( القمح ) لقد كان حبها يذر كما هو الحال فى الوقت  
الحاضر وتغطى بواسطة ما يسميه الفلاحون « اللوح » اذا كانت التربة  
لائزال لينه ، أما اذا كانت جافة وصلبة تتحمل وطء الثيران استخدموا  
المحراث أو المزاقة فى تنطيته (١) •

وعندما تنضج الحنطة كان الفلاحون يستخدمون المنجل فى  
حصدها ، ويجمعون سوقها ، ويدرسونها (٢) ثم يستخلصون حبوب  
القمح ، ويعبئونها فى أكياس ، يحملونها الى بيوتهم أو الى الاسواق  
ليبيعها وكانت سيقان الحنطة بعد درسها غذاء للماشية •

ولقد كانت العادة فى مصر الفرعونى أن يترك الزراع نصف  
محصولهم من القمح فى سنبله ، ثم يربطونه حزمًا ، ثم يحفظ فى  
مخازن خاصة •

وكانت مخازن الحنطة نوعين :

- 
- (١) لائزال يستخدمها الزراع حتى وقتنا هذا وهى شبيهة بالفاىس •  
(٢) كانوا فى العصور القليلة يستخدمون الثيران والحمار فى وطء السنايل  
لتخليص الحب منها ثم لم يلبثوا أن ابتدعوا التورج المستعملة الآن فى ذلك •

١ - حظائر مخروطية الشكل مبنية بالطوب ، وكانت تستخدم لحزن السنابل .

٢ - حجلات سقفوها على هيئة قباب ، وكانت تستخدم لحزن الحبوب .

ولقد كانت تلك المخازن تغطي أرضها بطبقة سميكة من فتات الحجر الجيري منعاً من تسرب الفئران إليها .

وأهم الحبوب التي كانت تزرع في مصر الفرعونية القمح والشعير والذرة (١) .

---

(١) لا ريب أن المؤلف يقصد الذرة الرفيعة التي يسميها الفلاحون المويجة Millet التي كانت معروفة في العالم القديم ، لأن الذرة الشامية corn المنتشرة الآن في أرجاء العالم المختلفة لم تعرف إلا بعد اكتشاف أمريكا ، إذ لم تكن تسو إلا فيها ومنها نقلت إلى أقطار العالم المختلفة ، كما أن الذرة الرفيعة نقلت إلى مصر من أواسط أفريقية ، وكانت أكثر ما تزرع في أراضي الحياض بالوجه القبلي . وهي بومان :

(أ) صبيحة وتسمى القبيض ، وتبدأ زراعتها من منتصف مارس .  
(ب) تبيلة ويمتد بدأ زراعتها من يولييه إلى أغسطس تبعاً لموعد التصريح بطقى الشرافى ولا تزال مسألة زراعة الذرة المويجة في مصر موضع جدال بين العلماء فبعضهم يجزم بأن المصريين القدماء مارسوا زراعتها ومنهم منسيرو لا يقول أن المصريين القدماء زرعوها وكانوا يطلقون عليها اسم دبرانى أو دورانى ويستشهد على ذلك بيردية يرجع تاريخها إلى عهد الأسره الثامنة عشرة (Maspero : Histoire de Peuples, Vol. I, p. 66) ويؤيد رأيه هذا ويلكنسون Wilkenson : Manners and Customs, Vol. II, p. 27. ويجزم فريق آخر منهم أن الذرة كانت تزرع في مصر القديمة وكان المصريون القدماء يسمونها «فات» أو «بوت» (انظر قواعد اللغة المصرية القبطية لجورج صبيح ص ٩٣) .



وفي عهد الأسراب الأولى كان القمح يجفف بوضعه في أون كبيرة ثم تدلى في حفر عميقة ، بحيث تتركز على قضبان من الفخار ، وتوقد حولها النار . وكان الغرض من تجفيفه حفظه من السوس .

الكروم : لقد كانت كروم العنب تزرع في مصر في العصور القديمة ، ولقد ظهرت معاصر العنب على الآثار التي ترجع إلى منتصف عهد الأسرة الأولى ، على أن إحدى الأساطير المصرية القديمة تدل على أن أوزيرس كان أول من ابتدع زراعة كروم العنب ، وأنه أول من صنع منه النبيذ ، الأمر الذي يدل على أن زراعة الكروم عرفت في مصر القديمة قبل عهد الأسرة الأولى بآلاف السنين وكانت الكروم في عصر الدولة القديمة تعتمد على عرائش ! أما في عصر الدولة الحديثة فقد كانت تزرع في وسط حدائق قصور الأمراء والعظماء على هيئة خمائل يستظلون بها في أشهر الصيف من وهمج الشمس ! ولقد أوحى ذلك بطراز من طرز البناء حاكاه المهندس الذي اضطلع ببناء بهو الأعمدة العظيم في تل العمارنة ، والذي بالغ في المحاكاه فطلى سقفه بالجص وزينه برسم شجرة من أشجار العنب !

---

ولا يذكر ارمان في كتابه عن مصر . والحياة المصرية في العصور القديمة . ترجمة الدكتور عبد المصم أبو بكر والاستاذ محرم كمال ، شيئا عن زراعة اللوز في مصر . ويرى أن كلمة يوت التي يؤكد بعض العلماء أنها الاسم المصري للورد ، كانت يطلق على نوع من البشوفان (انظر ص ٥٠٣ من كتابه المذكور) وبؤيده المؤرخ الألماني شفيثورت ولكنه يذهب إلى أن كلمة يوت كانت تطلق في مصر القديمة على نوع من الشعير ، على حد قول الدكتور سليم حسن أن زراعة اللوز في عصر الدولة القديمة لم يتم عليها دليل قاطع (مصر القديمة ج ٢ ص ٨٠) .

وكان العنب يجمع في سلال ويحمل الى المعاصر لاستخراج النبيذ منه ! وكان النبيذ المستخرج من العنب أنواعا ، كان يطلق عليها أسماء مختلفة ، منها نبيذ بوتو ، ونبيذ استا ونبيذ مخفف ، ونبيذ أبيض . ولقد كان لنبيذ الدلتا في عصر الاغريق شهرة واسعة ، ونبيذ مريوط بخاصة ! وكانت كروم العنب آنذاك تزرع بكثرة في القيوم وفي الواحات .

وكانت الخضروات تسزرع في معظم جهات مصر المختلفة ، وأهمها الفول والعدس والبازلاء ، وعندما كانت مياه الفيضان تأخذ في الانحسار عن الأراضي التي كانت تحف بالوادي ، يسارع أصحابها الى زرعها بالبصل والكرات والثوم والخيار والقثاء بأنواعها المختلفة ! كما كان نبات القلقاس ينمو في المنافع والمستنقعات ! وكانت ثماره عندما تنضج تجمع وتقع في الماء عندما كان يراد طهيها ! ويبدو أن العلة في نفعها الرغبة في التخلص من بعض عناصرها التي كانوا يعتقدون أنها ضارة بالإنسان ! وكانت تزرع بعض النباتات لاستخراج الزيت منها ، وأهمها القرطم والسمن والحس والسلجم (١) والكتان فوق استخراج الزيت من بذوره كانوا يصنعون منه المنسوجات الكتانية التي يتخذون منها ملابسهم المختلفة . ولقد كان يزرع في العهد الروماني أربعة أصناف من الكتان ! فكان الصنف الأول يزرع

---

(١) السلجم نبات من فصيلة الكرنب .

فى تانيس (١) والثانى فى بلوزيوم (٢) والثالث فى بوتو والرابع فى  
دندره (٣) .

أما القطن فقد كانت مساحة الأرض التى كان يزرع فيها فى  
العهد الرمانى قليلة جدا ، ولم يكثر زراعته واستخدام محصوله فى  
صنع المنسوجات القطنية الا فى العصر الاسلامى ! .

أما أشجار الفاكهة فيبدو أن أول ما زرع منها فى مصر كان  
تخيل الدوم والجوز والخروب ، أما نخيل البلع فقد استورد حبه  
من العراق ، ثم زرع فى بعض جهات مصر وفى بلاد الصعيد بخاصة !  
ولم يكن واسع الانتشار ! أما أشجار الرمان فقد كانت مساحاتها قليلة  
فى بادىء أمر زراعتها فى مصر (٤) وأكثر بقاع مصر زراعة للتين

---

(١) تانيس هى مدينة صالحجر الحالية ، وكانت العاصمة الثانية فى عهد  
الاسرة التاسعة عشرة ، والحاضرة الأولى لمصر فى عهد الاسرة الحادية والعشرين ،  
وهى غير مدينة تنيس التى اشتهرت فى العصر الاسلامى بمشروعاتها والتى لا تزال  
أطلالها باقية فى إحدى الجور الواقعة فى شرقى بحيرة النوبة !

(٢) بلوزيوم هى مدينة الفرما التى اشتهرت فى أثناء الفتح العربى لمصر ،  
وتقع على بعد ٣٠ كيلومتر شرقى بور سعيد ، وكان فرع النيل البلوزى يصب  
عندها ، وبه سميت وكان سبب أزدحامها ، فلما انسدت أسبابها الاشمحلال !

(٣) دندرة بلدة صغيرة الآن وكانت لها شهرة عظيمة فيما مضى لوجود  
معبد الآلهة حتحور بها ، وتقع على الضفة الشرقية للنيل فى مواجهة مدينة كفا ،

(٤) ادخلت زراعة الرمان فى مصر فى عهد الاسرة الثانية عشرة ، إذ ورد  
وصف شجرته ضمن مجموعة الأشجار التى أحضرها الفاتح العظيم تحتفى الثالث  
معه من بلاد الشام ، ورسمت فى عهده على جدران معبد الكرنك .

وفى عهد رمسيس الرابع كثرت زراعتها ، فأصبحت فاكهة محلية شائعة ،  
ويجدر بنا أن نشير إلى أن المصريين القدماء كان يسمون الرمان «رمن» الاسر  
الذى يؤكد أن أصل كلمة رمان مصرى قديم !

كانت ولا تزال هي الواقعة غربى مدينة الاسكندرية ! ويبدو أنه لم يكن واسع الانتشار فى مصر فى عصور تاريخها القديم ، ولعل السبب فى ذلك أن زراعته لم تكن تلائمها مياه الفيضان الغزيرة آنذاك .

وقد ظهرت أشجار النبق فى مصر منذ عصورها الأولى .

ولقد كان أهم ما كان ينمو فى مصر من الأشجار المنتجة للخشب عدا أشجار الجميز الطرفاء والعبل والسند والبرساء !

ولقد كانت الأخشاب المستوردة من الخارج تستخدم فى صنع الأثاث ، وأهمها التى كانت تتخذ من أشجار الصنوبر والأرز التى كانت يؤتى بها من الشام والأبنوس الذى كان يستورد من بلاد النوبة ! .

ولقد كان المصريون يزرعون الأشجار بكثرة حول المعابد ، كما كان الشأن حول الدير البحرى (١) وهرم اللاهون ! .

ولقد كانت النيران فى مصر القديمة نوعين : الزيرو الأفريقى وله قرون طويلة ، والنوع الثانى ذو قرون قصيرة . . ولم يكن النوع الأفريقى ذو القرون الطويلة قوى البنية متينا ، ولذلك فقد تعرض لأوينة كبيرة . فانقرض سنة ١٨٦٣ م .

---

(١) يقع معبد الدير البحرى فى الر الغربى للنيل ازاء القصر ، حيث توجد معابد الملكة حتشبسوت والملك منتوحب (من ملوك الأسرة ١٨) وكانت أشجار البخور تحيط بمعبد الملكة حتشبسوت التى أحضرتها البعثة التى أرسلتها الى بلاد الصومال من علم البلاد .

وكانت هناك سلالة من الأغنام ذات قرون أفقية متلوية ! وكانت  
كثرت انتشارا في عصر الدولة الوسطى ، ولكنها لم تلبث أن انقرضت  
، وكانت في مصر أيضا سلالة أخرى من الأغنام ذات قرون مقوسة ،  
وهو النوع الذي نشاهده في تمثال جوبتر آمون (١) . ولا تزال  
هذه السلالة موجودة في مصر المعاصرة . أما المعزى فقد كانت منتشرة  
في عصور مصر القديمة المختلفة ! .

ولقد كان الخنزير موجودا في مصر في عصورها المختلفة ، ولكن  
المصريون كانوا يعزفون عن اقتنائه فكانت تقوم بتربيته إحدى  
القبائل المنبوذة في حلف الصحراء ، ولعل سبب عزوفهم عن اقتنائه  
أنهم كانوا يعدونه مكرسا للاله ست الشرير . أما الحمام فعلى الرغم  
من أن المصريين كانوا يعتقدون أن الاله ست يتقمصه (٢) فكان

---

(١) اتخذ المصريون من الكباش ذى القرون المقوسة رمزا للاله آمون ، وهذا  
هو السبب في تزيين مداخل معابد الاله آمون بتماثيل على هيئة كباش كما شو  
الحال في معبد الأقصر والكرنك !

(٢) يبدو أن نظرة المصريين للحمام كحيوان اخترت عبادة الاله ست لم تنشأ  
إلا في عصر الدولة الحديثة بعد غزو الهكسوس لمصر ، فقد اتخذ ملوك الهكسوس  
من الاله ست الها حاميا لهم . . وكان الحمام هو الحيوان الذي كان يعتقد آنذاك  
أن الاله ست يتقمصه . فقدسوه وكان بعض ملوكهم يلقون أنفسهم « بعاتين » أى  
الحمام الشجاع وكانت مقابر المنير في عهدهم مقدسة ، وكانت فخامة ميائهم  
يفوق فخامة مياني قبورهم تكريما للحمام واجلالا لقامه . ولعل السبب في كراهية  
المصريين للحمام كان تقمص الاله ست له في اعتقادهم ، وتقديس الهكسوس  
أجدانهم له !

لذلك مكروها ، فإن حاجتهم اليه لحمل أثقالهم حالت دون نبذهم والتقليل من شأنه . ويبدو أنه جىء من ليبيا إذ كان موجودا فيها قبل عصر الأسرة الأولى ! وما لبث أن عم استخدامه فى بقساع مصر المختلفة ، وبخاصة لحمل الزاد والماء اللازمين للبعضات التى كانت تجوب الصحارى المصرية بحثا عن المعادن ! .

أما الجمل فقد كان عدة البدو الذين كانوا يقيمون فى الجهات التى تحف بمصر ، ولقد عم استخدامه فى حمل المحاصيل والبضائع وزاد المسافرين وبخاصة فى عهد الأسرة الأولى والأسرة التاسعة عشرة والأسرة الخامسة والعشرين (١) ! وكذلك فى العهد الرومانى ، وكان يستخدم آنذاك فى حمل جرار الماء الضخمة ، أما فى العهد الاسلامى فقد أصبح الوسيلة الرئيسية لحمل السلع والبضائع المختلفة والثقيلة منها بخاصة (٢) .

ولم يكن للخيول وجود فى مصر قبل الأسرة الثامنة عشرة ، وقد استخدمت آنذاك فى جبر العربات الخربية ، ويبدو أنها كانت وسيلة الجسم غير صالحة للركوب عندما جىء بها أول مرة ، ولكن

---

(١) أقدم تىكال للجمل هو تىكال صغير من الفخار يرجع تاريخه الى عصور ما قبل الاسرات ( عصر نقادة ) لم يثر على تىكال صغير له يرجع الى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، غير أن أقدم ذكر للجمل ورد فى بردية الستاس التى ترجع الى عهد الأسرة التاسعة عشرة .

(٢) يزعم المؤلف أن الجمل قد أعت على ما كان يشبه فى الصحارى المصرية من نباتات وأشجار .

سرعان ما ظهرت في مصر وليبيا سلالة منها قوية البنية ، مينة ، ذات صفات ممتازة وذلك عندما عني بها وأحسن تغذيتها في المراعى الحصية الغنية بنباتاتها . ويبدو أن موطن الخيل الأول كان في أواسط آسيا ، وقد جاء بها منها الآريون الذين غزوا بلاد الهند وبابل (١) ، ولعلهم كانوا السبب في هجرة الهكسوس من بلادهم وحملهم على دخول مصر .

ولم يستخدم المصريون الخيول في جر المحراث ، فقد كانت تلك المهمة يؤديها الثيران في العصور القديمة ، ولا تزال تؤديها حتى اليوم (٢) .

كانت في مصر القديمة ولا تزال حتى اليوم ، سلالات كثيرة من الكلاب ، مما يدل على أنه جرى بها من يثاات جغرافية مختلفة اختلافا بنا في طرق المعيشة ! وكان النوع ذو الحجم الكبير يستخدم في الصيد والقنص ، كما كان النوع المتوسط الحجم منبوذا يعيش على فضلات الطعام أما السلالات الصغيرة فكانت يحتفظ بها في المنازل ليأتمس بها أصحابها ويدللوها ! .

ولم تكن القطط (٣) موجودة في مصر قبل عهد الأسرة الثانية

---

(١) وكان يطلق عليهم المؤرخون الكاسيين 'Kassites'

(٢) يقول المؤلف : أن هذه المهمة يقوم بها اليوم الجاموس والجمال والحمير في سائر نادرة .

(٣) كان يوجد في ذلك العصر القديم نوعان من القطط : القط النمر .. أى الشبيه بالنمر في هيئته .. والقط الهند .

عشرة ، فقد عثر على صورة لقط نحيل طويل العنق على آثار يرجع تاريخها الى عهد تلك الأسرة ، ولم يلبث القبط أن قدسه سكان سينا اعتقادا منهم أن الالهة حانحور تنقصه ، وذلك في عهد الأسرة الثامنة عشرة •

ولقد كان من نتائج طول فترة الفيضان الذي كان يغطي الحقول شهرين وبعض الشهور أن اضطر المصريون الى خزن الطعام اللازم لمواشيهم وطيورهم الأليفة ، فكانوا يقدمون لها الطعام بأيديهم ، حتى التماسيح كانوا يقدمون لها الطعام أيضا بأيديهم باعتبارها من الحيوانات المقدسة (١) •

ولقد كان التفريخ الصناعي للبيض من مبتدعات المصريين ، وكان غير معروف في الأقطار الأخرى ، ولقد كان المصريون يمدون للفراخ حظائر مصنوعة من الفخار ذات أبواب لوقايتها من غائلة البرد ومن الثعالب ليلا !

ولقد كان السمك الذي يصيده الصيادون المحترفون من النيل

---

(١) بروي استرابون كيف كان الكهنة المصريون في الغيوم يقدمون الطعام للتماسيح المقدسة .. وكان أحدها يربى وحده في بحيرة ، وكان يألف الكهنة ويأنس اليهم ، وكان الناس يذهبون الى تلك البحيرة لمشاهدته وليقدموا له اللحم والنبيذ ، وقد ذهب معنا مضيقتنا الى البحيرة حاملا معه كمكة ولحمسا مشويا وإبريقا مملوا بالنبيذ المحلى بالعسل ، فوجدناه مستلقيا على حافة البحيرة ، ولما جاءه الكهنة فتح أحدهم فاه ، ودس آخر فيه الكمكة وسكب فيه النبيذ ، ( وهيب كامل : استرابون في مصر لقرة ٢٨ ) •



ومن البحرين الأبيض والأحمر يسهم بقدر كبير في طعام المصريين القدماء ، والطبقات الفقيرة منهم بخاصة ، وأقدم منظر للسماك على الأنار المصرية الباقية ، ويرجع تاريخه الى أواخر عهد الأسرة الثالثة ، ترى فيه رجلا يشق جسم سمكة من الخلف ، بعد أن قطع رأسها وذيلها ورمى بهما . وفي أحد الأحفال في يوم العيد الكبير في عهد الأسرة العشرين (١) قدم فيه ست آلاف سمكة لنحو عشرة آلاف شخص ، غير الذين كانوا يفدون كل يوم من أيام العيد الأخرى ، عدتهم ألف شخص ! وإن تقديم ذلك العدد الكبير من السمك في أيام عدة يؤكد لنا أن السمك الذي كان يقدم يحفظ في أحواض كبيرة من الماء بعد صيده ! ولقد كان وزن السمك الذي يؤكل يوم ذلك العيد يساوي ما كان يؤكل في أثنائه من لحوم الحيوان والطيور . ومن الغريب أن أكل السمك كان محرما على رجال الدين لسبب لا نعلمه . ولقد كان النوبيون يعتقدون أيضا بعدم طهارة السمك ، ويحرمون أكله ، ولذلك منع أمراء الدلتا في عهد بعنخي من دخول قصره للمثول بين يديه لا لثى ، الا أنهم يأكلون السمك ! ولم يسمح الا بدخول أحدهم بعد أن تأكد بعنخي أنه لا يأكل السمك ! .

---

(١) لقد كثرت الاحفال في عهد الملك رمسيس الثالث أحد ملوك الأسرة العشرين ! فالى جانب الاحتفالات الكثيرة بانتصاراته الكثيرة على أعدائه والتي كان يستمر الاحتفال بكل منها عشرين يوما ، كما كان عيد تنويجه عشرين يوما على حين كان عيد تنويج أسبلاته يوما واحدا كما كان عيد الاله آمون في عهده يستمر نحو سبعة وعشرين يوما ، ونتيجة لهذه الأعياد أصبحت أيام المظلات الرسمية في عهد ذلك الملك تكاد تساوي أيام العمل .

ولقد كانت صناعة الجلود من أولى الصناعات التي ابتدعتها  
المصريون وبرعوا فيها ! ولقد كانت جلود الماعز تستخدم أحيانا في  
تكفين الموتى بدلا من المنسوجات ! ولقد كانت تلك عادة أهل الوهر  
( البدو ) في فلسطين الى عهد الأسرة الثامنة عشرة ! \*

ولقد كان أهم الأسباب التي دعت سنوحى الى الصودة الى  
مصر ( ١ ) خوفا من أنه اذا مات في منفاه لف جثمانه قبل دفنه في  
جلد الماعز الذي كان يكفن به آنذاك الفلسطينيون آنذاك ! \*

ولقد كان صنع قرب الماء والفرائر من الجلود من الصناعات  
الهامة ، ولقد تمكن المصريون من اعداد الجلد اعدادا يسهل طيه ولفه  
ثم حفظه بحيث لا يشغل حيزا كبيرا . \*

ولقد كان المصريون في عصور ما قبل التاريخ يستعملون مدى  
من النحاس في صنع الجلود ، وكانت قصيرة وعريضة مستديرة  
الطرف ، حتى لا يتعرض الجلد للتمزيق عندما كان يسلخ بها . \*

وان قرب الماء التي كانت تظهر في الكتابة الهيروغليفية في  
الأسرة الخامسة ، تشبه القرب التي ظل المصريون يستعملونها في حمل  
الماء حتى عهد قريب . \*

---

( ١ ) كان سنوحى قد فر من مصر خوفا من الملك ستوسرت الأول الى  
فلسطين ، وبعد أن قضى بضع سنين فيها هاوده الشوق والحنين الى وطنه  
الجزير ، لأرسل يستطف الملك ، فعفى عنه الملك ورد عليه مرحبا بعودته الى  
مصر ، وعيينا موايا تلك العودة ، ومن بينها أنه عندما يموت سيدفن في مقبرة  
بعد أن يوضع جثمانه في تابوت لا في جلد معزى ، كما كانت عادة بدو فلسطين  
آنذاك . \*

ولقد كان المصريون يدبغون الجلود ويصنعون منها نعالا خفيفة ،  
وأغذية للمقاعد ، كما كانوا يستعملونها كمادة من المواد التي تستخدم  
في صناعة العربات الخربية والدروع ، وفي أغراض أخرى عديدة .  
وكانوا يصنعون منها حبالا بأن تقطع الى أشرطة رفيعة جدا ، ثم  
تجدل فتصبح حبالا متينة . على أن أجعل تلك الصناعة كانت الجلود  
المخرمة التي تشبه الشباك ، وقد كان بعضها ذا أشكال منتظمة جميلة !  
ولذلك كانت تغطي بها المقاعد والأرائك ! ولقد كانت الفواصل بين  
ثقبها دقيقة الى أبعد حدود التصور ! ولقد كانت تلك الجلود المخرمة  
تلبس فوق الملابس الثيلية لوقايتها وزيادة دفتها ! .

ولقد كانت المصنوعات الجلدية التي تستعملها الطبقات العاملة  
الكادحة أشد صلابة وأكثر منانة من التي يلبسها الاثرياء والمترفون ،  
ولقد كان جزؤها الأوسط يترك بدون ثقب ليطول عمرها .

\*\*\*

وتعتبر صناعة السلال أقدم من صناعة الفخار ، إذ أن الرسوم  
التي وجدت على مخلفات الفخار من عصور ما قبل التاريخ كان بعضها  
على هيئة سلال ! وهذا يدل على أن صناعة الفخار قد يكون منشأها  
طلاء إحدى السلال بطبقة من الصلصال لوقايتها من الماء أو النار ! ولم  
يلبثوا أن استبدلوا أواني الفخار بالسلال ! ولقد كانت السلال في  
مبدأ نشأتها في منتصف العصر الأول لما قبل التاريخ تصنع ولها أغذية  
مخروطة الشكل تركز على حوافها البارزة ! ولقد كان الفخار في

أول نشأته يصنع على غرارها ! ولقد ظل هذا الطراز متبعاً حتى عهد الأسرة الثامنة عشرة ولا يزال متبعاً حتى الآن في بلاد النوبة .

وفي عهد الأسرة الأولى كانت تصنع السلال كبيرة مرنة ، ثم استبدل بها سلال صلبة لحفظ المحاصيل الزراعية ! وظلت كذلك حتى العهد الروماني ، وكانت تستعمل آنذاك لحفظ الفاكهة أو ثقلها ، وكانت السلال تصنع من سعف النخيل ، وهي لا تكاد تختلف عن تلك التي يستعملها الفلاحون المصريون في الوقت الحاضر .

وكانت بعض الأوعية والأواني تصنع من لحاء نبات البردى الداكن لحفظ المأكولات المختلفة ! ولقد كانت جوانبها تقوى بميدان « البوص » أو القاب .

وكان يصنع من تلك المواد نفسها مقاعد كبيرة مزودة بقوائم من خشب لتصبح ثابتة متينة .

ولقد ابتدع المصريون القدماء صنع الحصر منذ أوائل عصر ما قبل التاريخ ، وكانوا يفرشون بها أرض غرف بيوتهم ولم يلبثوا أن صنعوا نوعاً منها مزخرفاً ، وكانوا يفرشون به السرر في عهد الأسرة الأولى . ثم لم يلبثوا أن زينو بهذا النوع المزخرف الحيطان الداخلية ! ولقد كانت صناعة الحصر بنوعها تشبه إلى حد كبير صناعتها في العصر الحاضر .

ولقد ابتدع المصريون صنع المكاس والمراوح والفراجين ، واستخدموها منذ العصور الأولى وكانت تصنع المكاس والمراوح

من القاب بعد شقة • وكانوا يستخدمون المراوح للنهوية ولأذكار النار عند طهو الطعام في عهد الأسرة السادسة ! أما الفراجين فقد صنعوها من سيقان القاب واستعملوها في الرسم !•

ولقد كانوا يصنعون من نبات البردى غرقا صغيرة خفيفة على ظهور السفن ! وكانت زخارف « الحكر » التي كانوا يزينون بها جدران تلك الغرف على هيئة الأطراف العلوية لنبات البردى ، وكانوا يزينون بالحكر أيضا الحوائص الجانبية للحصن التي تزدان بها جدران الغرف في المنازل ، كما استعملت رسوم الحكر أيضا في تزيين الأجزاء العليا من غرف المقابر ، ولقد كان ورق البردى الذي كانوا يستعملونه في الكتابة يصنع بوضع طبقات من سيقان البردى الداخلية بعد نزع قشورها الخارجية ، بعضها فوق بعض ، وبينهما مسائل غروى ثم تضغط ، ثم تجفف (١) • ولقد كان ورق البردى أنواعا ، كان معروفا منها ثمانية في العهد الروماني •

---

(١) بعد الحكر - وهي كلمة هيرغليفية معناها الزينة أو التخليه - الوحشة الزخرفية الغالبة في الفن الزخرفي في مصر القديمة ، ويرجع أصلها إلى عصور ما قبل التاريخ حين كان المصريون يسكنون الأكواخ ويميمون سقفوها على أعمدة من سيقان البردى ، وكانت أطرافها العليا غير منسقة ، ويربطونها بخيوط قنبليو حسنة المنظر ! وعندما استبدلوا المصريون الأسجار بنبات البردى في بناء بيوتهم ، نقلوا العناصر الزخرفية الديكورية إليها ( أي إلى الأسجار ) وزينوها بها ، كما رسموا زخارف الحكر على سقف البيوت •

(٢) هذه الطريقة في صناعة المصريين لورق البردى ذكرها المؤرخ هيردوتس ، ولكن ثبت بعد قيام بعض العلماء بتجربتها أنها غير صحيحة ، فقاموا بإجراء تجارب محورة فنجح العالم باسكوم جر (Batiscomb Gunn) في صنعه !

ولقد كان المصريون القدماء يلجأون الى النار أو الى قاس بدائي خاص لتجفيف الكتل الخشبية في صور ما قبل التاريخ ! ولقد ظلت هذه الطريقة مستعملة في بعض العصور التاريخية ! ولقد عثر على توابيت مصنوعة بهذه الطريقة يرجع تاريخها الى عهدى الأسرتين الخامسة والثانية عشرة ! وقد اتبعت هذه الطريقة نفسها في العصر الروماني لصنع الزوارق !

وكانت صناعة الخشب تقوم في أول الأمر على استعمال مطارق صغيرة عرضها نصف بوصة وأزاميل حادة الطرفين ! ومنذ بداية عصر الأسرة الأولى ظهرت آلات أكبر حجماً ، بعد أن أصبح استخدام النحاس في صنعها أكثر ذيوفاً ، ثم بدأت صناعة نشر الخشب في الظهور تدريجياً ، بالاستعانة بسكاكين كبيرة وعريضة ،

---

« والطريقة التي اتبعتها هي أنه قطع نبات البردى وهو أخضر ، ثم أزال لحاءه الخارجى ، ثم قطع اللب قطعاً ( شرائح ) ووضع على لوحة من الخشب ، ثم وضع عليه عدداً من هذه الشرائح جنباً الى جنب ، بحيث تكون موازية لبعضها بعضاً ومتماسكة ، ثم وضع فوقها شرائح أخرى بحيث تكون زوايا قائمة مع الشرائح التي تحتها ، ثم قطعها بنسيج رفيع رقيق عليها بطريقة من الخشب دقة متواصلة لمدة ساعتين ، ثم وسع ما نتج بعد ذلك في مكبس ، لبضع ساعات وعندما أخرجها من المكبس وجد أن الشرائح قد التصقت وكونت ورقاً رقيقاً متجانساً صالحاً للكتابة ثم صقله بعض الشيء مما جعله أكثر ملاءمة .

هذا وكان البردى يستخدم في الغرائز أخرى ، فكانت تصنع من سيقانه المحصر واللال والنراجيل ، وكان البردى يشيت بربا في منابع الدلتا ، ولكنه اختفى منها الآن ، ويصير الآن بكثرة في السودان ، ويتراوح طول ساقه بين سبعة وعشرة أقدام ، ذلك عدا الجذور والأزهار .

ولقد أدى ذلك الى استعمال المتأثير ذات الأسنان المنتظمة ابتداء من عهد الأسرة الرابعة •

ولقد كان المصريون القدماء يزرعون الأشجار المنتجة للخشب ، ويتعهدونها مدة تتراوح بين عشر سنين وعشرين سنة ، ثم يقطعونها ويقسمونها الى مكعبات يصنع منها بعض الأثاث كالمقاعد ذات الأرجل (١) والسرد (٢) •

ولقد وجدت مقاصير في داخل مقابر الملوك مصنوعة من ألواح من الخشب يتراوح طولها بين ١٨ و ٢٠ قدما ، ويبلغ عرضها ١٠ بوصات ، يتبع في تركيبها الطريقة المستعملة في بناء القاعات الخشبية في قصور الملوك ! وتتلخص في صف الألواح متجاورة في وضع رأسي بحيث تملأ أطرافها بعضها فوق بعضها الأخرى وتثبت بأوتاد من خشب توضع في ثقب رأسية ! وهذه الطريقة تمنع الألواح عند انكماشها من ترك ثغرات في الجدران ، وبذلك لا يكون لبرودة الهواء ورطوبته في أثناء الليل ، أو لحرارة الشمس ووهجها في أثناء النهار تأثير محسوس في داخل تلك القاعات •

---

(١) كان المقعد يصنع من كتلة خشبية واحدة ، ريش ذلك بتقويم ثلاثة أخصان متجاورة في الاتجاهات المناسبة لتكون بمثابة أرجل المقعد ، أما القاعدة فكانت تقطع من جزم الشجرة المتصل بالأفروع •

(٢) كانت هياكل الأسره تتكون من عوارض من الخشب تستند على نهايتها ، تحفر فيها فجوات لتثبت فيها اللثة من الداخل ، حتى لا تسد اللثة وقد انتفت حول العوارض •

ويتجلى الابداع الفنى فى طرز قطع الأثاث المصنوعه من الخشب ، فقد كانت الزوايا الخشبية المستخدمة فى ربط أجزائها تؤخذ من فروع أشجار خاصة ، تنقى فى أثناء نموها . وكانت ظهور بعض المقاعد تستند على دعائم منحرفة من الخلف ، وتقوى رجل الموائد الطويلة الدقيقة بأزرع منقطة من الخشب ! وكانت الأرائك والكراسى عريضة ومتناسقة الأجزاء ، ولا يعوزها اتقان الصنعة ودقتها !

أما الفخار فإن الكتابه عنه وعن أنواعه الكثيرة ، وعن تاريخه لا يكفينا عدة مجلدات . ويحتمل أن يكون بعض اوانى فخارية قد جاء بها مصر فى عصر ما قبل الأسرات بعض المهاجرين اليها من الغرب ! ولقد كانت تصنع بعد ورودها باليد ، ثم تشكل دون أن تكور ، كما كان الشأن فى بعض الأقطار الأخرى ! وكانت الخطوة التالية تشكيل جزئها العلوى ، ومنذ عهد الأسرة الأولى استخدمت عجلة الفخار فى صنع الجرار الكبيرة ، ولكن استخدام اليد فى تشكيل الفخار ظلت قائمة عدة قرون بعد ذلك !

وفى عهد الأسرة الثالثة كانت الأوانى الخشنة تصنع بواسطة لفها داخل حفرة فى الأرض ، بينما تشكلها يد الصانع ! وفى عهد الأسرة الثانية عشرة ، كان الفخارى يدير عجلة الفخار بيده اليسرى ، ويشكل الآنية بيده اليمنى ، ثم ينزعها ، ويهبط قاعدتها وكانت الجرار الكبيرة تصنع انصافا منفصلة ، ثم تلتصق بعد ذلك ! وفى



عهد الأسرة الثامنة عشرة كانت الجرار الكبيرة تصنع بحيث تكون  
فى وضع معكوس أو مقلوب على عجلة الفخار ، وتستخدم اليد فى  
تشكيلها حتى تضيق فتحتها العليا ، فيخرج الفخارى يده منها ، ثم  
تسد القاعدة بقطعة من الصلصال ، ويصقل من الخارج ، ويترك من  
غير صقل من الداخل ! .

ولقد بدأت صناعة الأواني الفخارية المصقولة فى مصر ، فى  
أوائل عصر الحضارة الأولى ! ولكن دهان الأواني الخزفية باللون  
الأزرق أو باللون الأخضر كان يتطلب مهارة فى التسخين ! اذ يحتاج  
هنا الطلاء الى حرارة عالية معينة ، لا تنقص ، ولا تزيد ، لمدة ساعات  
معينة ! ولم يك ذلك ممكنا من غير تجارب طويلة سابقة .

ولقد استخدم المصريون فى عصر الحضارة الثانية الزجاج  
الأزرق واللازوردى ، على الرغم من أن استخدامه فى ذلك العصر  
المبكر كان نادراً اذ لم يكثر استاج الزجاج واستخدامه فى سنى  
الاعراض الا فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

ولقد عثرنا على نموذج واحد من الزجاج عليه أشكال من  
الموزايكو الملون يرجع تاريخه الى الأسرة الثانية عشرة .

وقد نهضت صناعة الموزايكو نهوضا عظيما فى العهدين  
اليونانى والرومانى ، واتسمت بطابع الدقة المتناهية ! وكانت مدينة  
الاسكندرية ذات شهرة عظيمة فى تلك الصناعة ! .

ولقد عرف المصريون عشرة أنواع من المعادن وثمانين نوعاً مختلفاً من الأحجار والصخور ، ولكنهم لم يستغلوا منها إلا تسعة أنواع فقط ! .

ولقد استخدم المصريون الذهب في عصر ما قبل التاريخ غير أنهم كانوا يخلطونه دائماً بالفضة في عهود الأسرات الأولى ، الأمر الذي يوحي بأنهم كانوا يستوردونه من أقطار أخرى ، ومن آسيا الصغرى بخاصة ! .

ومن المعادن التي عرفها المصريون في عصور ما قبل التاريخ معدن الفضة ، ولكنها كانت نادرة كالذهب ، وظلت كذلك حتى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، ولكنها كانت على الرغم من ندرتها قليلة القيمة ! وأصبحت أقل قيمة عندما توثقت صلة الحيثيين بمصر (١) . ولم يكن استعمال معدني الذهب والفضة قاصراً على صنع الحلي ، بل كانا يستعملان في تجميل الأواني المصنوعة من الحجر ، إذ كانت حوافها ، وقواعدها ومقابضها تكسى بالذهب ، كما كانت أعطيها تصنع من الفضة ! وكان الذهب يستخدم في كسوة أطراف القسي ومقابض المدي ، وغيرهما ، وكانت حبات العقود المصنوعة من حجر الجير تكسى بالذهب . وكان كل ذلك يصنع في عصور ما قبل التاريخ ! .

---

(١) بعد إبرام معاهدة السلام بين رمسيس الثاني والحيثيين ، وزواجه من ابنة ملكهم تحست العلاقات بين مصر وبلاد الحيثيين ، فتبادلا السلع التجارية ، وكان معدن الفضة كثيراً في القطر الأخير ، فاستوردته مصر منها ، فكثر لديها لقل لئله .

وفي عهد الأسرة الأولى كان الذهب يلحم بعضه ببعض بدقة عظيمة ، وقد عرف المصريون معدن النحاس بمقادير قليلة منذ عصور ما قبل التاريخ ، ولكنه لم يصبح ذائع الاستعمال في صنع الأواني والأدوات الأخرى إلا في أوائل عصر الأسرات ! ولقد كان يخلط ببعض المعادن الأخرى إلا في أوائل عصر الأسرات ! ولقد كان يخلط ببعض المعادن الأخرى لجعله أشد صلابة ، وأخف وزنا ! ومن تلك المعادن التي كان يخلط بها اليزموت والمنجنيز والزرنيخ والقصدير !

ولم يعرف المصريون البلاتين إلا في أواخر عصر الأسرات ، إذ لم يستخدم في التطعيم إلا في عهد الأسرة الخامسة والعشرين . ولقد صنع المصريون حبات العقود من الحديد في عصر ما قبل التاريخ ، ولكنه لم يكثر استخدامه في الصناعة إلا في عهد الأسرة الثامنة عشرة ! إذ كان يعلق بشباك صيد الأسماك ليزيد من ثقلها !

ولقد حصل المصريون على القصدير النقي في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وعلى الالتيمنون (١) في عهد الأسرة الثانية والعشرين ! ولقد صنع المصريون حبات العقود من الحديد في عصر ما قبل التاريخ وكان لندرته كالذهب قيمة ! ولقد عثر على بقايا حديدية ، يرجع تاريخها إلى عهود الأسرات الرابعة والسادسة والثانية عشرة ، وما بعدها ! ولكن قلتها جعلت بعض المؤرخين يظنون أنها من بقايا

---

(١) حجر شبه كريم أزرق !

شهب سماوية ، وليست خام حديد مستخرج من ماجم ! والذى لا ريب فيه أن الحديد كان معروفا ابتداء من الأسرة التاسعة عشرة ، ولكن ارتباط ذلك المعدن بالاله ست صرف المصريين عن استعماله والانتفاع به حتى عصر البطالة .

ولم يكن الزئبق معروفا فى مصر ، حتى جاء به الرومان او كان المصريون ينقبون فى الصحراء الشرقية عن المعادن والأحجار القيمة ، وقد عثروا على عدد من الأحجار المثينة الجميلة المنظر ، وقد برز صناعهم فى نحتها والنقش عليها ! ومن أجمل تلك الأحجار التى عثروا عليها حجر اليورفير الامبراطورى الأحمر (١) فى أوائل عهد الأسرة الأولى ، لظهوره فى آثارها ، ثم اختفى ولم يعد للظهور الا فى آثار العهد الرومانى .

وفى عهد الأسرة الثانية عشرة استخرج حجر الجمشث (٢) ، ولم يظهر بعد ذلك الا فى أواخر عهد الرومان فى مصر .  
وقد استعمل المصريون الامازوينت فى عهد الأسر من السادسة الى الثامنة عشرة على أن مصدره لا يزال مجهولا لنا حتى الآن ! .

---

(١) حجر أرجوانى اللون ذو عبات دقيقة ، يوجد فى الصحراء الشرقية عند جبل الدخان ، وهناك نوع منه استعمل فى عصر الأسرات الأولى فى صنع الأوانى ، ويتكون من بلورات بيضاء فى رقعة سوداء .  
(٢) الجمشث أو الاماتيسيت حجر يتفكك اللون يركب من الكوارس الشفاف اللون بأكسيد المنجنيز .

وكان المصريون يصهرون المعادن في قوالب مفتوحة ، أو يحيلونها بالطرق الى صفائح رقيقة ! ولقد كانت الطريقة الأخيرة دقيقة جدا إذ كان سمك بعض المعادن المطروقة يصل أحيانا الى أقل من ١/٥٠ من البوصة . . . وقد استخدمت هذه الطريقة أى طريقة الطرف في صناعة الأواني النحاسية الرفيعة ! وكانت رقائق النحاس تستخدم في كساء التماثيل المصنوعة من الخشب ، بشيبتها بمسامير من النحاس أيضا !

ولقد كانت صناعة الأسلاك والسلاسل النحاسية من الصناعات المعروفة في مصر ، وكان لحام المعادن بنفس مادتها متبعا في صنع الحلى في عهد الأسرة الأولى ، وفي صنع الأواني والادوات النحاسية في عهد الأسرة التاسعة عشرة ! أما استخدام سبائك الرصاص والقصدير في لحام المعادن ، فلم يعرف الا في المهديين اليوناني والروماني ! \*

ولقد ظهرت صناعة اللين في أواخر عصر ما قبل التاريخ ، ثم عمت صناعته في العصور اللاحقة (١) وتوجد في ابيدوس قلعة

---

(١) كان المصريون يستخدمون الاسرى في شرب اللبن ، ويعتقد المؤرخون ان الفراعنة سخروا بنى اسرائيل في هذا العمل ! وكان حجم اللينة الواحدة حوالي ٢٨×١٨×١٢ سم . ويلاحظ ان مصر الفرعونية لم تعرف الطوب الاحمر المحروق ، واحسن وصف لصناعة اللين في مصر ورد منقوشا على حائط من حيطان مقبرة الوزير وخمارع . وكانت الطريقة المتبعة في صناعته لا تختلف كثيرا عن الطريقة المستخدمة الآن ! ويتلخص في ملل حفرة في الارض على مقربة من

مشيدة بالطوب اللبن يبلغ ارتفاعها ٣٥ قدما ، ويرجع تاريخ بنائها الى عهد الأسرة الثانية ، وهي لا تزال قائمة لم تتأثر بالعوامل الجوية الا قليلا ! ولقد بلغ سمك أسوار بعض المعابد ثمانين قدما في تانيس عاصمة مصر في عهد الأسرة الواحدة والعشرين . وفي تل العمارنة كانت أسوار القصر مزدوجة بينها ممر كانت طوائف الحرس تعجوس خلاله !.

وكان المصريون يعرفون الغزل والنسيج منذ أوائل عصر ما قبل التاريخ ، وفي عهد الأسرة الأولى كان نسيج الكتان قد بلغ درجة من الاتقان يضارع أجود الأنواع المصنوعة في كامبرى في فرنسا من حيث جمال المظهر ومتانة الصنع !.

ومما لا ريب فيه أن الغزل كان يؤدي باليد ! وكان نوع المغزل اليدوي يختلف من عصر الى عصر . وفي عهد الأسرة الثامنة عشرة كانت الرسوم الملونة على الاقمشة تتم في أثناء نسيجها في أشكال دقيقة بديعة يزيناها حروف هيرغليفية .

---

» بركة ماء أو جدول . يوضع فيها الطين ويضاف عليه بعض الرمل لوقايته من التشقق عندما يجف ، وقد يخلط بالطين ليجعله متماسكا ، ثم تؤخذ كتلة كبيرة من المزيج وتوضع على حصى مغروشة فوق أرض مستوية ، وبعد ذلك يبدأ العمال في تعبئته في قوالب من خشب ذات مقابض ، ونسوية سطحه باليد ! ثم يخرج منها ويوضع في الشمس لمدة يومين أو ثلاثة أيام ، ثم يقلب على لاسفل ! أما الملاط الذي كان يستعمل في البناء بالطين ، فكان يتكون من طين النيل المخلوط بقطع صغيرة من الفخار (f) أرجع لكتاب مصر والحياة المصرية للمؤلف وكتاب مصر واسرائيل للمؤلف نفسه من ص ٢٢ - ٢٣ .

وقد عرفت الصبغة في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وربما قبل ذلك ! وقد وجدت مصبغة كاملة في عهد الرومان بها أحواض تحتوى على أصباغ مختلفة في بلدة اتريب بالقرب من مدينته سوماج (١) وقد استعملت آنذاك مواد لتثبيت الألوان وفقا لما ذكره بليني ! وقد استطاع المصريون تثبيت ألوان الزخارف على المنسوجات بنمساها في محلول الشب .

وكانت المواد المستعملة في تثبيت الألوان هي كما يأتي :

١ - اللون الأحمر : وكان يركب من مخلوط الهماتيت (٢) والمغرة الصفراء المحروقة .

٢ - اللون الأصفر : وكان يصنع من عدة أنواع من المغرة ، وللحصول على نوع جيد منه كان الرهج الأصفر أو أصفر الملك يستخدم لذلك .

٣ - اللون الأخضر : وكان يصنع من الملاخيت (٣) حتى تنصر

---

(١) المعروف أن اتريب هي بنتا الحالية عاصم القليوبية .  
(٢) الهماتيت أو حجر الدم نوع من أكاسيد الحديد ، يوجد طبيعيا بألوان مختلفة - اسود ، أحمر اسمر .  
(٣) الملاخيت أو حجر الرهج أو التوتية هو النحاس الففل ، لونه أخضر ، وكان المصريون يستعملونه كصلا للمبوس ، ويستخدمون في طحنه ألواحا من الوردواز بيضاوية الشكل ، وأشهر مثال لهذه الألواح لوح الملك ميناء أو تادمر الموجود بالمتحف المصري بالقاهرة !

الأسرة السادسة ، ثم استعملت سلسلات الجير الخضراء والنحاس في ذلك .

٤ - اللون الأزرق : كان يصنع في عهد الأسرة الرابعة من كربونات النحاس الزرقاء .

٥ - اللون البني : كان يصنع من أنواع عدة مختلفه من المغرة ، بعضها يحرق خصيصا لذلك !

٦ - اللون الاسود : كان يصنع من أنواع السناج .

٧ - اللون الرمادى : كان يصنع بخلط اللونين الأبيض والأسود .

٨ - اللون الأبيض : كان يصنع من سلفات الجير .

وفي العصر الرومانى استخدم أكسيد الرصاص الأحمر لانتاج اللون الأحمر الفاتح . ولقد كانت الرسومات الملونة تدهن بزالاى البيض لوقايتها من تأثير الماء حين يصبها ! وكانت هذه الطريقة مستخدمة في ذلك منذ أقدم عصور التاريخ المصرى حتى عهد الفاتح العظيم تحوتمس الثالث !

#### صناعة نحت الاحجار

بدأ استخدام الأحجار في البناء في منتصف عهد الأسرة الأولى ، عندما استخدم حجر الجرانيت في تبليط أرضية مقبرة مبنية باللبن خاصة بملك من ملوك هذه الأسرة ! .



وقد استبدل الحجر باللبن في بناء المعابد الملحقة بالاهرامات في أواخر عهد الأسرة الثالثة ! ومع ذلك فقد استمر استخدام اللبن في بناء معابد الآلهة في أبيدوس الى أن ظهرت الأبواب المصنوعة من الحجر في عهد الأسرة السادسة ! ولم تلبث أن ظهرت مباني شيدت كلها بالحجر في عهد الأسرة الحادية عشرة !.

وان طريقة تحت الحجر التي كان المصريون القدماء يتبعونها تشبه الى حد كبير الطريقة التي يتبعها النحاتون في العصر الحديث ! فقد كانت تستخدم المناشير المرصعة بالأحجار الكريمة وتسويته . والمثاقب المصنوعة من أنابيب النحاس (١) في قطع الجرانيت وتسويته . وكانت طريقة صنع التماثيل هي أن تحدد على قطع الصخر ، ثم تستعمل المناشير في تشكيلها ، يلي ذلك استعمال المثاقب في عمل التجاويف العميقة ، وإزالة التواءات بالمطارق (٢) !.

وكانت المثاقب تستخدم أيضا في صنع الأواني الحجرية بعمل فجوة في حجم قوطة الآنية ، ثم يوسع التجويف بمثاقب من الحجر الصلب ، ويرش بمسحوق الصنفرة بين وقت وآخر ، وتحرك في التجويف في اتجاه مائل ! وبهذه الطريقة كانت سمك جدار الآنية

---

(١) كانت المثاقب تدار إما باليدين ، أو بقطب متحرك !

(٢) نتراب المطارق من كرات من حجر الدلوريت (Dolerite) الشديد الصلابة بها تجاويف تتركب فيها عصى أو قضبان ! وكان المصريون يصنعون عليها بحالة طبيعية من الصحراء الشرقية .

انرجع الى Engelbach : Problems of the Obelisks, p. 42.

المنحوت من البورفير الامبراطورى ، والذي يبلغ قطره قدمين و ١/٤ بوصة ! وكان سطحه الخارجى يصقل بالصنفرة (١) .

ولم يستعمل المخارط فى صنع الأواني حتى العهد الرومانى ! ولقد كانت الحلقات المحفورة على أرجل المقاعد تنحت باليد . .

ولقد كان الترقيع يسود صناعة الأواني فى عهود التدهور الفنى الذى منيت به الصناعة فى مصر بوجه عام ! فقد كانت الأواني المصنوعة من الحجر آنذاك لا تنحت من قطعة واحدة من الحجر ، ولكن كانت تنحت قطعاً ، ثم تلتصق كل قطعتين منها ببعضها ببعض ، كما كانت تجوف الأواني من ناحيتين ، ثم يركب لها قواعد ! أو تخلط شظايا الحجر الجبرى بالطين لتبدو وكأنها من حجر البورفير الامبراطورى ! .

ولقد كانت مظاهر الترف واضحة فى العصور التى اتسمت بالثراء والفنى مثل عصور الأسرات الأولى والخامسة والثانية عشرة والسادسة والعشرين . وكذلك فى عصر البطالة ، ولقد صاحب ذلك انتشار التهلك والفساد ! .

---

(١) لقد استلخدم المصريون الرمل والماء لصنفرة الأواني فى عهد الدولة القديمة . يدلنا على ذلك نقش على أحد جدران مقبرة « ويدا أم نفرت » فى الحيزة (ارجع الى مصر القديمة جزء ٢ ص ١٦٧ للاستاذ الكبير سليم حسن) . ويبدو أنهم عرفوا حجر الصنفرة بعد ذلك ( ارجع الى كتاب Problems of the Obelisks, p. 81). (Engelbach للاستاذ

ولقد ادهش الاغريق وفرة الأزهار في مصر في جميع فصول السنة ، وكثرة منتجات البساتين ، والأكثار من استعمال العطور ، ومظاهر البذخ الأخرى .

وأكبر دليل على كثرة استعمال الزهور للزينة في الاعياد والحفلات تلك الوثيقة المدونة على ورق البردي الجائزى ، والتي تشيد بأعمال رمسيس الثالث الحيرية وتعدد هباته للمستحقين (١) .

#### المقايضة :

لقد كانت المنتجات على اختلاف أنواعها تتداول باديء ذى بدء عن طريق المقايضة ! ولقد عثرنا على مناظر عدة لأحد الأسواق على جدران مقبرة من المقابر التي يرجع عهدا الى الأسرة الخامسة ، ومنها يتبين أن المقايضة كانت القاعدة المتبعة آنذاك . وليس هناك ما يشير الى وجود معايير ثابتة لتقييم السلع !

ولقد كان مبدأ مقايضة الحيز بالجمعة ، يستند على تساوى مقدار الحنطة الذى فى كل منهما !

ولقد عاد الرومان فى أواخر عهدهم الى طريقة المقايضة بسبب

---

(١) بردية تعرف باسم ورق هاريس ، يبلغ طولها أربعين مترا ، وبها حانة ونسبة عشر سطرا من الكتابة ، معنى لذلك تعد أطول بردية وصلت اليينا حتى الآن ! وقد قام بتدوينها الملك رمسيس الرابع ، وسرد فيها أعمال أبيه رمسيس الثالث الحيرية ، وهباته للمعابد ، ومنها مرفقا مقدار ما كانت تملكه هذه المعابد من الاراضى ذات المساحات الكبيرة !

انتشار العملة الزائفة حيث ! ولقد كانت حكومتهم آنذاك تتقاضى  
عينا لا نقدا ! \*

### الوازين والمقاييس :

ويبدأ وجود معيار مشترك في عصر الدولة الوسطى ، حين  
كانت السلع التموينية والمماشية تقدر بقدر معين من النحاس ! ولقد  
عثر على خلاخيل من النحاس ترجع الى عهد الأسرة الثامنة ، تكاد  
تكون متساوية في الوزن ، الأمر الذي يوحي بأنها كانت أثقالا توزن  
بها بعض الأشياء ! وكان المصريون آنذاك يتداولون الذهب في  
هيئه حلقات ، وربما كانوا يتداولون الفضة في هيئه حلقات  
أيضا ! \*

ويظهر من فوائم الضرائب التي ترجع الى عهد الأسرة الثامنة  
أن كل واحدة من تلك الحلقات الذهبية كانت تساوى في وزنها  
دبنا واحدا ( ١ ) ( ١٤٠٠ حبة ) وفي عهد الأسرة العشرين كانت  
المسروقات من المقابر لا تذكر أنواعها ، ولكنها كانت تذكر مقادير  
قيمتها بالنحاس ! \*

وأول عملة استعملت في مصر كانت العملة الفضية الاغريقية  
الواردة من منطقة بحر ايجه ، ولم يكن هناك أية محاولة لاصدار  
عملة مصرية مستقلة قبل العهد الفارسي ! ففي أثنائه سكّت عملة  
فضية تحمل على أحد وجهيها صورة البومة المصرية ، وعلى وجهيها  
الآخر مدقة الخنطة .

وفي عهد البطالة أصبحت العملة المصنوعة من الذهب والفضة والنحاس أساساً ثابتاً للنقد في مصر ! غير أنها لم تستسلم من التزييف ، وفي أواخر العهد البطلمي بخاصة ! •

ولم تلبث أن مبطت قيمتها في العهد الروماني بسبب سوء الحكم وتفشى الفساد آنذاك ، فارتفعت أسعار السلع والبضائع ارتفاعاً كبيراً ! •

ولعل أقدم وحدة للمقاييس كانت عرض الاصبع ، وكان طول عشرين أصباً يساوي ما كان يطلق عليه لفظ رمن (Remen) أي ما يساوي ١٤ر٦ بوصة ! وهو أساس المقاييس المقارنيه ! وقد ذاع استعمال الزراع في المباني ، وكان يساوي ٢٠ر٦ بوصة ! وكانت وحدة مقاييس المساحة هي الأستاد أو الأرورة الاغريقية ، وتساوي ١٠ر٠٠٠ ذراع مربع ، وهذه المساحة تساوي ضعف عشرة آلاف رمن مربع ! •

وكانت وحدة مقاييس الطرق هي الرحلة الملاحية النيلية ، وكان طولها ٢٠ر٠٠٠ ذراع ووحدة الطرق البريه هي السخيتوس ؛ وطولها ١٢ر٠٠٠ ذراع • وكانت هذه الوحدات تنقسم الى وحدات أقل ، طولها ١٠٠٠ ذراع !

أما وحدة الوزن فقد كانت في الحقبة الأولى لما قبل التاريخ هي النوب (Nub) أو الوحدة الذهبية ، وكانت زنتها ٢١٠ حبة أو قمحة ، وفي الحقبة الثانية لما قبل التاريخ كانت الشسيكل

(Shekel) ووزنها ١٢٨ حبة ، أما في عصور الأسرات فقد كانت القدح (Quedet) وزنها ١٤٥ حبة ، وكانت الدين يساوي عشر قدحات .

وكان المصريون القدماء يقسمون السنة الى أشهر عدتها اثنا عشر شهرا ، والأشهر الى أيام ، وعدد أيام الشهر ثلاثون ، وكانوا يصيغون خمسة أيام في آخر كل عام ! كما قسموا السنة الى ثلاثة فصول عدة كل منها أربعة أشهر ، وكانوا يسمونها ، فصل النماء ، وفصل الركود ، وفصل الفضاض ! وكانوا يقسمون كلا من النهار والليل الى ساعات عدتها لكل منهما ١٢ ساعة . ولقد أدى نقص ٤/١ يوم كل عام الى تراجع الشهور ، بحيث تتم دورتها مرة كل ١٤٦٠ عاما ! فطابقت دورة نجم الشعرى اليمانية ! فقد كان هذا النجم يرصده المصريون عندما تشرق الشمس كل يوم لتحديد بدء السنة (١) .

---

(١) يظهر نجم الشعرى اليمانية في الامم الشرقي في مستوى طلوع الشمس فوق الأفق على خط عرض مدينة منف في صباح ١٩ يولية حسب التقويم اليولياني (الفرنسي) وقد ربط المصريون بين شروق الشعرى اليمانية وبداية فيضان النيل ، واعتبروا هذا التاريخ أول السنة ، وقسموا الفصول على أسامه ١

ولكن اتفاق شروق الشعرى مع الشمس لا يحدث كل سنة في يوم ١٩ يولية ، لأن السنة  $365\frac{1}{4}$  يوم ٧ ٣٦٥ يوما فقط . وبذلك تتأخر السنة المصرية المدنية التي هي السنة ما بين شريين شمسين لنجم الشعرى من السنة الحقيقية كل عام بمقدار ربع يوم أو بمقدار يوم كامل كل أربع سنوات ، وتكون النتيجة الحتمية لذلك تأخر الفصول .

ولقد كان في مصر القديمة وزاتون عامون تخصصهم الحكومة  
للتحقق من أن الباعة لا يطفون في الميزان .

وكانت السلع والبضائع التي تصدر الى خارج مصر ترسل  
الى بلاد النوبة والشام والمغرب ! وعبر البحر الأحمر الى البلاد  
المطلية عليه ! والى بلاد بونت ( الصومال ) .

ولقد كثرت البعثات الى بلاد النوبة لكشف ما وراها من  
أقطار تمهيدا لتبادل السلع والمنتجات ! ولقد كان من أهم عوامل  
تسهيل الوصول اليها القناة التي تم حفرها في عهد الملك سنوسرت  
الثالث عبر شلال أسوان ! وقد بلغ اتساعها ٣٤ قدما وعمقها ٢٤  
قدما وكان اتساعها وعمقها يسمحان للسفن المحملة بالبضائع  
بالمرور فيها !

---

= ولم يكن ذلك محسوسا للمصريين من عدة قصيرة ! ولكنه أصبح واضحا  
على مر القرون ا فوضع لهم أن فصول التقويم غير مطابقة للمحصول الحقيقية !  
ولدينا شاهد على ذلك الا وهو تمرين انشائي ورد في كراسه للميل مصرى عاش  
في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، يحمله فيما يلي :

تمالي الى يا اسون خلصني من السنة المضطربة ، لم تعد الشمس  
تسطع ، ويحل الشتاء محل الصيف والشهور تسير القهقري .

وتلى الرغم من أن هذا التناهي كان مريكا ومضايقا للناس لحلول الأعياد  
الدينية والمدنية في غير مواعيتها التي كانت تأتي في ايام طفولتهم وصباهم الا أنه  
لم يؤثر على مواعيت الزرع والحصاد ! اد كانت متعة للطواهر الطبيعية .

ولقد تمكن علماء التاريخ والعلماء من تحديد معرفة المصريين لهذا التقويم  
بدراستهم للدورة الشمسية ! وقد توصلوا الى أنه تم لهم معرفته في سنة  
٢٢٤١ ق م .

ولقد كان الاتصال ببلاد النوبة وثيقا في عهد الأسرة الثانية عشرة بخاصة ، ولم تلبث مصر أن سيطرت عليها سيطرة تامة في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وامتد سلطانها جنوبا حتى بلدة نباتا الواقعة على خط عرض ٣٠° ١٨' .

وكانت الجزية التي فرضتها مصر على كل من بلاد النوبة والسودان تشتمل على معدن الذهب والرقيق من الذكور والاناث والجوز والصمغ والحنطة والساج والابنوس وجلود الفهد والماشية ! وكان الجانب الأكبر من تجارة منطقة البحر الأحمر يتبع طريق الصحراء الشرقية التي كانت تبثديء من قفط ! ولقد اختيرت هذه الطريق نجبا للشعاب المرجانية التي كانت تكثر في شمال البحر الأحمر ! وفي عصر الدولة الوسطى أصلح هذا الطريق ، وسمى وادي الحمامات ، وذلك بحفر الأبار ، واعداد صهاريج المساء وانشاء مراكز حراسة لها على جانبيه ! وفي عهد سيتي الأول زادت مرافق المياه في هذا الطريق وعويت وسائل الأمن فيه ! .

ولقد كان البحر الأحمر الطريق الطبيعي من مصر إلى بنت (١) ، ففي عهد الملك أسبسي أحد فراعنة الأسرة الخامسة ، أرسلت بعثة تجارية الى تلك البلاد ! كما أرسلت بعثة تجارية أخرى في عهد سفتح كارع ( متوختب الخامس ) أحد ملوك

---

(١) هي بلاد الصومال ، كما يرى ذلك معظم المؤرخين



الأسرة الحادية عشرة ، وأرسلت معه ثاله في عهد أمنمحات الثاني  
أحد فراعنة الأسرة الثانية عشرة ، ولكن أهم هذه البعثات جميعا  
هى البعثة العظيمة التى أرسلتها الملكة حتشبسوت (١) .

ولم تقتصر تجارة مصر عبر البحر الأحمر فيما تلا ذلك من  
العهود على بلاد بنت ، بل شملت سواحل شبه الجزيرة العربية  
والهند .

ويقول استرابون - المؤرخ المشهور - لقد كانت الأساطيل  
المصرية العظيمة تبحث الى الهند ، وإلى ما وراء أثيوبيا قاصدا بعض  
الأقطار الأفريقية المطلة على المحيط الهندى جنوبى بنت وزنبار  
بخاصة .

---

(١) كان العرض الأساسى من إرسال هذه البعثات هو إحصاء البخور  
اللازم للشعائر الدينية والحضارية وقد بلغ حرمن المصريين على الحصول عليه  
أن الملكة حتشبسوت أوصت بأخطار أشجاره فى مصر ، وزرعتها فى  
حدائقه معبدها بالدير البحرى . . . وجدا ، ولم تكن متجيات بنت فاصرة على  
البحر ، ولكنها كانت تشمل الفخر والعاج والأبنوس وجلود الحيوانات . ولقد  
أطلق المصريون على بنت « الرس بالاله » ، وكانوا يعدون أنفسهم محددين من  
أحدى سلالات سكانها ، فقد رسموا سكانها على الآثار المصرية . يفتح كل من آلهة  
المصريين ، كما لو كانوا أجسامهم باللون الأحمر الذى كانوا يلونون به أجسامهم  
والذى كانوا يميزون به أنفسهم من بين أفراد الشعوب الأخرى الذين كانوا  
يرسمونهم على الآثار . كما كانوا يرسمون شعورهم مرجلة على الطريقة التى  
كانوا يرسمون بها أنفسهم . كما كانوا يفتحون على أجسامهم القميص المصرى ،  
والى جانب هذه السلالة مثل المصريون فى رسوماتهم سلالاتى الآخرين بتميزان  
الى الجنس الذهبى الأسود .

وينصب بعض المؤرخين الى أن هناك أدلة علمية على حدوث محرات من  
بلاد مصر الى مصر فى عصر ما قبل التاريخ .

ولقد كان التبادل التجارى بين مصر والشام مستمرا منذ  
عصور التاريخ الأولى ! وكانت أهم سلعة تخرج من مصر على استيرادها  
من الشام حجر اللازورد !

ولقد هبط مصر فى الحقبة الثانية لما قبل التاريخ اقوام ،  
ويرجع المؤرخون أنهم جاءوا من الشام ، وقد أحضروا معهم أقدم  
قطعة من الزجاج عرفها المصريون ، ومنذ ذلك العصر استمر  
استيراد مصر للزجاج من الشام ! ولقد استقدمت مصر نفرا من  
الماهرين فى صنعه من الشام فى عهد الأسرة الثامنة عشرة لتعليم  
المصريين صناعته ! وبذلك نشأت صناعة الزجاج فى مصر !

ويبدو أن احتلال الهكسوس لمصر قد ساعد على اتساع  
مجال التجارة المصرية فى الأقطار المجاورة ! ولا أدل على ذلك من  
العثور على بعض المنتجات المصرية فى عهد الملك خيان (١) فى كل  
من كريت والعراق ! ولقد كان ملوك الأسرة الهكسوسية الثانية  
يلقبون أنفسهم « سادة الشمال وملوك البحر » كما هو منقوش  
على الجدارين الخاصة بهم ! وعلى الرغم من أن الهكسوس قد طردوا  
من مصر ، فإن تجارة مصر مع الشام لم تتأثر ولم يعثرها نقص  
بل زادت ! ولعل سبب تلك الزيادة كان استيلاء مصر على بلاد  
الشام حتى نهر الفرات ! وكانت لذلك البضائع والسلع الشامية

---

(١) أشهر ملوك الهكسوس الذين حكموا مصر .

تورد الى مصر عن طريق البحر وعن طريق البر ! ولقد كان الجانب الأكبر من الأخشاب المستعملة في كافة أنواع الأثاث الجيد الذي كان يصنع في مصر كان يؤخذ من أشجار الأرز والصنوبر المستوردة من بلاد الشام . ومن البضائع المصرية التي كانت تصدر الى بابل والشام المنسوجات الكتانية والأشربة المزركشة بخاصة ، والتي اشتهرت وتميزت بها السفن والزوارق المصرية ( سفر الملوك الأول ، اصحاح ١٠ آيات ٢٨ ، ٢٩ ، وسفر حزقيال اصحاح ٢٧ آية ٧ ) . وفي عهد الأسرة السادسة والعشرين كان الفينيقيون يسيطرون بدور الوساطة في تصريف المنتجات المصرية ، واستيراد السلع التي تحتاجها مصر من الأقطار المجاورة ! وكانت الحكومة تتقاضى منهم ضرائب كانت من أهم موارد الإيرادات العامة للدولة ! .

ولقد أدى تأسيس الاسكندرية واضطلاع بعض سكانها بتصريف المنتجات المصرية ، واستيراد ما تحتاجه مصر من سلع أجنبية ، وضمحلل صور أهم موانئ الفينيقيين الى القضاء على دور الفينيقيين في التجارة المصرية ! .

ولقد كانت مصر في أوج عظمتها واتساع رقعة سيطرتها في ابان عهد تحوتمس الثالث قائدها العظيم تستورد الحنطة من الخارج على الرغم من زراعتها في مساحات كبيرة في مصر ، وهذا يدل على كثرة عدد سكان مصر ! وكانت مصر لذلك تعتمد على الجزية التي كانت تفرضها على الأقطار التي انضوت تحت لوائها ، وعلى تجارتها

الخارجية لسد ضرورات حياة سكانها الذين كانوا يتزايدون باستمرار !

وان هذه الزيادة في عدد سكان مصر لا ترجع الى جلب الرقيق لأن تجارة الرقيق فيها لم تبلغ قط ما بلغت في بلاد الاغريق ! ولهذا لا يعزى الى وجود الرقيق في مصر الاخلال بميزان الاحوال الاقتصادية فيها كما هو الحال في بلاد الاغريق في بعض عصور تاريخها ! ولهذا فان المؤرخين يعزون استيراد مصر للمواد الغذائية الى الزيادة الطبيعية السريعة في عدد سكانها !

ولقد كانت منطقة البحر المتوسط آخر المناطق التي كانت تتبادل منتجاتها مع مصر ! ولقد كانت مصر في الحقبة الأولى لما قبل التاريخ ذات علاقة تجارية مع بلاد الاغريق ، وكانت تستورد منها الصنفرة لاستخدامها في صقل رخوس الصولجانات المصنوعة من الأحجار الرملية ! كما كانت تستورد في الحقبة الثانية من هذا العصر العتيق الانسديان (١) من ساموس (٢) ، ومخلوط الذهب والفضة من باكتولس (٣) ! كما يبدو وأنها كانت تستورد الذهب

---

(١) هو الحجر الزجاجي الاسود ، وهو زجاج طبيعي يركاني الامسل ، ومما يكر الى قطع يكون شفافا ، وكان يستخدم في مصر لصناعة الاوان وروءوس الحراة ، وعيون التماثيل ، والجمارين وبعض الاواني الصغيرة الحجم .

(٢) ساموس إحدى جزائر بحر ايجه .

(٣) منطقة تركية يمر بها نهر باكتولس (Pactolus) جنوب غرب مدينة انقره .

في عهد الأسرة الثانية من ترانسلفانيا (١) •

وكانت هذه أهم السلع التي كانت تنقل إلى مصر عبر البحر المتوسط •

ومن الأدلة على وجود تبادل تجارى بين مصر وكريت في عهد الأسرة الأولى تلك الأقداح الفخارية السوداء ، التي كان يستخدمها المصريون في تعبئة الأصباغ الحمراء لتصديرها ، وكذلك أواني الأمفورا السوداء (٢) التي تنسبه تمام النسبة ميلاها في كنوسوس (٣) •

ولقد استدل الاثريون والمؤرخون على أوصاف السفن التي كانت تحمل البضائع والسلع من أقطار البحر المتوسط إلى مصر ، ومنها إليها من الرسوم المنقوشة على الأواني التي عثر عليها ، ويرجع

---

(١) اعتمد المؤلف في ذلك على أن الذهب الذي كان يجلب إلى مصر في ذلك العصر كان يحتوي على مقدار من اللد ، ولما كانت ترانسلفانيا هي موطن اللد ، فرجع استيراده منها ( انظر Petrie : Descriptive Sociology of Egypt, p. 57.

ولكن الدكتور سليم حسن يعارض ذلك ، ويقول أن اللواتق المصرية تدل على أن اللدعب كان يجلب إلى مصر من الأقاليم الجنوبية ، ولا توجد لدينا وثائق تاريخية تشير إلى أنه كان يستورد من الشمال قبل عصر الأسرة التاسعة عشرة ( انظر : سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩١ ) •

(٢) أواني الفخارية الطراز ذات عروحين ، كانت تستخدم في حفظ التبنيد وانرت وبعض الأطعمة والفصل . ولها فتحات تسمح بإدخال مفرقة ، وكثيرا ماكانت تحلى برسوم ملونة •

(٣) العاصمة القديمة لجزيرة كريت •

تاريخها الى عهد ما قبل التاريخ ! فقد كانت مختلفة الاحجام يصل طول اكبرها حجماً الى نحو مائة قدم ، وتسير بمجازيف ! وكان على ظهر كل سفينة منها غرفتان صغيرتان تتصلان بمعبس ( كوبرى ) يمتد بين سطحيهما ، كما كان يوجد على سطحها مظلات لتقى البحارة والمسافرين عليها حرارة الشمس ! وكانت تحمل شعار القطر التابعة له فوق ساريه مثبتة فى أعلى الغرفة الخلفية ! وكان يوجد فى مؤخرتها مجداف طويل يستخدم لتوجيهها بمثابة الدفة ! أما المرشد الذى كان يجلس فى مقدم السفينة فكان يحتسى من وهج أشعة الشمس بفصن موزق من أغصان بعض الأشجار •

ولقد استدل الاثريون والمؤرخون من تقاليد أهل كريت لطرز الأواني المصرية ، فى عهد الدولة القديمة ، على قدم الصلة بين البلدين فى ذلك العصر !

أما فى عهد الدولة الوسطى فقد كانت مصر تستورد الأواني الكريتية المصنوعة من الفخار ذات الرسوم الملونة ، والتي كان يطلق عليها سلع كاماريس (١) •

ولقد استنبط المؤرخون من انشاء الميناء الكبير شمال

---

(١) اوانى كبيرة على هيئة نصف كرة عليها زخارف هندسية حمراء وصفراء وبيضاء على أرضية سوداء •

الإسكندرية (١) ، والمنعمور تحت مياه البحر الآن أن التجارة بين مصر وكريت كانت نشيطة .

ولقد اتسع نطاق التجارة الخارجية لمصر في عهد الملك أمنحتب الثالث ، ولا أدل على ذلك من وجود أواني فخارية مصسقولة ، وجعارين خاصة به ويزوجته الملك تي في ميكيئا (٢) . ولقد أُنقش الاغريق تقليد المصنوعات المعدنية المطعمة التي كانت تصنع في عهد أحمنس الأول اتقانا يصعب معه التفريق بين المقلدة والأصيلة اولقد وجد ضمن مخلفات قصر أختاتون بقايا لا يقرب من ٨٠٠ آنية من صنع اقليم بحرايجة ! غير أن تلك التجارة التشبيطة بين مصر واليونان وجزائر البحر الأبيض لم تلبث أن اضمحلت نتيجة لغزو الدورين لبلاد الاغريق ، وانتهاء دولة الرعامسة ، ولكنها عادت

---

(١) كان يقع هذا الميناء شمال غرب جزيرة فاروس القديمة (رأس النبي الحالية) وكان مدخله في النخوة المحصورة بين الرأس التي تقوم عليها الآن قنار رأس النبي وبداية حاجز الأمواج ، ويتناثر الآن في هذه القجوة سفنور تعرف بالرملة البيضاء . ولقد ذكر هذا الميناء هرميوس في الباذن ، إذ يقول : «وهناك جزيرة في البحر الضخم يسمونها فاروس ، خارج حدود مصر لها ميناء ذو مراس جيدة» .

ويقول جوندت الذي كشف عنه : ان بحارة نريت بنوه في العصر المتوالي ، ولكن يرجح بعض العلماء انه من عمل رمسيس الثاني على حين يقول آخرون ان هذه الاطلال ليست الا ابنية الفرس منها حماية جزيرة فاروس من طغيان البحر انظر : (Jondet : Mémoires de l'Institut Français, tome IX).

(٢) منطلقه الفرية شرمي اليونان قامت بها حصاره مزدهرة بين القرنين السادس عشر والثاني عشر قبل الميلاد . وقد قضى الدوريون عليها عند هروهم لبلاد اليونان عام ١١٠٤ ق م .

فنشطت مرة أخرى ، إذ جاء التجار الاغريق في القرن السابع قبل الميلاد الى مصر ، وأنشأوا صلات تجارية مع المصريين ومع سكان الدلتا بخاصة !

ولما اعتلى ايسماتيك عرش مصر بمساعدة جنود مرتزقة من الاغريق في عام ٦٤٤ ق.م أسكنهم على جانبي الدلتا في حصون قرامطيس في غربيها ، ودقنى في شرقيها !

وبعد غزو الاسكندر الاكبر لمصر وبنائه مدينة الاسكندرية أصبحت مصر من الناحية العلمية جزءاً من العالم التجارى الاغريقى آنذاك ! وما جاء عام ٢٥٠ ق.م حتى أصبحت الاسكندرية أغنى مدن العالم بفضل تجارتها الواسعة .

وكان النيل هو الطريق الرئيسى للنقل الداخلى ، ولم تكن هناك حاجة الى وسائل أخرى للمسافات الطويلة ! وقد أنشأ المصريون طرقاً طويلة ممهدة كلما دعت الحاجة الى نقل الأحمال الثقيلة الى النيل والترع ، ومنهما الى جهات مصر المختلفة وكان ينتهى الى كل هرم من أهرامات مصر طريق تنقل عليها قطع الأحجار اللازمة لبنائه . ولقد بلغ طول الطريق الذى أنشأه خوفو عندما بدأ فى بناء هرمه الأكبر (١) أعجوبة الدهر ومعجزة الأيام ألف ياردة ، وعرضه ستين قدماً !

---

(١) ذكر هيرودوت ان هذا الطريق استلزم اعماله عشر سنوات ، وأنه بنى بحجارة مصفولة ، منقوش عليها ، ود بعض الحيوانات .



ولقد بالغ هيرودوت فزعم أنه يضسارع الهرم الأكبر في عظمتة .

ولقد كان نقل التماثيل الضخمة بعد نحتها ، الى الأماكن المخصصة لإقامتها فيها ، يتطلب طرقا ممهدة تمهيدا جيدا ، وكانت الطريقة التي اتبعها المصريون في نصب التماثيل الضخمة هي سحبها فوق منحدر طويل ، وبعد وصولها الى قمة المنحدر يهبط بها في الجانب الآخر في اتجاه قواعدها التي تقام عليها ! .

وكانت المسلات تنقل في النيل بعد نحتها في سفن عدة مربوطة بعضها ببعضها الآخر بحبال ! ولقد أثارت السفينة المصرية التي استخدمت في نقل المسلة المقامة حتى الآن في روما دهشة الرومان واعتبروها أعجوبة من أعاجيب الزمان ! (١) .

---

(١) في عهد الملك نخونسيس الاول كانت تستخدم سفينة واحدة لنقل المسلات ، طولها ١٢٠ ذراعا (حوالي ٦٠ مترا) وعرضها ٢٠ ذراعا (حوالي ٢٠ مترا) وكذلك الحال في عهد الملكة حتشبسوت ، وكان يجرها ٢٧ قارب من دراب المياديب مرفعة في ثلاثة صفوف .



## الفصل السادس

# التشييد والدفاع

## التشييد والدفاع

لقد كانت المساكن البدائية للقبائل المصرية في الصحراء (١) تكون في بدء نشأتها من أكوام من الأحجار الحسنة غير المصقولة تقيهم حر الصيف وبرد الشتاء ، ومن العثر التي تذكروه الرياح ! ولم يلبثوا أن استبدلوا بهذه الأكواخ البدائية خياما لها فتحات في الجهة المضادة لاتجاه هبوب الرياح السائدة آنذاك ! ثم زودت تلك الخيام بعد ذلك بسياج من الغاب في الجهة المواجهة لهبوب الرياح ليضعف من حدتها ويمنع بعضا من الرمال التي تحملها ، ثم لم يلبث السياج أن أحاط بالخيمة من جميع جهاتها لمنع أطفال الأسرة وما كانت تملك من معزى وأغنام من التسرب الى الخارج فتضل ،

---

(١) كان سكان مصر القدمون يكون اكواخهم في الصحراوين الشرقية والقريبة الغاء لميطان القيل الذي كان يضم جميع اراضي الوادي مده تعرب من ثلاثة شهور كل سنة .

الأطفال الطريق عندما تهم بالرجوع ، وتضع المعزى والأغصان !

وعلى مر السنين وتقدم حضارة المصريين استبدلوا بسياج الغاب حائطاً من اللبن حول الخيمة التي كانت تشد حبالها إلى أوتاد تدق في الحائط ! ولم يلبثوا أن استبدلوا بسقف الخيمة الذي كان من القماش سقفاً من الغاب أو عيدان الذرة ، يرتكز على أعمدة ويضعون فوقه قليلاً من أوراق الأشجار وأغصانها !

ويستطع الذي يجوب أنحاء مصر المختلفة أن يرى أكواخاً تمثل المراحل المختلفة التي مرت بها على كر الدهور ومر العصور . ولا يزال الغاب وعيدان الذرة « البوص » يلعبان دوراً هاماً في حياة سكان وادي النيل في مصر إلى الآن ! ولا تزال نرى أنواعاً من أكواخ الغاب أو من عيدان الذرة وسط المراعى والحقول يقيمها فلاحو مصر في زمن الربيع يقضى فيها رعاة الماشية وحراس الحقول الليل ! •

ويقول ديودورس : لقد كان الرعاة المصريون القدماء يصنعون أكواخهم التي كانوا يأوون إليها أثناء الليل من الغاب والبوص (١) كما يفعل أحقادهم في الوقت الحاضر (٢) •

ولقد كانوا عند إقامة أكواخهم من سيقان الغاب يسدون

---

(١) تطلق هذه الكلمة على عيدان الذرة .

(٢) يقصد بالوقت الحاضر الزمن الذي عاش فيه ديودورس .

فى كثير من الأحيان الثغرات بينها بعيدان الذرة ! ولقد ظل طراز  
مبانى الأضرحة والمعابد باعتبارها مخلفات دينية لها قداستها ، محتفظاً  
بطابعه البدائى حتى عصر الدولة القديمة . ثم لم تلبث هندسة  
المبانى على اختلاف أنواعها أن تطورت ، فأصبحت الأكواخ مربعة  
الشكل مثبتاً أمام كل كوخ منها عمودان يرتكز عليهما سقفه المكون  
من سيقان الغاب ، والممتد أمام باب الكوخ للاستظلال به ، وهذا  
الطراز لا تزال تراه اليوم فى حقول صعيد مصر ، يستخدمه بعض  
سكانه فى اتقاء حرارة الشمس .

وان الأكواخ المصنوعة من سيقان الغاب يطلقها أصحابها بالطين.  
لسد منافذها ، ومن سيقان الغاب يصنع الزراع أعمدة يطلقونها بالطين ،  
ويضعون على كل عمودين منها عارضة قوية من الخشب يعلقون بها  
شادوقاً تتراوح زنته بين قطارين وثلاثة قناطير ، يستخدمونه فى  
رى أراضيهم !

ويرى بعض المؤرخين أن طلاء سيقان الغاب بالفرين بداية لبناء  
الحيطان ، وعلى أحد جدران أثر من الآثار المصرية القديمة نموذج  
لحائط يطل منه عدد من الرجال ، ويرجع تاريخه الى العصر الأول  
من عصور ما قبل التاريخ ! كما يوجد نموذج آخر لمنزل مثبت  
بحائط واجهته ألواح من الخشب فوق بابه ، وأخرى مثبتة فى أعلى  
نافذته وأسفلها .

ولقد أوحى طبيعة أرض مصر لسكانها بفكرة صناعة اللبن ،

اذ أن تشقق تربة أرضها بعد اسلاح ماء فيضان النيل عنها ، أتاحت  
لهم أخذ كل منها بعد جفافها ونقلها الى حيث يريدون إقامة  
مساكنهم ، ويضمون بعضها فوق بعضها الآخر ليصنعوا منها حيطاناً  
غير منتظمة الشكل لحظائر الماشية ، كما كانوا يستخدمون الطين  
للمصق الكتل بعضها ببعض كما يستخدم البنائون المونة في ذلك !  
وقد بدأوا صنع قوالب اللبن المنتظمة الشكل خلال الفترة الأخيرة  
من عصر ما قبل الأسرات ! وأستخدموها في رصف أرض المقابر ،  
وفي عهد الأسرة الأولى استخدموها في إقامة المنازل والمباني الكبيرة  
الأخرى !

ولقد كان سرات المصريين يسكنون في بيوت من الخشب ،  
وكانوا يصنعونها من ألواح يتراوح عرض كل لوح منها بين ١٢ و ١٤  
بوصة ، وطوله يتراوح بين ٦ و ٧ أقدام وكانوا يقيمون تلك الألواح  
بعضها الى جوار بعضها الآخر بحيث تكون جوانبها متداخلة في بعضها  
بعضاً ، ثم تربط بطريقة تجعل أطرافها لا يصدها صداد ، حتى اذا  
تعددت أو انكمشت بسبب رطوبة الهواء ليلاً أو جفافه نهاراً ،  
لا تترك ثغرات بينها مفتوحة ، وقد كانت لتلك البيوت الخشبية أبواب  
كبيرة لكي تسمع عند فتحها بمرور هواء كافٍ الى داخلها عندما  
تكون الريح ساكنة والطقس حاراً !

وكان لكل بيت من تلك البيوت مدخل ينتهى بالباب الذى يؤدى الى بهوه ! وكان فى ذلك المدخل ينام أتباع صاحب البيت وخدمه لحراسته !

وكانت تلك البيوت تنقل من أماكنها اذا كانت فى مستوى ماء الفيضان وتقام على حافة الصحراء المطلة على الوادى فى وقت قصير قد لا يبدو يوماً واحداً ! كما كان ينقلها أصحابها الى جوار أكواخ الرعاة المصنوعة من القصب أو عيدان الذرة والمصامة فى الحقول أو المروج الخضراء عندما يريدون !

هذا وقد حفظت لنا أشكال بيوت الفلاحين فى مصر الفرعونية فى حال تدعو الى الدهشة والاعجاب على بعض الأواني الفخارية التى كانت توضع فى العبور أو الى جوارها لتأوى اليها أرواح الأموات كما كانوا يعتقدون ! وهى عقيدة لاتزال راسخة فى اذهان بعض القبائل الافريقية الى اليوم .

وتدلنا هذه النماذج على أن أبسط أنواع تلك البيوت المصرية القديمة كان مجرد مأوى مفتوح من أحد جوانبه ، وأن بعضها الآخر ملحقة به غرفة من الخلف ! ويبدو أنها كانت الأصل فى نشأة البهو كما كان بها سلم يوصل الى أعلى المنزل ، وكانت تقام حواجز حول أسطح بعضها ! كما كان فى بعضها أدوار علوية كاملة يعلوها صوامع للغلال يوصل اليها بسلم ! ولم تلبث أسقف الطوابق العليا



للمنازل أن تقوست فأصبح بقيات ! ثم نفس البناؤون فأقاموا أعمده  
على هيئة أشجار التخيل ، وشرفات ملحة الشكل تبرز من الطوابق  
العليا تزينا وتجميلها ! كما فتحوا في السقف فحات ليدخل منها  
الهواء عذبا ! وهذه وغيرها من التفاصيل الدفيلة التي ابتدعها البناؤون  
المصريون لانزال محبوبة بفضل تلك المادح المخارية !

ولقد عثرنا على نماذج لأثاث مساكن المصريين القدماء ، منها  
كرسي عال وأربعه وحامل لعدور الماء وجراره ورجلا لطحن القلال  
مرتكزة على قاعدة موضوعة تحت سلم البيت وبجوارها امرأة  
تديرها !

وكان المصريون القدماء اذا أرادوا انشاء مدينة جديدة ،  
وضع لها المهندسون رسومات تبين شوارعها ومساكنها المختلفة !  
وكانت الشوارع مستقيمة لا عوج فيها ومتوازية ! كما تراها في مدينته  
اللاهون ، التي يرجع تاريخ انشائها الى عصر الأسره الثانيه عشرة ،  
وكانت منازل المدينه مختلفه في عدد حجراتها وسعة كل حجرة ،  
اذ كانت تتراوح بين أربع حجرات وستين حجرة ! كما كانت المنازل  
التي تحيط بكل شارع تختلف باختلاف الشوارع ، اذ كانت منازل  
كل شارع ذات حجم واحد ، كما كانت الشوارع تختلف في طولها ،  
فكان في مدينه اللاهون شارع طوله ٢٢ قدماً يشرف عليه منزلان من  
كل جانب ، وآخر طوله ٢٣٠ قدماً يشرف عليه ثمانيه منازل من  
جانب وتسعة من الجانب الآخر ، وكان طول الشارع الرئيسي الذي

تشرف عليه القصور الكبيرة ٩٠٠ قدماً ، وكان يشرف على كل جانب من جوانبه ثمانية قصور فخمة ! وكان يتراوح عرض الشوارع بين ١١ و ١٢ قدماً ! وكان في وسط كل شارع قناة أشبه بالقناة التي كانت تشق في الشوارع الانجليزية ، وكان مبنية بالأحجار ومخصصة لتصريف المياه . ولم يكن في الشوارع أفاريز مخصصة للمشاة ، اذ لم يكن آنذاك عربات تسير في الشوارع !

ولقد كان أبسط المنازل يتكون من فناء مكشوف مواجهها لدخله ، وحجرة عامة واحدة في جانب ، وفي الجانب الآخر المواجه حجرتان للتخزين ، وسلم موصل الى السطح .

ولقد كانت البيوت المخصصة للفنيين من الصنائع والمشهورين منهم بخاصة ، أكثر اتساعاً ، ويشتمل كل بيت منها على فناء مكشوف وأربع حجرات مفتحة أبوابها عليه ، وتتصل بخمس حجرات أخرى ! وكانت الحجرات جميعها مسقوفة بقوائم ( عروق ) من الخشب من فوقها عيدان الذرة وسيقان الغاب ، وكان لبعض تلك الحجرات مسقوف مقيمة من اللبن ! وكانت مداخل جميع الأبواب معقودة ! أما سلمها فكان يتكون من مجموعتين من الدرجات عدد كل مجموعة منها اثنتا عشرة درجة ، وبينهما بسطة ، وكان عرض كل درجة ٢٧ بوصة . وكانت إحدى حجرات البيت تخصص لطهي الطعام . وكانت الأبواب وعتباتها تصنع من الخشب .

وكانت في البيوت الكبيرة صوامع مخروطية الشكل لحفظ  
الغلال يبلغ قطرها نحو ستة أقدام وسماك حائطها سمك قالب من  
اللبن ! وكانت تبنى تلك الصوامع بحيث تكون قريبة من بعضها  
بعضاً قريباً لا يسمح لأي إنسان أن ينفذ من بين اثنتين منها إلا بشق  
النفس !

ولقد كانت الدور الكبيرة تختلف اختلافاً بنياً عن البيوت  
الصغيرة التي وصفناها ، وكان ينبع في بنائها طراز خاص ، يشبه إلى  
حد كبير طراز القصور التي أنشئت بعد ذلك بنحو ثلاثة آلاف سنة ،  
ففي كل منها كانت حجرة للبوّاب تواجه الباب الخارج للدار ، فإذا  
ما اجتازت الباب وجدت ثلاثة معرات ، أحدها إلى يسارك يوصل  
إلى المطبخ وإلى الجناح المخصص للرجال ، وتتفتح عليه أفخم حجرات  
الدار ، ترى بعد ذلك أمامك معرين متوازيين ، أحدهما يوصل إلى  
الحجرات المفضلة عند الأسرة (١) ، والآخر يوصل إلى جناح  
الحريم . وكانت المطابخ والمخازن تتألف من نحو أربع عشرة غرفة ،  
وقاعة كبيرة للخدم ! أما عدد غرف الأسرة فكانت ست عشرة تتفتح  
على ثلاث أبهاء متسعة ذات أعمدة ، وكان جناح السيدات يحتوى  
على ثلاث عشرة حجرة وعلى بهو ذي أعمدة ! وكان خلف  
القصر أو الدار فناء متسع مكشوف أي غير ذي سقف تحيط به

---

(١) لعل المقصود بحجرات الأسرة من تلك التي يجتمع فيها جميع أفراد  
الأسرة من رجال ونساء وأطفال في المناسبات المختلفة !

بواكى مسقوفة ، وملحق به ستة مخازن أخرى ! وهذه الغرف والقاعات والأبها ، التى يزيد عددها على ستين كان يوصل إليها بمدخل واحد ضيق ! \*

وكان بكل فاعه من قاعات الحريم والخدم حوض يملأ بالماء ! وكان يخصص بهو للشتاء ذو أربعة أعمدة ، وكان مسقوفاً ، كما كان يخصص بهو للصيف وكان غير مسقوف وبه اثنا عشرة عموداً تحيط بحوض للماء مصنوع من الحجر !

وعلى آثار تل العمارنه يوجد نموذج لساكن الطبقة الوسطى من الموظفين الذين كثر عددهم فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ! وكانت المسافة التى تفصل بين كل مسكنين متجاورين تتراوح بين أربعين وخمسين قدماً ، وكان يحيط بكل مسكن سور يشبه سور الحدائق ! وعندما كان يجيئ الأسرة المصرية زائر ويرقى درجات منزلها الأمامية ، يجد حجرة مخصصة للبواب ، وممرًا ينتهى الى حجرة مخصصة لاستقبال الزائرين والضيوف ، ومن الممر يتفرع ممر آخر ينتهى الى بهو بأحد جوانبه أريكة قليلة الارتفاع أمامها مدفأة ، وفى جانبه الغربى محراب للعبادة أحمر اللون ! كما كان يحيط به أربع مجموعات من الغرف ، تتألف المجموعة الأولى من حجرة مخصصة لرب البيت ، بها سرير له يوضع فى جنوبها حيث تضيق بعض الضيق ، ومن بضع غرف للسيدات ، ومن المطبخ \*

وتحتوى المجموعة الثانية على عدة غرف مخصصة لرجال الأسرة (١)،  
وبهذه المجموعة بهو صغير ! ويغلب أن يكون بها باب خلى !  
وتحتوى المجموعة الثالثة على حجرات صغيرة تستعمل مخازن !  
وتحتوى المجموعة الرابعة على حجرات بها صوابين عدة ، ومن بينها  
سلم يرقى الى سطح المنزل ! »

ولقد كانت تلك القصور والدور الكبيرة أنواعا مختلفة ، وكان  
يضاف عليها على مر السنين مبانى يختلف طابعها ونظامها باختلاف  
الغرض الذى كانت تخصص له ! وضرب المؤلف لذلك مثلا بقصر  
تل الممارنة . ولم يكن لهذه القصور والدور الكبيرة نمط واحد  
يمكن أن يتخذ نموذجا لها ، ولكن يمكن القول بأنه كان كل منها -  
بروجه عام - يشتمل على حديقة مسورة وعلى عدة أجنحة ، بعضها  
لاستقبال الضيوف والوافدين ، وبعضها لأفراد الأسرة ، وبعضها  
للخدم والمطابخ والمخازن ! وكانت كلها متصلة بعضها ببعض لا يفصلها  
فاصل . وكان بها طبقات عليا ، تعلوها حجر مكشوفة حيطانها غير  
سميكة ، أو ستائر جميلة من القماش !»

أما بيوت الطبقة الفقيرة فكانت تتكون من دور واحدة صغير  
وقل، أن يملوه دور آخر !»

---

(١) لعل المقصود بالرجال أبناء رب البيت وأخوته .

ولقد كانت تبني الدور المصرية في العهد الروماني باللين !  
وقد أدى استخدام الآجر (١) والجص الى رفع مستوى البناء في مصر  
في ذلك العهد بحيث أصبحت الدور في مدنها المختلفة لا يقل عنه  
في مدن الامبراطورية الرومانية ، ويبدو أن المصريين في هذا العصر  
لم يتسوا نصيبهم من الدنيا ، ومتع الحياة وترفها ! على أن كثرة  
نشوء كثير من الضواحي في المدن ، ومن المساكن التي عمرت بها بعض  
المناطق الصحراوية ، وانتشار الفخار المتين الجميل ، والزجاج الملون  
ليدل على أن سكان مصر في هذا العصر كانوا أكثر عدداً وأوسع  
تراء من أي عهد مضى ! وهكذا كان شأن سكان أقطار شمالي أفريقية  
وحوران حيث بلغت مظاهر الحضارة أوجها في العصر الروماني !  
وان الحركة الجديدة للنسك التي نشأت في هذا العهد عن  
اضطهاد والحكام الرومانيين في بادئ الأمر ، ثم استمرائهم لها ورغبتهم  
في الرهبانية آخر الأمر ، والتي حدت بهم الى سكنى كهوف الجبال  
في حافة الصحراويين الشرقية والغربية ، لم تكن مظهراً من مظاهر  
الرغبة الخالصة في التقشف والزهد والرجوع الى الحياة البدائية  
الأولى التي كان يحياها أجدادهم الأولون ! ولا أدل على ذلك من أن  
نساك العمارنة والعرابة المدفونة قد شيّدوا أديرة فاخرة ، وصفت  
بالبلاط رصفاً جميلاً منسقاً ! وطلبت جدرانها بطلاء أبيض ناصع  
جميل ، وزودت بأنواع الأثاث والرياش والفرش ، كما زينت جدرانها

---

(١) الآجر هو الطوب الأحمر .

بأنعصور الجميلة ، وأوصلوها الى الطرق العامة بمسالك مرصوفة  
والحقت بها مرافق جيدة لطهي الطعام وتخزين المؤن والماء .  
وان في تفصيل فن العمارة في مصر القديمة أشياء كثيرة تثير  
أعجابك ! منها أن وصول ضوء الشمس الى داخل المنازل في مصر  
يختلف جد الاختلاف عنه في الأقطار التي يقل ضوء الشمس فيها !  
اذ يكفي لوصول الضوء الى حجرات المنازل في مصر وجود كوة  
صغيرة في سقفها أو نافذة أو أكثر في جدرانها الخارجية ، وكثيرا  
ما يكفي بوصوله متسللا من الأبواب الخارجية ! أما في المعابد فكان  
يكفي بوجود كوة في سقفها لا تريد مساحتها على تسع بوصات  
مربعة ليدخل منها الضوء الى داخلها ! ولهذا كانت جدران المنازل  
في القرى المصرية في العصور القديمة والحديثة لا يوجد بها الا نوافذ  
صغيرة يسميها الفلاحون المعاصرون طاقات في أجزائها العليا ! منها  
يدخل الضوء الى حجراته فوق الضوء الذي يأتيها من أفنيئها  
المكتشفة !

ولقد كانت نوافذ الأدوار العليا تغلق بشبابيك ذات أشكال  
مختلفة ، وفي متحف اللوفر بفرنسا نموذج من العاج لشباك منها  
مكون من قضبان صغيرة أطرافها العليا على هيئة أزهار نبات اللوتس !  
وفي المباني الحجرية كانت الشبابيك تصنع من الحجر أيضا ،  
وأحسن ما عرف منها حتى الآن يوجد في البهو الكبير في معبد  
الكرك ، وفي معبد مدينة هابو . وقد وجد منها فم فقط أشكال  
مختلفة ، بعضها مكون من قضبان رأسية تعلوها كوة مستطيلة مقوسة ،

ومنها ما هو على هيئة شبكه مكونة من قضبان متقاطعه ، بعضها مصمت ، وبعضها مفراغ ، ومنها ما كان على هيئة وردة ذات ست ورقات ، وقد استخدمت أنواع متعددة من الأعمدة فى بناء المنازل ، منها الأعمدة المتعددة الأضلاع ، وكانت تصنع اما من الحجر أو من الخشب ، ومنها الأعمدة المخططة ، ومنها أعمدة على هيئة ساريات الحيام ! وهذا النوع الأخير ، يرمز فى الكتابة الهيروغليفية الى المبنى الصغيرة ! ولقد كانت تيجان الأعمدة التى تحاكي سف النخل تصنع من الخشب بعد نقشه ! وكانت تيجان بعضها تنحت على هيئة براعم زهرات اللوتس ، أو على هيئة الجزء العلوى من نبات البردى . ولقد وجدت نقوش على مصراع أحد الأبواب تمثل أعمدة على هيئة قاعدة المصباح .

ولقد كان المصريون يعنون برصف أرض الحجرات ، فكانوا يغطونها بأسطوانات من الفخار ، ذات أطراف مسنوية السطح ، ثم يغطونها باللبن ! وكان الغرض من وضع اسطوانات الفخار تحت طبقة اللبن صرف المياه التى قد تنفذ الى باطن أرض الحجرات ! كما كانوا يغطونها باللبن ! وكان الغرض من وضع اسطوانات الفخار تحت طبقة يضعون أنابيب من الفخار ملتصقة بأحد الجدران ، ومتدلية من سطح فوقه .

وكان فى حدائق القصور والدور الكبيرة أكشاك من الخشب سقوفها من الخصر ، ولقد استخدم المصريون الخصر منذ العصور



الأولى لعمل الستائر ، وكساء الجدران الداخلية ، وفرش أرض  
الغرف ! •

وكانوا ينشئون مخازن للمحاصيل المختلفة بجوار المنازل  
والدور ، ذات سسقف مقيمة كما كانوا ينشئون في حدائق الدور  
أحواضا لتربية الأسماك فيها لاستعادهم أنها تفضى على البعوض (١)  
الذى يتسبب في مرض الملاريا •

وان أقدم ما عرف من الطرق في الصحراء الغربية طريقان  
أحدهما يصل الوادى بالقيوم ، والآخر يصله بالواحات (٢) • وكان  
عرض كل منهما خمسين ذراعا ( ٨٥ قدما ) •

أما الطرق التى كانت تصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر  
الأحمر عبر شمالي الصحراء الشرقية فكانت كما وصفها بليني ،  
تمتد من القرما ، ومن منطقة شرقى جيرون (٣) وعلى مقربة منها :  
ومن جبل كاسيوس (٤) الى السويس (٥) ، وكانت تلتقى جميعاً  
في منتصف الطريق •

---

(١) من المعروف ان هناك أنواعا من السمك تتغذى على يرقات البعوض •

(٢) لانعلم علم اليقين أى واحدة يقصدها المؤلف •

(٣) بلدة صغيرة مكانها الآن قرية المحمدية ، وفتح عند الطرف الغربى لبحيرة

البردويل •

(٤) يقع جبل كاسيوس شرقى جيرون •

(٥) كانت تسمى برنيس آنذاك •

أما الطرق التي كانت تخترق الأراضي الزراعية ، فقد كانت دروبا بين الحقول تكفى لسير السابلة والحمير ، ثم فيما بعد لسير الجمال عند ما جىء بها من بلاد العرب ! وكانت تمتد على مجسواب الترع دروب أكثر اتساعا ، وكانت أهم الطرق التي تعبر الأراضي الزراعية هي التي كانت تمتد فوق الجسور التي كانت تقسم الأراضي الى أحواض تمتلئ في زمن الفيضان بماء النيل الذي كان يحصل القرين المخصب ، والذي كان ينصرف الى النيل عندما ينخفض ماؤه !

ولقد قام الملك أمنمحات الثالث ببناء السد القائم عند بياهو ، وقد كان على وشك الانهيار (١) ! وبهذا السد تكون خزان عظيم لحزن الفائض من ماء النيل عند ارتفاع منسوبه في زمن الفيضان ، وتصريفه عند انخفاضه .

(١) ويرى بعض المؤرخين أن أمنمحات الثالث لم ين هذا السد ، وإنما قام بتجديده ، وأن الذي قام ببنائه هو أمنمحات الأول ! على حين يرى آخرون أنه كان قائما منذ عهد الأسرة الثالثة ، وأن أمنمحات لم يعم إلا بتجديده كما اثبتنا . والذي لا ريب فيه أن الملك أمنمحات الثالث بنى سدين في اليوم الجديدة عند نسخة اللاهون ، حجز الباء المتجمعة في البحيرة ، ومنعها من انصرافها الى النيل عندما تبدأ مياهه في الانخفاض ، وتصريفها عند الحاجة إليها في فصل التحريق ، أما السد الآخر فقد شجده عند بلدة بياهو الواقعة في منتصف المسافة بين سنورس ومدينة الفيوم . . ولقد كان هذا السد على هيئة قصب دائرية ، وكان يقصد ببنائه تخفيف الأراضي الواقعة بينه وبين سد اللاهون وبذلك تمكن استرداد مساحة قدرها عشرون ألف فدان ، ومن بينها الأرض القائمة عليها مدينة الفيوم التي يشر اسمها القديم وهو شدت ومعناه بالهروغليفية «المستردة» الى هذا الموضع والقصد من القيام به !

وقد بلغت مساحة هذا الخزان ( البحيرة ) آنذاك نحو ٧٠٠ ميل مربع ، ولقد ظل هذا الخزان يستخدم فى القرض الذى أنشئ له الى عهد بطليموس الأول الذى كان جل جيشه من الاغريق ، وقد رأى ان يهيئ أرضا زراعية يستقرون فيها ، فعمل على تصغير حجم الخزان أو البحيرة تدريجيا بالحد من مقدار مياه الفيضان التى كانت تنساب فيها ، فلما انحسر الماء عن حافتها أقطعهم اياها ! .

ويرى معظم المؤرخين أن نظام الري توطد فى مصر بحيث شمل القطر كله منذ عهد الأسرة الأولى مستدلين على ذلك بالنقوش التى وجدت على رأس صولجان للملك المقرب (١) يمثل حاملا قاسا ويهم بالحفر ، بينما كان العمال وهم خائضون فى الماء يعملون لاقامة سد .

ولقد عرف المصريون منذ ذلك المهد البعيد فائدة المصارف فى التخلص من المياه الزائدة عن حاجة الأرض الزراعية والمحملة برواسب الأملاح ، التى من شأنها أن تضر بالزراع اذا بقيت عليها ! أما نظام الري والصرف الذى اتبع فى مصر الحديثة فإنه يعتمد على وجود قنوات يختلف مستواها ، فما كان منها ذا مستو مرتفع يستعمل للري ، وما كان ذا مستو منخفض يستخدم للصرف .

---

(١) هو الملك السابق لينا مباشرة ، ولا يعرف نطق اسمه بالهروغليفية الذى كتب على هيئة مقرب .

ولقد كانت أولى الخطوات التي اتخذها ولاية الأمور المصريون الذين عنوا بتنظيم ماء الفيضان تقسيم الأراضي الصالحة للزراعة الى أقسام واسعة ( أطلق عليها لفظ أحواض ) تفصل بينها جسور يبعد كل منها عن الآخر مسافة بضعة أميال ! ويفصل هذه الأحواض عن النيل جسر عظيم يسير محاذيا لمجرأه وبذلك تمكنوا من التحكم في ماء الفيضان وفقا للحاجة اليه ! ولقد كانت مياه الفيضان تغمر أرض الحياض لفترة معينة يرسب في اثائها معظم الطمي التي تحمله فيجدد خصوبتها ، ثم تصرف عندما ينخفض منسوب ماء النيل محملة ببعض أملاح تربة الأرض والتي اذا لم يتخلص منها أضرت بالزروع .

ولقد استمرت طريقة ري الحياض حتى العصر الحديث (١) .

ولم يبطل اتباعها الا بعد أن استبدل بها نظام الري الدائم أن الصيفي ! (٢) .

### وعلى الرغم من فائدة طريقة الري الدائم فإنها حرمت الأرض

(١) لقد كان من مزايا ري الحياض تجديد خصوبة الأرض بما يرسب عليها من الطمي كل عام ، وترك الأرض بدون زراعة فترة تستريح في اثائها ، وتشتقق فتعرض شقوقها لأشعة الشمس التي كانت تقتل ماقد يوجد بها من ديدان وحشرات تضر بالنبات ، وكان من مساوئها زراعة الأرض مرة واحدة في السنة .

(٢) من مزايا زراعة الأرض مرتين أو ثلاث مرات في السنة ، وقد تطلب استخدام هذه الطريقة إنشاء عدد من القناطر على النيل ، وحفر كثير من المدرج والتصارف ، وإقامة السدود .

ومن عيوب الري الدائم اضعاف الأرض لزراعتها مرات في السنة وحرمانها من الطمي ، وعدم تعرضها للشمس والهواء فترة طويلة كما كان الشأن في نظام ري الحياض ، الأمر الذي تكثر معه الآفات الزراعية .

من الطمي المخصب لها الذي كانت تحمله مياه الفيضان إليها ! الأمر الذي اضطر المزارعون الى استبدال المخصبات الحيوانية والكيمياوية به

ولقد كان منسوب ماء النيل يسجله المصريون على مدار السنة منذ عهد الأسرة الأولى ، وقد استخدموا لذلك مقاييس أقاموها في أماكن عدة ، ولقد كانوا يحجزون مياه النيل بسدود من تراب تزال عند عدم الحاجة إليها ! •

ويروى ديودورس أن فتح سد الفيوم واغلقه كان يتكلف خمسين وزنة من الذهب في المرة الواحدة •

ولقد كان المصريون حتى عهد قريب يحتفلون بفتح سد الخليج الذي كان يخترق مدينة القاهرة احتفالا كبيرا يبلغ مرتبة الأعياد •

ولقد كانت المحافظة على سلامة السدود وقت الفيضان من شئون الدولة الهامة ! فقد كان الحفراء يسهرون على حراستها ، وفكانوا يرون صفوفًا متراسة ، وقد وقف كل منهم على مدى سمع الآخر ، كما كانوا يتناوبون الحراسة ليلا نهارا ، وكانوا يزودون بقدر كاف من العروق الخشبية والحبال لسد أية ثغرة تحدثها المياه في السدود •

ولقد كان في العصر الروماني يعاقب الذي يتسبب في احداث تلف في سد من السدود بالاشغال الشاقة أو النفي الى الواحات !

ولقد حدثت في السدود ثغرات عدة في المصور السابقة ولما كان من الضروري ترميمها من أمام السد لوقايتها وتقويتها ، أصبح من اليسير تمييز مواضع تلك الثغرات المرمة بوجود انحناء في جدار السد ! ولهذا السبب نجد عددا كبيرا من السدود تنحني جدرانها حتى لتكاد تشبه الأفقى في تلويها ! وذلك لأن الذين قاموا بالترميم لم يراعوا المحافظة على استقامتها عند قيامهم بترميمها .

\*\*\*

لا نعلم علم اليقين تاريخ حفر القناة التي كانت تصل بين النيل والبحر الأحمر ، اذ لا يزال المؤرخون غير واثقين من أن أسطول الملكة حتشبسوت الذي زاد بلاد بنت وعاد منها سلكها . ولكن الذي يعلمونه علم اليقين أنه كانت هناك قناة تخرج من النيل ، وتمتد مسافة كبيرة جهة الشرق ! ولقد عثروا على آثار تمثل الملك سيتي الأول ، وهو يعبر قناة تموج بالتماسيح وتعلوها قنطرة ذات أبراج حصينة في طريقه الى الشام ! فاذا فرضنا وجود قناة تمتد بين النيل وهيروبوليس (١) غربى بحيرة التماسيح الحالية ، عند قل المسخوطة ، لم يعد ما يدعو الى وجود قناة ملاحية تمتد الى أبعد من ذلك لأن خليج السويس كان - حتى العصر الروماني - يمتد شمالا حتى

---

(١) هيروبوليس Heropolis ومعناها بلدة الإغريق مدينة الإبطان ومكانها الآن قل المسخوطة والتي سميت كذلك لوجود تماثيل كثيرة بها .

## تملك المدينة (١) ! \*

ويقول استرابو : ان سيزوستريس ، ويقصد رمسيس الثاني (٢) هو أول من حفر تلك القناة ! ولقد حاول دارا اكمالها ولكن أثناء عن ذلك اعتقاده أن مستوى ماء البحر الأحمر أعلى من مستوى أرض مصر ، وهو نفس الخطأ الحسابي في تقدير مستوى ماء البحرين الأبيض والأحمر الذي وقع فيه مهنوسو الحملة الفرنسية \*

أما هيرودوت فيزعم أن تخاو هو الذي بدأ بحفرها (٣) ، أو على الأقل زاد في امتدادها ، وأن دارا هو الذي أتمها ، وجعلها من السعة بحيث تسمح بمرور سفينتين فيها في وقت واحد وذلك في جزئها الواقع بين بوسطة والبحر الأحمر \*

ويقول ديودورس أن القناة كانت تصل الفسرع البلوزي

---

(١) كان خليج السويس يصل اليها آنذاك !

(٢) كان مؤرخو اليونان يطلقون اسم سيزوستريس على سنوسرت الثالث أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة ، ولكن المؤلف يرى أن استرابون يقصد سيزوستريس الملك رمسيس الثاني لاسنوسرت الثالث . والواقع أن اسماء قواعنة مصر انخلطت على هؤلاء المؤرخين ، فنسبوا كثيرا من اعمال بعضهم الى بعضهم الآخر \*

(٣) يكاد يجمع المؤرخون على أن أول من قام بحفر قناة وصلت البحر الأحمر بأحد فروع النيل وهو الثاني هو الملك سنوسرت الثالث (١٨٨٧ ق.م - ١٨٤٩ ق.م) وكان البحر الأحمر ممتدا آنذاك الى البحيرات المرة : مصر الخالدة للمترجم ص ٦٨ \*

بالخليج العربي والبحر الأحمر ، وإن المحاولة الأخيرة بعد محاولة  
نخاو ودارا هي التي قام بها بطليموس الثانى الذى قام بحفر قناة  
عبر برزخ السويس وإقامة هويس عليها فى أصلح موضع يفتحه  
كلما أراد عبورها ، ثم يغلقه مباشرة ! وكان يسمى فرع النهر الذى  
كان ينساب فى تلك القناة باسم بطليموس ! •

وعند ملتقى القناة بالبحر أسست مدينة « ارسينو » ومكانها  
شمال مدينة السويس الحالية بقليل ! ولقد عثر على بعض آثار دارا  
على مقربة من تل المسخوطة ، وفى « أرسينو » •

ويرى بعض المؤرخين أنه كان هناك اتصال مائى بين النيل  
والبحر الأحمر فى عهد الأسرة التاسعة عشرة •

ومصدر الماء فى الصحراء الغربية منخفضات فى بعض جهاتها  
تغطى سطحها طبقتان ، أحدهما وهي السفلى مسامية من الحجر  
الرملى مشبعة بالماء ، والثانية طفلية وغير مسامية ، وهي العليا ،  
ولا يتفد إليها الماء خلالها إلا إذا حفر بئر ارتوازي غيرها ! فإذا ما حفر  
انبثق الماء وملاً المنخفض وأصبح معين ماء يمكن استخدامه للشرب  
ورى الأراضي المجاورة ! •

ولقد نجح الرومان فى الحصول على مقادير وفيرة من الماء  
الباطنى فى الواحات ، وذلك بحفر أنفاق يتراوح طولها بين ميلين  
وثلاثة أميال تتصل بالانكسارات والشقوق الطبيعية فى القشرة  
الأرضية ! •



ولقد عفا الزمن على كثير من تلك الآبار الرومانية بسبب  
إهمالها ، على أن هناك عددا قليلا منها لا يزال يتفجر منه الماء بصورة  
مستمرة وبمعدل يبلغ مئات من الجالونات في الدقيقة ! •

\*\*\*

وإن أعلمه ذلك العدد الكبير من المباني والمنشآت الأخرى بالحجر  
في عهد الأسرة الرابعة ، وفي العهود التي تلتها قد تطلب استغلال  
المحاجر على نطاق واسع ، وبخاصة تلك التي كان يستخرج منها  
الأحجار المثينة •

ولقد كانت الطريقة التي كان المصريون القدماء يتبعونها  
للحصول على الأحجار اللازمة للبناء هي حفر فجوات حول كتل  
الصخر يسمح اتساعها بمرور ذراع الحجر ويده ممول ( أزميل )  
إلى عمق يتراوح بين قدمين وثلاثة أقدام في داخل الصخر ••  
وكان قطع الكتل الكبيرة يتم عن طريق أعداد خنادق تتسع لنزول  
الحجارين فيها ! وكان الخندق يحدد برسمه على الصخر ، ثم ينحت  
إلى أسفل •

ولقد عثر في تلك المحاجر على نقوش وكتابات قام بنقشها  
وكتابتها العمال الذين كانوا يشتغلون فيها أو أولئك الذين لجأوا  
إليها فيما بعد هربا من الاضطهاد الديني !

ولقد سار المصريون بعد ذلك على نهج هذه الطريقة في قطع

الأحجار من المحاجر ، كما ساروا على هديها في تحت الأبناء العظيمة  
في جوف الجبال المطلة على الوادى لعمل المقابر .

ويغلب على الفطن أن الأحجار التي كانت تنزع لعمل المقابر  
كان يستخدمها النبلاء في بناء منازلهم التي يقيمونها في أرض الوادى  
المجاورة !



ولم يكن التمدن في مصر يجسرى على نطاق واسع ، لأن  
مناجم المعادن ، ومناجم الذهب بخاصة كانت في جهات الصحراء  
الشرقية النائية .

ولقد كانت الصخور التي كانت تحتوى على الذهب تتكون من  
الكوارتز الأبيض ، الذى كان يكسر قطعاً ثم يسحق حتى يصير  
وفي شبه جزيرة سسينا كان الفيروز وكذلك الملائخيت والنحاس  
والمواد اللازمة لصنع الزجاج تستخرج كلها من بين طبقات الحجر  
الرملى ! ولم تكن المناجم في سينا عميقة ، وكان الضوء لذلك يصل  
من الخارج ، وكان المتقبون يتبعون الطبقات التي تحتسوى على  
المعادن ! .

وفي الواحات الخارجة مناجم كبيرة لاستخراج الشب ! .  
أما الملح فكان يستخرج من الواحات ومن برزخ السويس ! .

ولقد كان المصريون القدماء يقيمون القلاع والاستحكامات اتقاء غارات الأعداء ! ففي عهد الأسرة الأولى كانت الأسوار مبنية على الحدود ، وكان أول واجب يقوم به كل ملك جديد بعد اعتلائه عرش مصر الذهاب إليها والطواف بها للتأكد من سلامتها (١) ويشير سنوحى الى تلك الأسوار فيقول : وصلت الى أسوار الملك (٢) الكائنة على مقربة من بليس ، والتي شيدت لصد غارات قبائل ، الساتى ، (٣)

ويزعم المؤلف أنه لا يزال أحد الأسوار فى منطقة الشلال فى حال لا بأس بها ، ولكننا لا نعلم علم اليقين تاريخ بنائه ! ويغلب أنه بنى لصد القبائل الضاربة فى الصحراء الشرقية .

على أن أقدم الحصون الباقية الى الآن هو حصن ايدوس الذى يرجع تاريخه الى عهد الأسرة الثانية ، ويعرف الآن بالشونة - أو شونة الزيب - ويبلغ سمك جداره الرئيسى سبعة عشر قدما ، وارتفاعه أربعة وثلاثون قدما ! ويبدو أنه شيد بادية ذى بدء الى ارتفاع واحد وعشرين قدما ! ثم زيد ست مرات ! وكل زيادة كانت تتم فى خلال عام ! ويبلغ طول الحصن اربعمائة قدم وسبعة أقدام وعرضه

---

(١) ان ماوصل اليه الاثريون من الاكتشاف الحديثة لا يتفق مع هذا الرأى .

(٢) سور انشاء المصريون القدماء على الحدود الشرقية لمر لصد البدو ،

يرجع فى الغالب الى زمن الملك سنخرو .

(٣) الاسم المصرى الذى كان يطلق على القبائل البدوية الذين كانوا يقيمون

فى الصحراء الشرقية .

مائتا قدم وعشرة أقدام ، ويحيط به ممر عرضه عشرة أقدام ونصف القدم ، يليه حائط مرتفع سمكه تسعة أقدام ونصف القدم ! ولذلك كان الجدار الرئيسى للحصن فى مأمن من الأصابه بقذائف المغيرين بطريقة مباشرة ، وعلى أن العدو المهاجم كان اذا تمكن من الوصول الى الممر بعد اقتحامه للسور الخارجى ، يتعدر عليه التقهر فى سهوله ويسر ، لتعرضه لانهار الأحجار الثقيلة عليه من أعلى السور الرئيسى . وفى الحصن أبواب أشبه بالحجرات . . ومن الغريب حقا أننا لم نجد أثرا لسلم يوصل الى أعلى الحصن ، أو حتى لمكان لتثبيت سلم خشبى يؤدى اليه ، مع أن الوصول اليه أى الى أعلى الحصن - كان أمرا ضروريا للدفاع اذا ما هاجمه الأعداء المغيرون ! ويوجد بالقرب من هذا الحصن قلعتان من طرازه . احدهما لم يبق منها الا أساسها ، والأخرى مستخدمة كدير للأقباط ! .

ولقد شيد المصريون فى عهد الأسرة الخامسة بعض الحصون فى جنوبى بلاد الشام . (١) وفى عهد الأسرة الثانية عشرة كان المصريون يبنون الحصون متبعين طرازا جديدا ، وأبرز مثل له حصن سمته (٢) العظيم ، تلتخص فى بناء مجموعة من الابراج المنيعه حول أسوار

---

(١) بعد عثر الاثريون على رسم لحدى القلاع المصرية فى جنوبى بلاد الشام يحاصرها الأعداء الذين يبنون وقد تسلقوا سورها الخارجى بسلام من خشب ! بينما يقوم بعضهم بهدم بعض أجزاءه !  
 (٢) بلدة صغيرة على شاطئ النيل الغربى جنوب وادى حلفا .

الحصن ، وبذلك يمكن للمدافعين صد هجوم المنيرين عليه قبسل  
الوصول الى أسواره المنيعه ! •

ولقد كانت أسوار الحصن ترتفع اثنتين وثمانين قدما ويحيط  
بها خندق يحميه جدار متين من الحجر منحدر الى الخارج ؛ وكان  
العدو المهاجم يتعرض لرماح المدافعين التى يرمونه بها وهو يحاول  
اجتياز منحدرين عسيرين وهما منحدر الجدار الخارجى ومنحدر  
الخندق قبل وصوله الى أسوار الحصن نفسه ! •

وكانت عروق الخشب تستخدم فى تدعيم جدران الحصن  
المبنية باللبن ، لتزيدا متانة وقوة حتى اذا استطاع العدو المهاجم  
احداث ثغرة واسعة فى الجزء الأسفل من الجدار لا تعرض أجزاءه  
العليا للانهار ، ويرجع استعمال عروق الخشب لتقوية الجدران  
المبنية باللبن الى عهد الملك سنfro •

وقد استبدل بهذا الطراز طراز آخر فى العصر الرومانى ، فقد  
كانت الحصون فى هذا العصر تمسك من الأجر ، يتخلل جدرانها  
أبراج قوية مجوفة على هيئة أنصاف دوائر كما هو الحال فى حصن  
بابلون فى القاهرة ، الذى يشبه الحصون الرمايية فى بعض  
أقطار أوروبا ! •

أما وقد عرفنا وسائل الدفاع الماديه ، فقد حق علينا أن  
ننمض طريقة تكوين القوات المدافعة عنها !

لقد تعرضت مصر لغزوات الشعوب المحيطة بها ، لا بل والبعيدة عنها ، فقد تعرضت لغزو الليبيين من الغرب ، ولغزو بعض الشعوب الآسيوية من الشرق (١) ! وكان المصريون يصدونهم لا بل ويهاجمون بعضهم في بلادهم ! ومن ذلك أن مينا ( نارمر ) استولى بعد انتصاره على بعض أولئك الغزاة على ١٢٠٠.٠٠٠ أسير وعلى ٤٠٠.٠٠٠ ثور ، وعلى ١٠٠.٠٠٠ من المصري ! ولأرب في أن ذلك كان يتطلب جيشاً كبيراً منظماً ! كما هزم أحد ملوك الأسرة الثانية بعض أولئك الغزاة وقتل ٤٧.٢٠٩ من جنودهم !

ومن ذلك يتبين شغف المصريين بالاحصاءات الدقيقة .

وفي أواخر عهد الأسرة الثالثة قام سنفر و بمحاربة النوبيين ، وعاد بعد انتصاره عليهم ومعه ٧٠٠٠ من الأسرى و ٢٠٠.٠٠٠ من الماشية !

ولقد انتهت الحرب ضد الليبيين في عهد أحد ملوك الأسرة الخامسة باستيلاء جيشه على ٨٣٢.٩٤١ رأساً من الماشية .

وكانت بعض تلك الحروب تستغرق وقتاً طويلاً ، يرسل المصريون في أثناء البعثات المختلفة للكشف والاستطلاع ! كما كان يتطلب تقديم الغذاء لعشرات الألوف من الجنود في أوقاته ! وكل ذلك يدل على تنظيم دقيق محكم .

ويبدو أن تلك الحروب قد استدعت فرض الخدمة العسكرية على ثلث عدد البالغين من الرجال ، ممن هم في سن التجنيد !

وفي عصر الدولة الوسطى كانت أسماء الذكور ممن هم في سن الخدمة العسكرية تسجل ، لاما كان دعوتهم للانضمام تحت لواء الجيش متى احتاج الأمر الى ذلك ! كما كانت هناك كنيه تابعه للملك ، منظمة تنظيميا دقيقا ، تقوم بما يقوم به الحرس الملكي أو الجمهورى الآن ! ولقد كان الجانب الأكبر من القوات المصرية يدرّب محليا في الأقاليم المختلفة ! فكان في عهد الأسرة التاسعة عشرة فيلق آمون من مصر العليا ، وفيلق يتاح من مصر الوسطى ، وفيلق رع من هليوبوليس وجنوبي الدلتا ، وفيلق سوتخ (١) من تائيس ... وكان حكام الأقاليم والمقاطعات هم المسئولون عن تجنيد تلك الفيالق وتدريبها !

ولقد سبق أن ذكرنا أن المجتمع المصري كان يتألف من ثلاث طبقات وهم المزارعون والكهنة والجند . على أن تاريخ هذا التقسيم غير معروف .

---

(١) هو الإله ست وكانت عبادته سائدة في شمالي شرق الدلتا منذ عصر ما قبل الاسرات ، وعندما قرأ الهكسوس مصر واستفروا في هذه المنطقة عبيدوه وكانوا يطلقون عليه ذلك الاسم (سوتخ) وظلت عبادته قائمة بعد طردهم من مصر وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة بخاصة التي كان ملوكها يتحنون أسماءهم من أسماء مثل سبتى !

ولقد كان الجيش النظامي في عهد الملك سيني مزوداً أحسن تزويد بكل ما يحتاج إليه من زاد وعتاد ، وكان يصرف لكل جندي ما يكفيه من لحم وسمك وخضر وخيز (١) ، كما كان يصرف له رداً من الثكنان كل شهر ! أما تابع الملك أي أحد أفراد حرسه الخاص فقد كان يصرف له عداً ذلك مقادير من النبيذ والزيت وعسل النحل والتين •

وكان الجيش إذا ما سار يسير في صفوف منتظمة ، وكان لكل فرقة من فرق علم خاص بها !

ولقد كانت الجيوش المصرية منذ العصور الأولى تضم بعض الفرق الأجنبية ! وآية ذلك أن حملة الأعلام في جيش مينا أو نارمر كانوا ينتمون إلى جنسين مختلفين ! فقد كان أحدهما حليق الذقن ، وكان آخر طويلها ! كما نجد في عهد الأسرة الخامسة أقواماً من البدو يجارون في صفوف الجيش المصري ! وكان في عهد الأسرة الثانية عشرة في صفوف الجيش المصري جنود لبيون يحملون أقواساً وسهاماً ! ولقد كان لرؤس التاني حرس من سكان جزيرة سردينيا ! أما في عهد الأسرة السادسة والعشرين فقد حدث تغير عظيم ! إذ لم يقتصر الأمر على ضم فرق من الإغريق إلى الجيش المصري ، بل كان في سلكه عدد قليل من الكاريين (٢)

(١) كان يصرف لكل جندي أربعة أرطال من الخبز •

(٢) الكاريون نسبة إلى كارييا ، وتقع في الجنوب الغربي من شبه جزيرة

الأناتوليا ، ولقد ازدهرت حضارتها في العصر الإغريقي •



وغيرهم من الشعوب الآسيوية ! \*

ولقد كانت القوات الحربية المصرية آنذاك تتألف من قسمين كبيرين أحدهما خاص بمصر العليا وشرقي الدلتا ، ويسمى أفراده الكالاسيري ، والقسم الآخر خاص بغربي الدلتا ، ويسمى أفرادهم بالهرموتيبيز (١) (Hermotybies) ، وكان عدد جنود القسم الأول ٢٥٠٠٠٠ ، وعدد جنود الثاني ١٦٠٠٠٠ ، وكان أولئك الجنود مقصورين على الخدمة العسكرية لا يسمح لهم بمزواله عمل سواها ! ، وكان يصرف لكل منهم بالإضافة الى محاصيل ما يملك من أرض مقرر رومي مقداره خمسة أرتال من الخبز ورتلان من اللحم ، وأربعة أكواب من النبيذ .

وفي عهد البطالمة كان ينخرط في الجيش عدد كبير من الاغريق ومن أهل مقدونيا بخاصة ؟ وفي عهد بطليموس الثاني كان الجيش يضم بين فرقة فرقة من الكلت يبلغ عددها أربعة آلاف . وفي سنة ٢١٣ ق.م كان يضم فرقة من تراقيا وغلاطية (٢) عددها أربعة آلاف جندي ! ذلك غير ألفى جندي جئ بهم من خارج مصر . وفي العصر الروماني أبعد أحد البراطرة (٣) بعض الجنود المصريين

---

(١) القسم الاول كان يطلق على الجندين الجدد ، والقسم الثاني كان يطلق على القدامى .

(٢) منطقة حول مدينة انقرة .

(٣) اسمه هالسي وهو أحد براطرة روما ، وقد حكم من ٢٦٤ م الى

٢٧٨ م .

لأمر لا نعلم عنه علم اليقين شيئاً ، واستبدل بهم جنوداً من القوطيين ،  
جاء بهم من بلادهم التي كانت جزءاً من امبراطوريته .  
وفي القرن الثالث جند العرب في الفرق الاحتياطية ، كما  
يجند بعض رعاة السهام التدمريين (١) .

ولقد كان من أهم أسلحة الجند في فجر التاريخ هو المضرب  
الذي كان على هيئة القرص ، ثم لم يلبث أن تغير شكله فأصبح في  
هيئة الكمثرى ! . ثم استعمل الخنجر والحرية المصنوعان من  
الصوان كسلاحين بعد ذلك ! وكان في أثناء ذلك العصر البعبد  
يستخدم أهل صعيد مصر الحرية ذات الحديد كسلاح من الأسلحة  
التي كانوا يعتمدون عليها في الحروب ! .

وكان أقدم سلاح مصنوع من المعدن عرف في مصر ذلك  
النصل العريض المثلث الشكل ، ثم ظهر بعد ذلك نصل رفيع  
في وسطه خط غائر ! وقد استعمل هذا النوعان قبل انتهاء  
العصر الثاني لما قبل التاريخ ! ثم ظهرت الحرية المصنوعة من  
النحاس ، ثم الدبوس المذهب الطرفين والقوس والسهم وعصا  
الرمية (٢) في مستهل عهد الأسرة الأولى ! وفي عهد الأسرة  
الرابعة ظهرت الفأس ، واستخدمها الجنود كسلاح في حروبهم

---

(١) أي سكان مدينة تدمر .

(٢) عصا مسطحة ومقوسة من أحد طرفيها كانت تستخدم لصيد الطيور ،  
ولسمى البومرائج ولا يزال سكان أستراليا الأصليون يستعملونها إلى اليوم !

ولكنها كانت أخف وزنا من الفأس التى كان يستعملها الفلاحون  
فى شئون الزراعة ! •

وكانت العصا الغليظة التى تسمى الآن البيوت سلاح الأهالى  
العادى ! ما لبث أن أضيف إليه نصل مديب حاد من معدن •

ولقد كان المقلاع من الأسلحة التى استوردها المصريون من  
الأفطار المجاورة (١) •

وكان الجنود المصريون يتقون أسلحة الأعداء بدروع مصنوعة  
من الجلود السعكة !

ولم تكن الخيول تستخدم فى الركوب الا نادرا ، وإنما  
كانت تستخدم فى جر العربات الحربية ! التى كانت تعد بالآلاف ،  
فقد روى أنه كان فى مدينة طيبة وحدها عشرون ألف عربة حربية •  
ولقد كانت العربات الحربية التى كان يستخدمها الجيش المصرى فى  
المعارك الحربية فى بلاد الشام بجرجر كل منها فرسان ، ولعل السبب  
فى ذلك وعورة الأرض التى كانت مسرحا لتلك المعارك !

ولقد كان الطبل يستخدم ايذاناً للجيش بالمتقدم ، كما كان  
يستخدم قيادة الجيش النفير ( البوق ) لإصدار الأوامر ، وتوجيهه  
سبر القتال !

ولقد ابتدع المصريون أنواطاً وشارات من الذهب لتتمسح

---

(١) لقد كان ليسى الأصل •

للمضباط أو الجنود الذين يقومون بأعمال بطولية • كما كانت توهب للأبطال بلط صغيرة من الذهب ، وهي تقابل سيف الشرف في العصر الحديث !

والآن وقد اسعرضنا في ايجاز حصائص الحضارة المصرية ومفوماتها العامة ، ومنها يتضح أنها وليدة الظروف الطبيعية اخاصت بتلك البلاد الغريدة • فيض عظيم من الحصب والنماء والوفرة وسط صحراء قاحله جرداء ، وحرارة لافحه تلطفها رياح عليه منعشة في الصيف ، وحرارة معتدلة تميل الى البرودة أحيانا في الشتاء ، وشعب نشيط زكي مجد قوي ، يعنوره الضعف كل بضع مئات من السنين سنة الله في خلقه ، فتعرض بلاده الى غزاة من الجنوب ومن الغرب ومن الشرق ، فيتعرض لمؤثرات مختلفة ، ولكنه على الرغم منها ظل يحتفظ بطابعه وصفاته القومية ، وشخصيته الواضحة المعالم !

وخلاصة القول أن المناقب العالية والصفات الحميدة التي وهبها الله لهذا الشعب المجيد ، وكذلك ثبات دعائم حياته ، واستمرارها ، ووفرة الكنوز التي تدل على أمجاده التاريخية كل ذلك حليق بان يجعل منه أهم وأعظم مجتمع انساني جدير بالبحث والدراسة سواء أكان ذلك من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو من ناحية الاختراعات والابتداعات التي قام بها ، فاقبسها العالم المعاصر ، وعبرت اشراقاتها البحار والمحيطات الى العالم الجديد !

# فهرس

الموضوع	صفحة
تقديم	٢
تمهيد	٧
مقدمة المؤلف	١٩
مراجع الكتاب	٢١
الفصل الاول ( نشأة المجتمع المصري )	٢٣
الفصل الثاني ( ادارة البلاد )	٨١
الفصل الثالث (الحسنات والسيئات)	١٤١
الفصل الرابع ( الحياة الخاصة )	١٨٧
الفصل الخامس ( وارد البلاد المختلفة وبجارتها الخارجية )	٢٣٧
الفصل السادس (التشبيد والدفاع)	٢٨٩

مطابع الهيئۃ العربیۃ العامۃ للکتاب

---

رقم الايداع: ١٩٧٥/٢٠٧٢





مطابع الهيئة المصرية العامة

المشمون ٩٠ قرشنا



To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)